الشرح الفريد في

بُردة النبيّ الحبيب

على بُردة

الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري

قدّس الله سرّه

تأليف

الشيخ المربّي العالم العلّامة العارف بالله تعالى

محمّد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي

للمعارف

الشَّرحُ الفَرِيدُ في

بُرْدَةِ النَّبِيِّ الحَبِيبِ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

الشَّرْحُ الْفَرِيدُ في

بُرْدَةِ النَّبِيِّ الحَبِيبِ

تأليف

الشيخ العلامة العارف بالله تعالى

محمّد عيد عبد اللّه يعقوب الحسيني

عَلَىٰ بُرْدَةِ

الإمام شرف الدّين أبي عبد الله محمّد البوصيري

قدّس الله سرّه

دار الفارابي

للمعارف

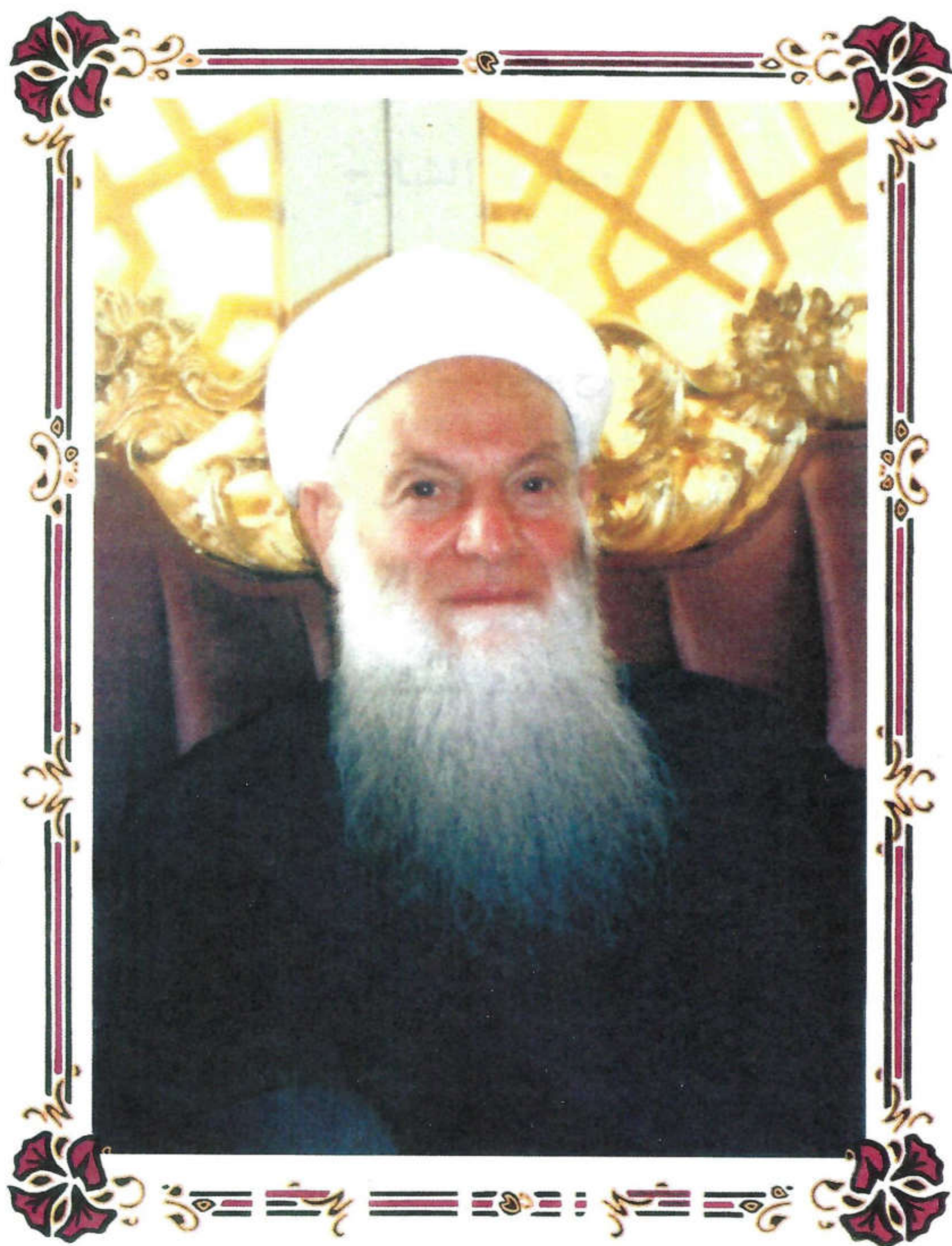
العنوان : الشرح الفريد في بردة النبي الحبيب
تأليف : الشيخ محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني
عدد الصفحات : ٤٣٢
القياس : ١٧ × ٢٤

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٤ م



اسست عام ١٩٦٧م
طباعة . نشر . ترجمة
سورية . دمشق . حلبوني . شارع مسلم البارودي .
ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨
www.daralfarabi.com

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٢٦٣١١٣٠ - ٦ - ٠٠٩٧١
Dar Farab @ emirates.net.ap





مقدمة الشارح

الحمد لله الذي شرح بمدح نبيه قلوب أوليائه وأصفيائه ، ووشَّحهم ببردة محاسنه وطيب ثنائه .

والصلاة والسلام على مَن خصّه ربنا تبارك وتعالى بخواص هباته ، وكمّله بأكمل عناياته .

أما بعد ،

فيقول خادم الفقراء والدراويش محمد عيد يعقوب الحسيني :

لِيُعلم أن كمالاته عليه الصلاة والسلام لا تُحصى ، وشمائله لا تُستقصى . فمهما مدحه ﷺ المادحون ، ووصفه الواصفون ، فإنهم مقصّرون عما هنالك من شرفه عليه الصلاة والسلام ، كيف لا وقد وصفه ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم بل وفي الكتب السماوية كلها بما يبهر العقول ، وبما لا يُستطاع إليه الوصول . ويكفيك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤].

فلو بالغ الأَوَّلون والآخِرون في إحصاء مناقبه ﷺ لَمَا استطاعوا الوصول إلى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتبه السماوية ، فكل علو في حقه ﷺ تقصير ، ولا يبلغ البليغ في مدحه إلا القليل من الكثير .

ولله در القائل :

أرى كُلَّ مدحٍ في النَّبِيِّ مُقَصِّراً وإنْ بالَغَ المُثْنِـي عليـه وأَكْثَـرا
إذا اللهُ أَثْنَى بالـذي هـو أهلُـه عليه فما مِقْدارُ ما تَمْدَحُ الوَرى

ولو رجعتَ أيها القارئ الكريم إلى الأَوَّلين من الشعراء لَمَا رأيتَ واحداً يصرح بمدحهﷺ ، إنمـا كان مدحه بألسنتهم تلويحـاً . فهـذا عمر بن الفارض وأمثاله مـن فحـول الشـعراء يتنـاولون مدحـهﷺ بالتعريض .

ولكــن المتـأخرين مــن الأدبـاء والشـعراء رَأَوْا أن يمـدحوه ﷺ بشمـائله وكمـالاته ، وأنَّ ذلك من أعظـم القربـات والطاعـات ؛ وذلك ليتبركوا بخدمة قدره المنيف ، فأكثَروا من مدحهﷺ .

ومن هؤلاء الإمـام العـالم العلامـة ، أشـعر الشـعراء ، وأفصـح الحكمـاء في عصره : (الشيخ شرف الدين أبـو عبـد الله محمـد بـن سعيد البوصيري) ، والذي كانت قصيدته البردة قـد عمّـت جميـع أرجاء بلاد الإسلام ، واجتمع عليهـا العلمــاء الأعـلام ، وكانـت تُقرأ ولا زالت لقضاء الحوائج من شفاء المرضى ، وقضـاء الـدَّيْن ، والنصر على الأعداء .

وبهذه المناسبة نذكر سبب نظـم الإمـام العـارف بـالله والأديـب الشاعر البوصيري لها ، فيقول هو عن نفسه :

« إنني أصابني خلط فالج عجز عن علاجه كـل معـالج ، إذ أُبطـل نصفي وتحيّر فيه وصفي . فلمـا أَيِسْتُ من نفسـي وقاربت حلـول

رمسي ، تذكرت في ساعة سعيدة أن أصوغ قصيدة في مدح خير البرية ﷺ ، فصحّ العزم والنية ، وشرعت في امتداح المصطفى ، ورجوتُ به البُرء والشفاء ، فأعانني ربي ويسّر عليّ طلبي . فلمّا ختمتها رأيت في منامي المصطفىﷺ التهامي قد أتى إليّ ومرّ بيده المباركة عليّ ، فعوفيت لوقتي وعُدت لِما كان من نعتي » .

وإنما سميت بالبردة لأن الإمام البوصيري رحمه الله تعالى بعد أن نظمها كما ذكر في تعليقه بقصد البُرء من داء الفالج ، رأى النبيﷺ في منامه فمسح بيده الشريفة عليه ، ولفه في بردته – زيادة على ما مر آنفاً – فبرئ لوقته .

وقد قال بعض العارفين : الأَوْلى أن يُقال لهذه القصيدة البُرءة ؛ لأن الناظم برئ ببركتها من فالجه .

وإن البردة الشريفة هذه كانت مصوغة صوغ الذهب الأحمر ، ومنظومة نظم الدر والجوهر . قد غُزلت من نعوت النبي المصطفىﷺ ، ونُسجت بقلم الإخلاص والصفا .

وهي من بحر البسيط ، وقد اشتملت على ما يلي :

<u>أولاً</u> : على براعة المطلع : وهي أن تُفتتح القصيدة بذكر ما يلائم المقصود .

<u>ثانياً</u> : على أسلوب آخر مشتمل على معنيين :

١- التلهف والأحزان ، والاعتراف بالغفلة والعصيان .

٢- التمسك بالموعظة الحسنة ، والجدال بالبرهان .

ثالثاً : على أسلوب آخر مشتمل على شيئين :

١ - المدح والصفات .

٢ - الآثار والمعجزات .

رابعاً : على أسلوب آخر مشتمل على شيئين :

١ - تصحيح الاعتقاد ، وتحقيق وظائف المبدأ والمَعاد .

٢ - الدعاء والمناجاة بالابتهال ، وإظهار الخـوف والرجـاء في العاقبة والمـآل .

وقد أردتُ من شرح هذه البردة المتواضع حلَّ ألفاظهـا ، وبيـان مرادها ، وفتح أقفالها ، وتوضيح مفادها .

وقد آليتُ في ذلك أن أنهج كمـا يلي :

١ - الإعراب الموجز [1] .

٢ - تفسير الكلمـات .

٣- المعنى الكلي .

واللهَ أسأل أن تكون شافية كافية ، وسبباً لنجاتي يوم الدين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

(١) الإعراب هو تغيير أواخر الكَلِم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة البردة الشريفة

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وَأَثْـبَـتَ الوَجْـدُ خَطَّـيْ عَـبْــرَةٍ وَضَـنىً
مِثْـلَ البَـهَــارِ عَـلَى خَدَّيْــكَ وَالعَـنَمِ
نَعَمْ سَـرَى طَـيْـفُ مَنْ أَهْوَى فَـأَ رَّقَـنِـي
وَالـحُـــبُّ يَعْـتَرِضُ اللَّــذَّاتِ بِالأَلَـــمِ
يَا لاَئِـمِي فِي الـهَــوَى العُـذْرِيِّ مَعْـذِرَةً
مِنِّي إِلَيْـكَ وَلَـوْ أَنْـصَفْــتَ لَـمْ تَــلُمِ
عَدَتْـــكَ حَالِــيَ لاَ سِـــرِّي بِمُسْـتَـتِـــرٍ
عَـــنِ الوُشَـــاةِ وَلاَ دَائِـــي بِمُنْحَسِـــمِ
مَحَّضْتَنِـي النُّصْـحَ لَــكِنْ لَسْـتُ أَسْـمَعُهُ
إِنَّ الـمُحِــبَّ عَـنِ العُـذَّالِ فِــي صَـمَمِ
إِنــِّي اتَّـهَمْــتُ نَصِـيحَ الشَّـيْبِ فِي عَـذَلٍ
وَالشَّـيْبُ أَبْـعَــدُ فِي نُصْـحٍ عَـنِ التُّــهَمِ
فَــإِنَّ أَمَّــارَتِـــي بِالسُّــوءِ مَـا اتَّـعَــظَتْ
مِنْ جَهْـلِهَـا بِنَـذِيـرِ الشَّـيْبِ وَالـهَــرَمِ
وَلاَ أَعَـدَّتْ مِـنَ الفِعْـلِ الجَـمِـيلِ قِـرَى
ضَيْـفٍ أَلَــمَّ بِرَأْسِــي غَـيْرَ مُـحْـتَــشِمِ

لَــوْ كُنْــتُ أَعْلَــمُ أَنــِّي مَــا أُوَقِّــرُهُ
كَــتَمْتُ سِــرّاً بَــدَا لِي مِنْــهُ بِالكَــتَمِ
مَــنْ لِي بِــرَدِّ جِـمَــاحٍ مِــنْ غَوَايَـتِـهَــا
كَمَـا يُـرَدُّ جِـمَــاحُ الـخَـيْـلِ بِاللُّجُــمِ
فَـلاَ تَـرُمْ بِالـمَعَــاصِي كَسْــرَ شَهْوَتِـهَــا
إِنَّ الطَّعَــامَ يُـقَــوِّي شَــهْوَةَ النَّـهِــمِ
وَالنَّفْسُ كَالطِّفْـلِ إِنْ تُـهْمِلْـهُ شَبَّ عَـلَى
حُـبِّ الــرَّضَاعِ وَإِنْ تَـفْطِمْــهُ يَنْفَطِـمِ
فَــاصْرِفْ هَوَاهَــا وَحَــاذِرْ أَنْ تُـوَلِّـيَــهُ
إِنَّ الــهَوَى مَــا تَــوَلَّى يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ
وَرَاعِهَــا وَهـيَ فِــي الأَعْمَــالِ سَائِــمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحْـلَتِ الـمَرْعَى فَـلاَ تُــسِمِ
كَــمْ حَسَّــنَتْ لَــذَّةً لِلْمَــرْءِ قَاتِـلَــةً
مِنْ حَيْثُ لَـمْ يَـدْرِ أَنَّ السُّـمَّ فِـي الدَّسَمِ
وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِـنْ جُـوعٍ وَمِـنْ شِـبَعٍ
فَـرُبَّ مَـخْمَصَــةٍ شَــرٌّ مِــنَ التُّــخَمِ

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ
وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إِلَى
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوَدَ تـْـهُ الجِـبَـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـــبٍ

عَـن نَـفْسِـــهِ فَـأَرَاهَـــا أَيَّـمَـــا شَـمَمِ

وَأَكَّـــدَتْ زُهْـــدَهُ فِـيهَـــا ضَرُورَتُـــهُ

إِنَّ الضَّـــرُورَةَ لاَ تَعْـدُو عَـلَى العِصَـمِ

وَكَيْـفَ تَـدْعُو إِلَى الدُّنْـيَـا ضَرُورَةُ مَـنْ

لَوْلاَهُ لَـمْ تُـخْـرَجِ الدُّنْـيَـا مِـنَ العَـدَمِ

مُـحَـمَّـــدٌ سَـيِّـــدُ الكَوْنَـيْـــنِ وَالثَّـقَـلَـ

ـيْنِ وَالفَرِيقَـيْنِ مِـنْ عُـرْبٍ وَمِـنْ عَجَـمِ

نَبِـيُّـنَـــا الآمِـــرُ النَّـــاهِي فَـــلاَ أَحَـــدٌ

أَبَــــرَّ فِي قَـــوْلِ لاَ مِنْـــهُ وَلاَ نَـعَــــمِ

هُوَ الـحَبِيبُ الَّـذِي تُــرْجَى شَـفَاعَـتُــهُ

لِكُــلِّ هَــوْلٍ مِـنَ الأَهْـوَالِ مُـقْـتَـــحَمِ

دَعَـــا إِلَى اللهِ فَالـمُـسْـتَـمْـسِـكُـــونَ بِـــهِ

مُسْتَمْـسِكُونَ بِحَبْـلٍ غَيْـرِ مُـنْفَصِـــمِ

فَـــاقَ النَّبِـيِّـــينَ فِي خَلْـــقٍ وَفِي خُلُـــقٍ

وَلَـــمْ يُـدَانُـــوهُ فِي عِلْـــمٍ وَلاَ كَـــرَمِ

وَكُـلُّـهُـــمْ مِـنْ رَسـولِ اللهِ مُـلْـتَـمِـــسٌ
غَـرْفـاً مِنَ الـبَـحْـرِ أَوْ رَشْـفـاً مِنَ الدِّيَـمِ
وَوَاقِـفُـــونَ لَـدَيْــــهِ عِنْـــدَ حَـــدِّهِمِ
مِن نُـقْطَـةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْـلَـةِ الـحِكَمِ
فَهـــوَ الَّـــذِي تَـــمَّ مَعْنَـــاهُ وَصُورَتُــــهُ
ثُــمَّ اصْطَـفَـــاهُ حَبِيـــباً بَـارِئُ النَّـــسَمِ
مُـنَـــزَّهٌ عَـــنْ شَرِيــكٍ فِي مَـحَـاسِنِـــهِ
فَجَوْهَـرُ الـحُسْنِ فِيـهِ غَـيْـرُ مُـنْقَسِـمِ
دَعْ مَـــا ادَّعَتْـــهُ النَّصَـــارَى فِي نَبِيِّـــهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَـا شِئْتَ مَدْحاً فِيـهِ وَاحْتَـكِمِ
وَانْسُــبْ إِلَى ذَاتِـهِ مَـا شِـئْتَ مِـنْ شَــرَفٍ
وَانْسُـبْ إِلَى قَـدْرِهِ مَـا شِـئْتَ مِـنْ عِظَـمِ
فَـــإِنَّ فَضْــــلَ رَسُــــولِ اللهِ لَــــيْسَ لَــــهُ
حَـــدٌّ فَـيُـعْـــرِبَ عَنْـــهُ نَـاطِـــقٌ بِفَـــمِ
لَـــوْ نَاسَـــبَتْ قَـــدْرَهُ آيَـــاتُـــهُ عِظَمـــاً
أَحْيَـا اسْـمُهُ حِـينَ يُـدْعَى دَارِسَ الـرِّمَمِ

لَــمْ يَمْتَحِنَّــا بِمَــا تَعْيَــا العُــقُولُ بِــهِ

حِرْصاً عَلَـيْـنَـا فَـلَمْ نَـرْتَبْ وَلَــمْ نَــهِمِ

أَعْيَـا الــوَرَى فَهْـمُ مَعْنَاهُ فَلَــيْسَ يُـرَى

فِي القُرْبِ وَالبُـعْـدِ فِـيـهِ غَـيْـرُ مُـنْـفَحِمِ

كَالشَّــمْسِ تَظْهَــرُ لِلْعَيْـنَــيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ

صَغِــيرَةً وَتُـكِــلُّ الطَّـرْفَ مِــنْ أَمَــمِ

وَكَيْــفَ يُــدْرِكُ فِي الدُّنْيَــا حَـقِـيقَتَــهُ

قَــوْمٌ نِـيَــامٌ تَسَــلَّوْا عَنْــهُ بِالـحُــلُمِ

فَمَبْلَـــغُ العِلْــمِ فِيـــهِ أَنَّـــهُ بَشَـــرٌ

وَأَنَّـــــهُ خَيْـــــرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلِّهِـــمِ

وَكُــلُّ آيٍ أَتَــى الرُّسْــلُ الكِــرامُ بِـهَــا

فَـإِنَّــمَـــا اتَّصَـلَتْ مِــن نُــورِهِ بِـــهِمِ

فَإِنَّــهُ شَــمْسُ فَضْــلٍ هُــمْ كَـوَاكِـبُـهَــا

يُظْهِـرْنَ أَنْــوَارَهَا لِلنَّـاسِ فِــي الظُّــلَمِ

أَكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَبِـــيٍّ زَانَـــهُ خُلُـــقٌ

بِالـحُــسْنِ مُشْــتَمِلٍ بِالبِشْــرِ مُـتَّــسِمِ

كَالـزَّهْرِ فـِي تَـرَفٍ وَالبَـدْرِ فـِي شَـرَفٍ
وَالبَحْرِ فـِي كَـرَمٍ وَالـدَّهْرِ فـِي هِـمَمِ
كَأَنَّـهُ وَهـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَـلاَ لَـتِـهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَـلْـقَـاهُ وَفـِي حَشَـمِ
كَأَنَّمـا اللُّؤْلُـؤُ الـمَكْـنُونُ فِي صَـدَفٍ
مِـنْ مَعْدِنَـيْ مَـنْطِـقٍ مِنْـهُ وَمُبْتَـسَمِ
لاَ طِيـبَ يَعْـدِلُ تُـرْبـاً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ
طُـوبَى لِـمُـنْـتَشِـقٍ مِنْـهُ وَمُـلْـتَثِـمِ
أَبَـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ
يَـا طِـيبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـهُ وَمُـخْتَتَـمِ
يَـوْمٌ تَـفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّـهُمُ
قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ وَالنِّـقَمِ
وَبَـاتَ إِيـوَانُ كِسْـرَى وَهـوَ مُنْصَـدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْـرَ مُـلْـتَئِـمِ
وَالنَّـارُ خَامِـدَةُ الأَنْـفَاسِ مِـنْ أَسَـفٍ
عَلَـيْـهِ وَالنَّـهْـرُ سَاهِي العَـيْنِ مِنْ سَـدَمِ

وَسَــاءَ سَــاوَةَ أَنْ غَاضَــتْ بُحَيْـرَتُـهَـــا

وَرُدَّ وَارِدُهَـــا بِالغَيْـــظِ حِـــينَ ظَمِـــي

كَــأَنَّ بِالنَّــارِ مَــا بِالـمَـــاءِ مِــنْ بَلَـــلٍ

حُزْنــاً وَبِالـمَـــاءِ مَــا بِالنَّــارِ مِــنْ ضَرَمِ

وَالجِـــنُّ تَـهْـتِـــفُ وَالأَنْـــوَارُ سَاطِعَـــةٌ

وَالـحَـقُّ يَظْـهَـرُ مِـنْ مَعْنـىً وَمِـنْ كَلِـمِ

عَمُــوا وَصَــمُّوا فَـإِعْلاَنُ البَـشَائِــرِ لَـــمْ

تُسْـمَعْ وَبَـارِقَـــةُ الإِنْـذَارِ لَـــمْ تُـــشَمِ

مِــنْ بَعْـدِ مَــا أَخْبَـــرَ الأَقْــوَامَ كَاهِنُـــهُمْ

بِــأَنَّ دِينَـــهُمُ الـمُـعْـــوَجَّ لَـــمْ يَـقُـــمِ

وَبَـــعْدَ مَا عَايَـنُوا فِي الأُفْـقِ مِـنْ شُـهُبٍ

مُـنْـقَـضَّةٍ وَفْـقَ مَـا فِي الأَرْضِ مِنْ صَـنَمِ

حَـتَّى غَـدَا عَنْ طَرِيـقِ الـوَحْيِ مُـنْـهَــزِمٌ

مِنَ الشَّيَـاطِـينِ يَـقْـفُــو إِثْـرَ مُـنْـهَــزِمِ

كَـأَنَّـــــهُمْ هَرَبـــاً أَبْـطَـــالُ أَبْــرَهَـــةٍ

أَوْ عَسْكَـرٌ بِالـحَصَى مِنْ رَاحَتَيْــهِ رُمِـي

نَبْــذاً بِــهِ بَعْـدَ تَسْبِيـــحٍ بِبَطْـنِهِمَـــا

نَبْذَ الـمُسَبِّـحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَـقِمِ

جَــاءَتْ لِدَعْوَتِــهِ الأَشْــجَارُ سَــاجِدَةً

تَـمْشِــي إِلَيْــهِ عَـلَى سَـاقٍ بِـلاَ قَـدَمِ

كَـأَنَّـمَـا سَطَـرَتْ سَطْراً لِـمَــا كَـتَـبَتْ

فُـرُوعُــهَا مِـنْ بَـدِيعِ الـــخَطِّ بِاللَّــقَمِ

مِثْــلَ الغَمَـامَـــةِ أَنَّـــى سَــارَ سَائِـــرَةً

تَـقِيـهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيـرِ حَـمِـي

أَقْسَـــمْتُ بِالقَمَـــرِ الـمُـنْشَـــقِّ إِنَّ لَـهُ

مِـنْ قَـلْبِــهِ نِـسْبَــةً مَـبْــرُورَةَ القَـــسَمِ

وَمَـا حَـوَى الغَـارُ مِـنْ خَيْــرٍ وَمِـنْ كَـرَمٍ

وَكُـلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُـفَّــارِ عَنْـهُ عَمِـي

فَالصِّدْقُ فِي الغَـارِ وَالصِّدِّيـقُ لَـمْ يَـرِمَــا

وَهُــمْ يَـقُولُـــونَ مَــا بِالغَــارِ مِـــنْ أَرِمِ

ظَـنُّوا الـحَمَـامَ وَظَـنُّوا العَنْـكَبُوتَ عَـلَى

خَيْـرِ البَـرِيَّـةِ لَـمْ تَـنْسُـجْ وَلَـمْ تَـحُــمِ

وِقَـايَـــةُ اللهِ أَغْنَــتْ عَـنْ مُـضَاعَـفَـــةٍ

مِـنَ الـدُّرُوعِ وَعَـنْ عَـالٍ مِـنَ الأُطُـمِ

مَا سَامَنِـي الدَّهْـرُ ضَيْمـاً وَاسْتَجَـرْتُ بِـهِ

إِلاَّ وَنِـلْــتُ جِـوَاراً مِنْـهُ لَـمْ يُـضَـمِ

وَلاَ الْـتَـمَـسْتُ غِنَـى الدَّارَيْــنِ مِـنْ يَـدِهِ

إِلاَّ اسْتَـلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْـرِ مُـسْتَـلَمِ

لاَ تُـنْـكِــرِ الــوَحْيَ مِـنْ رُؤْيَـاهُ إِنَّ لَـهُ

قَـلْبــاً إِذَا نَــامَتِ العَـيْـنَـانِ لَـمْ يَـنَمِ

وَذَاكَ حِـــينَ بُـــلُوغٍ مِـــن نُـبُـوَّتِـــهِ

فَلَيْسَ يُـنْـكَـرُ فِـيــهِ حَالُ مُـحْـتَلِـمِ

تَـبَـــارَكَ اللهُ مَـــا وَحْـيٌ بِمُـكْـتَـسَـــبٍ

وَلاَ نَبِـــيٌّ عَـــلَى غَيْـــبٍ بِمُـتَّـهَـــمِ

كَــمْ أَبْـــرَأَتْ وَصِـبـاً بِــاللَّمْسِ رَاحَتُـهُ

وَأَطْـلَــقَتْ أَرِبـاً مِــنْ رِبْـقَـــةِ اللَّمَـمِ

وَأَحْيَـــتِ السَّنَـــةَ الشَّهْبَـــاءَ دَعْوَتُـــهُ

حَـتَّى حَـكَتْ غُـرَّةً فِي الأَعْـصُـرِ الـدُّهُمِ

بِعَــارِضٍ جَــادَ أَوْ خِلْــتُ البِطَــاحَ بِـهَــا
سَـيْبٌ مِـنَ اليَــمِّ أَوْ سَيْــلٌ مِـنَ العَـرِمِ
دَعْنِــي وَوَصْفِــيَ آيَــاتٍ لَـهُ ظَـهَــرَتْ
ظُـــهُورَ نَــارِ القِـرَى لَـيْلاً عَــلَى عَلَـمِ
فَالــدُّرُّ يَــزْدَادُ حُسْــناً وَهــوَ مُـنْـتَـظِــمٌ
وَلَيْسَ يَـنْــقُصُ قَـدْراً غَيْــرَ مُـنْـتَـظِـمِ
فَمَــــا تَطَــاوُلُ آمَــالِ الـمَدِيـــحِ إِلَى
مَـا فِـيــهِ مِـنْ كَـرَمِ الأَخْـلاَقِ وَالشِّـيَمِ
آيَــاتُ حَـقٍّ مِـنَ الـرَّحْــمَنِ مُـحْدَثَــةٌ
قَدِيمَــةٌ صِفَــةُ الـمَوْصُــوفِ بِالقِــدَمِ
لَـمْ تَـقْـتَــرِنْ بِـزَمَــانٍ وَهـيَ تُـخْبِـرُنَــا
عَــنِ الـمَعَــادِ وَعَــنْ عَــادٍ وَعَــنْ إِرَمِ
دَامَــتْ لَدَيْنَــا فَـفَاقَــتْ كُــلَّ مُعْجِـزَةٍ
مِــنَ النَّبِـيِّــينَ إِذْ جَــاءَتْ وَلَــمْ تَــدُمِ
مُـحَـكَّمَـاتٌ فَمَــا تُـبْـقِــينَ مِـنْ شُـبَــهٍ
لِـذِي شِـقَاقٍ وَمَـا تَـبْغِــينَ مِـنْ حَكَـمِ

مَـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إِلاَّ عَـادَ مِـنْ حَـرَبٍ
أَعْدَى الأَعَـادِي إِلَـيْـهَا مُـلْـقِـيَ السَّـلَمِ
رَدَّتْ بَلاَغَـتُـهَـــا دَعْـــوَى مُعَـارِضِهَـــا
رَدَّ الغَـيُـورِ يَدَ الـجَانِــي عَـنِ الـحُــرَمِ
لَـهَـــا مَعَـــانٍ كَمَـــوْجِ البَحْـــرِ فِي مَـــدَدٍ
وَفَـوْقَ جَوْهَـرِهِ فِــي الـحُــسْنِ وَالقِـيَمِ
فَمَــا تُـعَــدُّ وَلاَ تُـحْصَـــى عَجَـائِـبُــهَا
وَلاَ تُسَـــامُ عَـــلَى الإِكْـثَـــارِ بِالسَّـــأَمِ
قَـرَّتْ بِــهَا عَـيْنُ قَـارِيــهَا فَقُــلْتُ لَـهُ
لَـقَـــدْ ظَـفِـــرْتَ بِحَبْــلِ اللهِ فَاعْتَصِـــمِ
إِنْ تَـتْـلُــهَا خِيفَـــةً مِـنْ حَـرِّ نَـارِ لَظَـى
أَطْـفَـأْتَ حَـرَّ لَظَـى مِـنْ وِرْدِهَـا الشَّـبِمِ
كَـأَنَّــهَا الـحَوْضُ تَـبْـيَــضُّ الوُجُـوهُ بِـهِ
مِـنَ العُصَـاةِ وَقَـدْ جَـاءُوهُ كَالـحُـــمَمِ
وَكَالصِّـــــرَاطِ وَكَـالـمِيـــــزَانِ مَعْدِلَـــةً
فَالقِـسْطُ مِنْ غَيْـرِهَا فِي النَّاسِ لَـمْ يُـقِـمِ

لاَ تَـعْـجَـبَــنْ لِـحَسُــودٍ رَاحَ يُـنْـكِــرُهَا

تَـجَاهُـلاً وَهوَ عَـيْــنُ الــحَاذِقِ الفَهِـمِ

قَدْ تُـنْـكِـرُ العَيْـنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَـدٍ

وَيُـنْـكِـرُ الفَمُّ طَعْـمَ الـمَــاءِ مِـنْ سَـقَمِ

يَــا خَــيْرَ مَــنْ يَمَّــمَ العَــافُونَ سَاحَتَــهُ

سَعْيــاً وَفَــوْقَ مُــتُونِ الأَيْــنُــقِ الرُّسُـمِ

وَمَــنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُـبْــرَى لِـمُعْـتَبِــرٍ

وَمَنْ هُوَ النِّـعْمَـةُ العُظْـمَى لِـمُغْـتَنِــمِ

سَرَيْــتَ مِــنْ حَــرَمٍ لَــيْلاً إِلَى حَــرَمٍ

كَمَـا سَـرَى البَـدْرُ فِـي دَاجٍ مِنَ الظُّـلَـمِ

وَبِــتَّ تَـرْقَــى إِلَى أَنْ نِلْــتَ مَنْـزِلَــةً

مِنْ قَـابِ قَـوْسَـيْنِ لَـمْ تُدْرَكْ وَلَـمْ تُــرَمِ

وَقَـدَّمَـتْــكَ جَـمِــيعُ الأَنْـبِيَــاءِ بِـهَــا

وَالـرُّسْـلِ تَـقْـدِيمَ مَـخْـدُومٍ عَـلَى خَـدَمِ

وَأَنْــتَ تَـخْـتَـرِقُ السَّـبْعَ الطِّـبَـاقَ بِــهِمْ

فِي مَوْكِـبٍ كُنْـتَ فِيــهِ صَـاحِبَ العَلَـمِ

حَتَّـى إِذَا لَـــمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِـمُـسْـتَبِــقٍ

مِــنَ الـدُّنُـــوِّ وَلاَ مَــرْقىً لِـمُسْـتَــنِمِ

خَفَضْـــتَ كُـــلَّ مَـقَـــامٍ بِالإِضَافَـــةِ إِذْ

نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْـلَ الـمُـفْـرَدِ العَــلَمِ

كَـيْمَـــا تَـــفُوزَ بِوَصْــلٍ أَيِّ مُـسْتَتِــرٍ

عَـنِ العُيُــونِ وَسِــرٍّ أَيِّ مُـكْـتَـتَــمِ

فَحُــزْتَ كُــلَّ فَخَـارٍ غَيْــرَ مُشْتَــرَكٍ

وَجُــزْتَ كُــلَّ مَـقَـــامٍ غَيْــرَ مُــزْدَحَمِ

وَجَــلَّ مِقْــدارُ مَــا وُلِّيــتَ مِــنْ رُتَــبٍ

وعَـــزَّ إِدْرَاكُ مَــا أُولِــيتَ مِــن نِعَــمِ

بُشْـــرَى لَـنَــا مَعْشَــرَ الإِسْـلاَمِ إِنَّ لَـنَــا

مِـنَ العِنَـايَـــةِ رُكْـنـاً غَيْــرَ مُـنْـهَــدِمِ

لَـمَّـــا دَعَـــا اللهُ دَاعِـينَــا لِطَـاعَتِـــهِ

بِأَكْـــرَمِ الرُّسْــلِ كُـنَّــا أَكْــرَمَ الأُمَــمِ

رَاعَـتْ قُــلُوبَ العِـدَا أَنْـبَـاءُ بِعْـثَـتِــهِ

كَـنَبْــأَةٍ أَجْـفَــلَتْ غُفْـلاً مِــنَ الغَـنَمِ

مَـا زَالَ يَـلْـقَـاهُمُ فـِي كُـلِّ مُعْـتَـرَكٍ

حَتَّى حَكَـوْا بِالقَـنَـا لَـحْمـاً عَـلَى وَضَـمِ

وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ

أَشْـلاءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبَـانِ وَالـرَّخَمِ

تَـمْضِـي اللَّـيَـالِـي وَلاَ يَـدْرُونَ عِدَّتَـهَـا

مَا لَـمْ تَـكُنْ مِنْ لَيَالِـي الأَشْهُـرِ الـحُرُمِ

كَـأَنَّمَـا الـدِّينُ ضَيْـفٌ حَـلَّ سَاحَتَـهُمْ

بِكُـلِّ قَـرْمٍ إِلَى لَـحْـمِ العِـدَا قَـرِمِ

يَـجُـرُّ بَحْـرَ خَـمِـيسٍ فَـوْقَ سَابِحَـةٍ

يَـرْمِـي بِمَـوْجٍ مِـنَ الأَبْـطَـالِ مُلْـتَـطِمِ

مِـنْ كُـلِّ مُـنْـتَـدِبٍ لله مُـحْـتَسِـبٍ

يَسْـطُو بِمُسْـتَأْصِلٍ لِلْـكُـفْرِ مُصْطَـلِمِ

حَتَّـى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإِسْـلاَمِ وَهْـيَ بِـهِمْ

مِـنْ بَعْـدِ غُـرْبَـتِـهَا مَـوْصُولَـةَ الـرَّحِمِ

مَـكْـفُولَـةً أَبَـداً مِنْـهُمْ بِخَيْـرِ أَبٍ

وَخَيْـرِ بَعْـلٍ فَـلَـمْ تَـيْـتَـمْ وَلَـمْ تَئِـمِ

هُـمُ الجِـبَــالُ فَسَـلْ عَنْــهُمْ مُصَادِمَــهُمْ
مَـاذَا رَأَى مِنْــهُمُ فِــي كُـلِّ مُصْطَــدَمِ
وَسَـلْ حُنَـيْنـاً وَسَـلْ بَـدْراً وَسَـلْ أُحُـداً
فُصُولُ حَتْـفٍ لَــهُمْ أَدْهَـى مِـنَ الـوَخَمِ
الـمُصْدِرِي البِـيضِ حُـمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِــنَ العِــدَا كُــلَّ مُسْــوَدٍ مِــنَ اللِّمَــمِ
وَالكَاتِبِــينَ بِسُـمْرِ الــخَطِّ مَـا تَــرَكَتْ
أَقْلاَمُــهُمْ حَرْفَ جِسْـمٍ غَيْــرَ مُنْعَجِمِ
شَـاكِـي السِّـلاَحِ لَـهُمْ سِيمَـا تُـمَـيِّــزُهُمْ
وَالــوَرْدُ يَمْتَــازُ بِالسِّيمَــا عَــنِ السَّــلَمِ
تُـهْـدِي إِلَـيْــكَ رِيَـاحُ النَّصْــرِ نَشْــرَهُمُ
فَـتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِـي الأَكْمَـامِ كُـلَّ كَمِي
كَـأَنَّــهُمْ فِـي ظُـهُورِ الـخَيْـلِ نَــبْتُ رُبـاً
مِنْ شِدَّةِ الـحَـزْمِ لاَ مِـنْ شَـدَّةِ الـحُــزُمِ
طَارَتْ قُـلُوبُ العِدَا مِـنْ بَــأْسِهِمْ فَـرَقـاً
فَمَــا تُـفَــرِّقُ بَــيْنَ البَــهْمِ وَالبُــهَمِ

وَمَــنْ تَــكُنْ بِـرَسُـــولِ اللهِ نُصْـرَتُـــهُ
إِنْ تَـلْـقَــهُ الأُسْـدُ فِي آجَـامِهَـا تَـجِـمِ
وَلَـنْ تَـرَى مِـنْ وَلِــيٍّ غَـيْـرِ مُـنْـتَصِـرٍ
بِــهِ وَلاَ مِــنْ عَـدُوٍّ غَـيْــرِ مُـنْـقَـصِــمِ
أَحَــلَّ أُمَّــتَــهُ فِــي حِــرْزِ مِلَّـتِـــهِ
كَاللَّـيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْـبَـالِ فِـي أَجَـمِ
كَـمْ جَدَّلَــتْ كَلِمَــاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ
فِـيـهِ وَكَمْ خَصَـمَ البُــرْهَانُ مِـنْ خَصِـمِ
كَفَــاكَ بِــالعِلْمِ فِـــي الأُمِّـــيِّ مُعْجِــزَةً
فِي الـجَاهِـلِـيَّـةِ وَالتَّـأْدِيـبِ فِـي الـيُـتُـمِ
خَدَمْـتُــــهُ بِمَـــدِيحٍ أَسْتَقِيــــلُ بِـــهِ
ذُنُـوبَ عُمْـرٍ مَضَـى فِـي الشِّعْرِ وَالخِـدَمِ
إِذْ قَـلَّـدَانِــيَ مَـا تُـخْشَــى عَـوَاقِبُـــهُ
كَـأَنَّــنِـــي بِـهِمَـــا هَـدْيٌ مِـنَ النَّــعَمِ
أَطَـعْتُ غَيَّ الصِّبَـا فِي الـحَالَـتَــيْنِ وَمَـا
حَصَّـــلْتُ إِلاَّ عَـــلَى الآثَــامِ وَالنَّــدَمِ

فَيَـا خَسَـارَةَ نَـفْـسٍ فِـي تِجَـارَتِــهَا

لَـمْ تَـشْـتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْـيَـا وَلَـمْ تَـسُمِ

وَمَـــنْ يَـبِـــعْ آجِـــلاً مِنْـــهُ بِعَاجِلِـــهِ

يَـبِنْ لَـهُ الغَـبْنُ فِـي بَـيْـعٍ وَفِـي سَـلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْبـــاً فَمَـــا عَهْـدِي بِمُنْـتَـقِـضٍ

مِـــنَ النَّبِـــيِّ وَلاَ حَبْلِـــي بِمُنْصَـــرِمِ

فَـــإِنَّ لِـــي ذِمَّـــةً مِنْــهُ بِـتَـسْمِـيَـتِـــي

مُـحَـمَّداً وَهوَ أَوْفَـى الـخَـلْـقِ بِالـذِّمَمِ

إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ فِـي مَعَـادِي آخِـذاً بِـيَـدِي

فَضْـــلاً وَإِلاَّ فَـقُـــلْ يَـــا زَلَّـــةَ القَـــدَمِ

حَاشَــاهُ أَنْ يُـحْـــرِمَ الرَّاجِـي مَكَـارِمَـــهُ

أَوْ يَـرْجِـعَ الـجَـارُ مِنْـهُ غَيْـرَ مُـحْـتَـــرَمِ

وَمُـنْـذُ أَلْــزَمْـتُ أَفْـكَـــارِي مَـدَائِحَـــهُ

وَجَدْتُــهُ لِـخَــلاَصِـــي خَيْـــرَ مُـلْـتَـــزِمِ

وَلَـــنْ يَـفُـــوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يَـداً تَـرِبَــتْ

إِنَّ الـحَـيَـا يُـنْـبِـتُ الأَزْهَارَ فِـي الأُكُـمِ

وَلَـمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْـيَـا الَّتِي اقْـتَطَـفَـتْ

يَـدَا زُهَيْـــرٍ بِمَـــا أَثْـــنَى عَـلَى هَــرِمِ

يَـا أَكْـرَمَ الـخَلْــقِ مَـا لِي مَـنْ أَلُــوذُ بِـهِ

سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الـحَــادِثِ العَمِـمِ

وَلَــنْ يَضِـيقَ رَسُــولَ اللهِ جَاهُــكَ بِــي

إِذَا الكَــرِيمُ تَـجَــلَّى بِاسْــمِ مُـنْـتَــقِمِ

فَــإِنَّ مِــنْ جُــودِكَ الدُّنْـيَــا وَضَرَّتَـهَــا

وَمِــنْ عُلُومِــكَ عِلْـمَ اللَّــوْحِ والقَلَـمِ

يَا نَـفْسِ لاَ تَــقْنِطِــي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُــمَتْ

إِنَّ الكَـبَـائِـرَ فِــي الغُـفْـرَانِ كَاللَّــمَمِ

لَعَــلَّ رَحْـمَــةَ رَبِّــي حِـينَ يَـقْسِمُــهَا

تَـأْتِـي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فِـي القِسَـمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائـِي غَيْــرَ مُـنْعَـكِـسٍ

لَــدَيْكَ وَاجْعَــلْ حِسَــابِي غَـيْرَ مُنْخَـرِمِ

وَالْطُــفْ بِعَبْــدِكَ فِي الــدَّارَيْنِ إِنَّ لَــهُ

صَــبْراً مَتَــى تَدْعُــهُ الأَهْــوَالُ يَنْهَــزِمِ

وَائْـذَنْ لِسُـحْبِ صَـلاَةٍ مِنْـكَ دَائِـمَـةٍ

عَـلَى النَّبِـيِّ بِمُنْـهَـلٍّ وَمُـنْسَـجِمِ

مَـا رَنَّحَـتْ عَذَبَـاتِ البَـانِ رِيـحُ صَـباً

وَأَطْـرَبَ العِـيسَ حَادِي العِـيسِ بِالنَّـغَمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

شرح البردة الشريفة

لقد جرت عادة الشعراء بأنهم يُـجَـرِّدون مـن أنفسـهم شخصـاً يحاورونه دلالاً وعتاباً ، وسؤالاً وجواباً .

ولـمّـا أراد الناظم براعة المطلع ، جرّد من نفسـه شخصـاً مُـزج دمعه بدمه ، فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له :

أَمِـــنْ تَـــذَكُّرِ جِـــيرَانٍ بِـــذِي سَـــلَمِ
مَزَجْـتَ دَمْعـاً جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

تنبيه :

إن من عادة كل مؤلـف الابتـداء بالبسـملة ، ثـم الحمدلـة ، ثـم الصلاة على النبيﷺ ؛ وذلك ليكون مؤلفاً مباركاً غير مبتور .

ولعل الناظم هنا رحمه الله تعالى قـد فعـل ذلـك نطقـاً لا كتابـة ، وهذا يفي بالغرض كما ذكر ذلك الفقهاء والعلماء رضي الله عنهم .



١ - أَمِــنْ تَــذَكُّرِ جِــيرَانٍ بِــذِي سَــلَمِ
مَزَجْــتَ دَمْعــاً جَــرَى مِــنْ مُقْلَــةٍ بِــدَمِ

الإعراب الموجز

(**أَمِنْ**) : الهمزة للاستفهام ، و(مِنْ) بكسر الميم : حرف تعليل وجر متعلقة بـ (مَزَجْتَ) .
(**تَذَكُّرِ**) : مجرور بـ (مِنْ) .
(**جِيرَانٍ**) بكسر الجيم : مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله بعد حذف فاعله .
(**بِذِي**) : الباء حرف جر ، و(ذِي) مجرور .
(**سَلَمِ**) بفتحتين : مضاف إليه .
(**مَزَجْتَ**) بفتح التاء : فعل وفاعل .
(**دَمْعاً**) : مفعول به .
(**جَرَى**) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود على (دَمْعاً) ، والجملة نعت له .
(**مِنْ مُقْلَةٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (جَرَى) بإفادته التوكيد ، حيث الدمع لا يجري من غير مقلة .
(**بِدَمِ**) : جار ومجرور .

تفسير الكلمات

(**أَمِنْ**) : أي مِن أجل .
(**تَذَكُّرِ**): مصدر تَذَكَّرَ كتَفَعَّلَ، مأخوذ من الذُكْر وهو ضد النسيان.

(**جِيرَانٍ**) : جمع جار .
(**بِذِي سَلَمِ**) : (سَلَمِ) نوع من الشجر . و(ذِي سَلَمِ) هو موضع بين مكة والمدينة قريب من قَديد .
(**مَزَجْتَ**) : خَلَطْتَ .
(**دَمْعاً**) : الدمع هو الماء المالح السائل من العين ، فإن كان من حُزن فهو ساخن، وإن كان من فرح وسرور فهو بارد .
(**جَرَى**) : سال بشدة ؛ لذا يُلاحظ بأنَّ الناظم عَبَّرَ به دون سال .
(**مِنْ مُقْلَةٍ**) : المُقلة هي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد ، وفيها الحدقة التي هي السواد الذي في وسط العين . وتلك الحدقة فيها الناظر ، ومن شدة صفائها كانت العين كالمرآة ، إذا استقبلها شخص رأى صاحبُها صورتَه فيها . ولقد أفرد الناظم هنا المقلة ؛ لأن العرب قد يطلقونها ونظائرها مفردة ويريدون بها المثنى ، كما قال بعضهم :
بَكَتْ عيني وحَقَّ لها بكاها وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ
(**بِدَمِ**) : الدم هو أحد الأمشاج الأربعة التي خُلِقَ منها الإنسان . ولقد كنّى الناظم بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء .

المعنى الكلي

يقول الناظم على سبيل السؤال والاستفهام لِمَن قَتَلَه الحب وأضناه الغرام ، وزاد شوقه ونحيبه ، وكَثُرَ وجده ولهيبه :
ما سبب اختلاط دمعِك الجاري من مقلتكَ بالدم ؟ أهو من تَذَكُّرِ جيرانك وأحبابك المقيمين بذي سَلَمِ ؟ فإن كان بسبب ذلك

فلا تُلام على فعلك ، حيث مَن تَـذَكَّرَ وَصْـلَ الأحبـاء والجـيران ، ومؤانسة الأصدقاء والأخـلاء ، يَهُـون عليـه مـزج الـدمع بالـدم ، وبذل الروح والجسم .

وكيف يُلام والحب أحرقه ؟ والشوق مزّقه ؟ والعشـق أقلقـه ؟ والنوم فارقه ؟ وصار كمن قال :

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاّ مَن يُكابِدُهُ ولا الصَّـبابَة إلاّ مَـن يُعانيهـا

وإن هذا البيت هو من براعة الاستهلال ، حيث بَيَّنَ ناظمـه فيـه أنَّ هذه القصيدة في مدح النبيﷺ ، حيث ذكر المواضع التـي بقـرب المدينة الشريفة .

كمـا وإن هذا البيت هو أول القصـيدة باتفـاق ، وأمّـا مـا شـاع على ألسنة الناس مِن قولهم :

الـحَمْـدُ لله مُنْشِــي الـخَلْــقِ مِـنْ عَـدَمِ
ثُــمَّ الصَّــلاَةُ عَـلَى الـمُخْتَــارِ مِــنْ قِـدَمِ

فليس منها قطعاً ، وإن كان ثناءً حسناً في ذاتهﷺ .

ثم بعد ذلك حصل له حيرة كعادة المحبين ، وغلبـة فكـر دخـل فيها في رِبْقَة المترددين ، فقال رحمه الله تعالى :

أَمْ هَبَّـــتِ الـــرِّيحُ مِـــنْ تِلْقَــاءِ كَاظِمَـــةٍ
وَأَوْمَـضَ الـبَرْقُ فِي الظَّلْمَــاءِ مِـنْ إِضَـمِ



٢ - أَمْ هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ
وَأَوْمَـضَ الـبَرْقُ فِي الظَّلْمَـاءِ مِـنْ إِضَـمِ

الإعراب الموجز

(**أَمْ**) : حرف عطف ، وهو معادل للهمزة في الاستفهام بهما .
(**هَبَّتِ الرِّيحُ**): فعل وفاعل في تأويل مفردٍ معطوف على (تَذَكُّرِ).
(**مِنْ تِلْقَاءِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (هَبَّتِ) .
(**كَاظِمَةٍ**) : مضاف إليه .
(**وَأَوْمَضَ البَرْقُ**) : فعل وفاعل معطوف على (هَبَّتِ الرِّيحُ) .
(**فِي الظَّلْمَـاءِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَوْمَضَ) على تقدير موصوفٍ بين الجار والمجرور، والتقدير: في الليلة الظلماء.
(**مِنْ إِضَمِ**) بكسر الهمزة : حال من (الظَّلْمَـاءِ) .

تفسير الكلمات

(**هَبَّتِ الرِّيحُ**) : أي هاجت .

والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي ، يهبُّ بمقدارٍ مخصوص في وقتٍ مخصوص .

وإذا أتت مفردة فالغالب أنها تكون للعذاب ، وإذا أتت مجموعة فالغالب أنها تكون للرحمة ، لذلك كان النبي ﷺ يقول : « اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً »[1] .

---

(١) أخرجه الطبراني وأبو يعلى ، وذكره الشافعي في كتابه الأم .

فالمعلوم أنَّ ريح العذاب واحدة وهي الدَّبور ، وأنَّ عليها خزنة . فعندما أراد الله تعالى هلاك قوم عاد فَعَتَتْ عليهم فخرجت من مقدار خاتم ، ولو خرجت من مقدار أنف ثور لأهلكت الدنيا . ولقد أفرد الناظم الريح هنا ؛ لأن الحب وإن كان عذباً فإنه مختلط بعذاب .

(**مِنْ تِلْقَاءِ**) : مِن ناحية ، أو مِن قرب .

(**كَاظِمَةٍ**) : اسم موضع بالقرب من المدينة المنورة .

(**وَأَوْمَضَ البَرْقُ**) : أي لمع خفياً .

والبرق عند الحكماء وأهل الهيئة نار تحدث عند شدة اصطكاك أجرام الهواء بعضها ببعض ، وأكثر ما تكون عند انتقال الزمان من البرد إلى الحر أو العكس ، ومن ذلك الاصطكاك تحدث أصوات الرعد .

وقيل : إن الرعد صوت مَلَك يزجر السحاب إلى الجهات التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، والبرق صورته .

(**فِي الظَّلْمَاءِ**) : أي في الليلة ذات الظلمة .

وقد اخْتُلِفَ في الظلمة ، فقيل : أمرٌ وجوديٌ يُضاد النور قائمٌ بالهواء ، وقيل : أمرٌ عدمي .

وإنما خَصَّ الناظم الليلة الظلماء في الذكر ؛ لأن الضوء في الظلمة أجلى .

(**إِضَمِ**) : اسم لجبل وقيل : لوادٍ بقرب المدينة المنورة .

المعنى الكلي

وحاصل معنى هذا البيت والذي سبقه ، أنَّ الناظم أراد بالجيران : الأحبة ، وبذي سَلَمٍ وكاظمةٍ وإِضَم : أمْكِنَتَهُم ، وبمزج الدمع بالدم : شدة البكاء . فاستفهم عن علة مزج الدمع بالدم : أهي تَذَكُّر الأحبة

الغائبين ؟ أم هبوب الريح من ناحية كاظمة ؟ أم لمعان البرق من ناحية إِضَم ؟ ولا شك أن كلاً من هذه المذكورات موجبٌ لكثرة البكاء وتزايد العبرات .

أما الأول : وهو التذكر ؛ فلأنه يحصل به التحسر على ما مضى مِن وَصْل الأحبة ، ومؤانسة الأصدقاء والأَخِلَّة .

وأما الثاني : وهو هبوب الريح من جهة كاظمة ؛ فلأن المحب دائماً يفكر في محاسن محبوبه التي هي جُلُّ قصده ، وتمامُ مرغوبه . فإذا هبّت الريح من جهة الموضع الذي هو فيه ، تَخَيَّلَ أنها تحمل روائحه إليه .

وأما الثالث : وهو إيماض البرق من إِضَم ؛ لأن مِن عادة المحبين المُتَيَّمِين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة ، حيث خفته ولطافته تذكرهم بصفات الأحبة ولطائفهم . وعند لمعان البرق أيضاً يتخيَّل المحب بأنه يرى ديار أحبائه ، فيكثر بكاؤه لتصوره مكان أحبته ، وتذكره صفات أهل أنسه ووِدادهم .

وقد أدخل الناظم الهمزة على أحد المعادلَيْن و(أَمْ) على الآخر، ووسّط بينهما ما لا يُسأل عنه وهو مزج الدمع بالدم، كقوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾[النازعات : ٢٧]. إلا أنّ الناظم جعل أحد المعادلَيْن جملة، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾ [الجن : ٢٥].

هذا ولما سأل الناظمُ عما ذُكِرَ ولم يَرُد عليه المسؤول جواباً ؛ لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الأمر ، بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرة ، نَزَّلَ الناظمُ المسؤولَ منزلة المنكِر ، وتعجّب من حاله على فرض صدقه في الإنكار ، فقال :

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ



٣- فَمَـا لِعَيْنَـيْـكَ إِنْ قُلْـتَ اكْفُفَـا هَمَتَـا
وَمَــا لِقَلْبِــكَ إِنْ قُلْــتَ اسْــتَفِقْ يَهِــمِ

الإعراب الموجز

(**فَمَـا**) : الفاء عاطفة ، و(مَـا) : اسـم اسـتفهام جعلهـا بعضـهم للإفصاح في موضع رفع على الابتداء .

(**لِعَيْنَـيْكَ**) : خبر المبتدأ .

(**إِنْ**) المكسورة الهمزة والساكنة النون : حرف شرط .

(**قُلْتَ**) : فعل الشرط في محل جزم .

(**اكْفُفَـا**) بضـم الفـاء الأولى وفـتح الثانيـة : فعـل أمـر وفاعـل ، والجملة في موضع نصب بـ (قُلْتَ) .

(**هَـمَتَـا**) : فعل ماض وفاعل ، والجملة جواب الشرط .

(**وَمَا**) : اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء .

(**لِقَلْبِكَ**) : خبر المبتدأ .

(**إِنْ قُلْتَ**) : حرف وفعل الشرط .

(**اسْتَـفِقْ**) : مَقُولُ (قُلْتَ) .

(**يَهِمِ**) : جواب الشرط . والأصل يهـيم ، وحـذفت اليـاء لالتقـاء الساكنين (الياء والميم) من أجل الجـزم ، وتحريـك المـيم بالكسر عارضٌ لحرف الرَّوي .

تفسير الكلمات

(**لِعَيْنَيْـكَ**) : تثنية عين .

(**اكْفُفَا**) : بمعنى احبسا وأمسكا دمعكمـا عن البكاء .

(**هَـمَتَا**): سالتا ، مأخوذٌ من الهيمـان وهو السيلان .
(**وَمَا لِقَلْبِكَ**) : أي ما لفؤادك .

والتحقيق أن القلب لحم صنوبري الشكل ، دقيق الأسفل ، غليظ الأعلى . وهو سر لطيف به يحصل الإدراك ، ويُعَـبَّرُ به بهذه الجارحة تقريباً للأذهان فقط .

(**اسْتَفِقْ**) : أَفِقْ مما أنت فيه .
(**يَهِمِ**) : يتحيّر ويتولّه .

والهيام داء كالجنون ينشأ من العشق وغـيره . يقـال : هـام في العشق ، أي لا يدري أين هو .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

إن كنـتَ تنكـر فـرط الوجـد في المحبـة والـوداد ، وتُظهـر السـلوى عن كوامِن لَواعِج الفؤاد ، فمـا لِعَيْنَيْـكَ إن أردتَ منهمـا الإمسـاك عن البكاء سالتا أشدّ السيلان ؟ وما لقلبـك إن طلبـت منـه الإفاقـة يهـيم في أوديـة التحـيّر غايـة الهيمـان ؟ فكـل مـن هـذين الأمـرين المذكورين من آثار الحب .

وهنا كذلك لم يجـد المسـؤول جوابـاً ، وأفحمـه السـائل بالسـؤال المسكوت ، فرجـع السـائل في تغليظـه في إنكـار حالـة الحـب التـي لا تُخفى ، ثم التفت السائل من الخطاب إلى الغيبة فقال منكراً :

أَيَـحْسَـــبُ الصَّـــبُّ أَنَّ الحُـــبَّ مُنْكَـــتِمٌ
مَـــا بَـــيْنَ مُنْسَـــجِمٍ مِنْـــهُ ومُضْـــطَرِمِ



٤ - أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ

الإعراب الموجز

(أَيَحْسَبُ) : الهمزة للاستفهام التوبيخي الإنكاري ، و(يَحْسَبُ) مضارع حَسِبَ المتعدي لاثنين .

(الصَّبُّ) : فاعله .

(أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(الحُبَّ) : اسم (أَنَّ) .

(مُنْكَتِمٌ) : خبرها .

وأنَّ واسمها وخبرها في تأويل مصدرٍ سَدَّ مَسَدَّ مفعولي (يَحْسَبُ).

(مَا) : زائدة .

(بَيْنَ) : منصوب على الظرفية المكانية .

(مُنْسَجِمٍ) : مضاف إليه على تقدير موصوف بين المُتَضايفَيْن .

(مِنْهُ): جار ومجرور متعلق بـ (مُنْسَجِمٍ)، والهاء ضمير (الصَّبُّ).

(وَمُضْطَرِمِ) : معطوف على (مُنْسَجِمٍ) .

تفسير الكلمات

(يَحْسَبُ) : يظن .

(الصَّبُّ) : العاشق ، مأخوذ من قولهم : صُبَّ الماء ؛ لأنه إذا اشتد به العشق بكى كثيراً ، فيَنْصَبُّ الدمع من عينيه صباً .

وقال بعضهم: مأخوذ من الصبابة، وهي رقة العيش وحرارته.

(الْحُبَّ) : المحبة ، أو صفاء الحال بين المُحِب والمحبوب .
(مُنْكَتِمٌ) : مستتر عن الناس .
(مُنْسَجِمٍ) : المنسجم هاطل منحدر . وهو السائل ، مأخوذ من قولهم : انسجم الماء أي سال .
(مُضْطَرِمِ) : المضطرم هو المشتعل بنار الحب والعشق ، أي متلبس بهما وملزوم لهما . فهو مأخوذ من قولهم : اضطرمت النار ، أي اشتعلت .

المعنى الكلي

يقول الناظم :
لا يظن العاشق الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب أنَّ الحب مستتر عن الناس ، فكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين ، والحاصل أنَّ ما استولى وظهرت آثاره لا يتأتى ستره أو إنكاره ، حينئذ فإنكار الحب غلط ، والأَوْلى له عدم الإنكار بعد ما ظهرت شواهد الآثار .

ثم إن المسؤول كأنه قال للسائل المصنف : سلّمنا إنكارك على الصب ظَنَّه خفاءَ حبه ، لكني لستُ بصب فما دليلك على ذلك ؟
فقال المصنف السائل :
لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ



٥- لَوْلاَ الهَـوَى لَمْ تُـرِقْ دَمْعـاً عَـلَى طَلَـلٍ
وَلاَ أَرِقْـــتَ لِـــذِكْرِ البَـــانِ وَالعَلَـــمِ

الإعراب الموجز

(**لَوْلاَ**): حرف امتناع لوجود ، يدل على امتناع الشيء لوجود غيره.
(**الهَوَى**) : مبتدأ حُذف خبره ، وتقديره موجود .
(**لَمْ تُرِقْ**) : جازم ومجزوم .
(**دَمْعاً**) : مفعول به .
(**عَلَى طَلَلٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُرِقْ) .
وجملة (لَمْ تُرِقْ) مع معموليها جواب (لَوْلاَ) لا محـل لهـا من الإعراب ؛ لأنها جواب شرط غير جازم .
(**وَلاَ أَرِقْتَ**) : الواو حرف عطف ، و(لاَ) زائـدة لتأكيـد النفـي ، والجملة معطوفة على جواب (لَوْلاَ) .
(**لِذِكْرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَرِقْتَ) .
(**البَانِ**) : مضاف إليه .
(**وَالعَلَمِ**) : معطوف على (البَانِ) .

تفسير الكلمات

(**الهَوَى**) : مصدر هَوِيَ إذا أحب ، فهو بمعنى الحب .
(**لَمْ تُرِقْ**) : أي لم تَصُب . يقال : أراق الماء ، أي صَبَّه .
(**دَمْعاً**) : الدمع ما يسيل من العين .
(**طَلَلٍ**) : هو ما شَخَصَ وارتفع من آثار الديار ، والجمع أطلال .
(**أَرِقْتَ**) : سهرتَ .

(**البَانِ**) : شجر طيب الريح يُتَّخَذُ منه دهنٌ يُعرف بدهن البان .
(**العَلَمِ**) : يُطلق العَلَمُ على الجبل والرمح .

المعنى الكلي

يقول الناظم :
لولا محبتك وهواك لَمَا بكيتَ على آثار ديار الأحباب ، ولَمَا ذهب نومك لذكر أشجار البوادي وجبال المنازل .

وهنا شبّه المحبوبَ بهما في طيب الرائحة ، وحسن الهيئة ، وطول القامة .

وإنما أورثه ذكرُهما السهرَ ؛ لأن النوم يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة إلى الدماغ ، وإن المحب تكثر حرارته فتنتفي عنه الرطوبة وتذهب ، فحينئذ لا ينام .

وكذلك فإن الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب ، وإن المحب يُلهيه حبه عن أكله وشربه ، فتنتفي رطوبته وتتصاعد حرارته ، لا سيما إذا ذَكَرَ ما عاهد عليه أحبابَه .

وكما هو معلوم بأن المحب لا يبكي إلا إذا غلبه ذِكْرُ الحبيب ، كما أن المريض لا يتمنى إلا لقاء الطبيب .

ولـمّا أورد المصنفُ السائلُ على المخاطَب الحججَ الدالة على أنه محب حتى لم يَبْقَ له عذر ، أقبل عليه بالخطاب وقال منكراً عليه بصورة الاستفهام :

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ



٦- فَكَيْفَ تُنْــكِرُ حُبّاً بَعْـدَ مَـا شَـهِدَتْ
بِـــهِ عَلَيْــكَ عُـــدُولُ الـــدَّمْعِ وَالسَّـــقَمِ

الإعراب الموجز

(**فَكَيْفَ**) : الفاء للإفصاح ؛ لأنهـا أفصـحت عـن شيء محـذوف ، والتقدير : إذا قامت عليك الأدلة فكيف تنكر ؟

و(كَيْفَ) : حال مقدمة متضمنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار .

(**تُنْكِرُ**): فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت.

(**حُبّاً**) : مفعول به .

(**بَعْدَ**) : ظرف (تُنْكِرُ) منصوب .

(**مَا**) : موصول حرفي .

(**شَهِدَتْ**) : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(**بِهِ**) ، (**عَلَيْكَ**) : جار ومجرور متعلقان بـ(شَهِدَتْ) .

(**عُدُولُ**) : فاعل (شَهِدَتْ) ، وهو مضاف .

(**الدَّمْعِ**) : مضاف إليه .

(**وَالسَّقَمِ**): معطوف على (الدَّمْعِ)، والمعطوف على المجرور مجرور.

وجملة (شَهِدَتْ) وما بعدها صـلة ، والضـمير في (بِـهِ) عائد على (مَا) ، والتقدير : بعد الذي شهدت به عليك .

تفسير الكلمات

(**فَكَيْفَ**) : استفهامية على وجه الإنكار ، ومعناها هنا التعجب .

(**تُنْكِرُ**) : تجحد ، والجُحْدُ هو النفي بعد العِلْمِ بخلافه قبل العلم .

(**حُبّاً**) : الحب ضد البغض .

(**شَهِدَتْ**) : أخبرتْ ودلّتْ .

وفيها استعارة تصريحية تبعية ، حيث شبّه الدلالةَ الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كلٍّ .

(**عُدُولُ**) : جمع عدل ، بمعنى عادل .

(**الدَّمْعِ**) : الماء السائل من العين .

(**وَالسَّقَمِ**) : إطالة المرض .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

كيف تُنكر أيها المخاطَبُ المحبةَ بعد ما شَهِدَتْ بها عليك عدولٌ من الدموع الهاطلة ، والأسقام المتنوعة ؟ أتنكر العشق الذي ظهرت علاماته ، والهوى الذي بانت بياناته ، بعد أن شَهِدَتْ به عليك لديَّ حكامُ المحبين ، وقضاة العاشقين ؟ وبعد أن ظهر عليك هذا النحول ورَدّاك بأردية الرَّدى ، وجَلْبَبَكَ بجلباب الصَغار والذبول ؟ هل هذا مقام ينفع فيه الإنكار ، أو يتيسّر فيه الاستتار ؟

ثم عطف عليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله :

وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ



٧- وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

الإعراب الموجز

(**وَأَثْبَتَ**) : الواو حرف عطف ، و(أَثْبَتَ) : فعل ماض معطوف على (شَهِدَتْ) في البيت الذي قبله .

(**الوَجْدُ**) : فاعل (أَثْبَتَ) .

(**خَطَّيْ**) : مفعول (أَثْبَتَ) ، وحُذفت نونه للإضافة .

(**عَبْرَةٍ**) : مضاف إليها .

(**وَضَنىً**) : معطوف على (خَطَّيْ) .

(**مِثْلَ**) منصوب على أنه نعت (خَطَّيْ) و(ضَنىً) .

(**البَهَارِ**) : مضاف إليه .

(**عَلَى خَدَّيْكَ**): جار ومجرور في موضع الحال من (خَطَّيْ) و(ضَنىً).

(**وَالعَنَمِ**) بفتح العين والنون : معطوف على (البَهَارِ) .

تفسير الكلمات

(**الوَجْدُ**) : هو الحزن .

(**خَطَّيْ**): تثنية خط ، وهو في اصطلاح المتكلمين ما يقبل القسمة طولاً.

(**عَبْرَةٍ**) : العبرة هي الدمعة ، مأخوذة من العبور : وهو الاجتياز من غير وقوف . وإنما سُمّيت الدمعة بها لتجاوزها حد الخدود ، وعدم إقامتها كأنها عابر سبيل .

(**ضَنىً**) : الضعف والهزال من المرض .

(**البَهَارِ**) : ورد أصفر طيب الرائحة .

(**عَلَى خَدَّيْكَ**) : على وجنتيك .

(**العَنَمِ**) : ورد أحمر .

ومراده هنا بتشبيه الخطين من الدموع بالعَنَم في الحمرة بانمزاج الدمع بالدم ، وبتشبيه أثر الضنى بالبهار في الصفرة . فكلامه فيه لفٌ ونشرٌ مشوش .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

يا مَن مقلته دائمة العبرة ، وكبده الحرّاء لا يزول التهابها ، كيف تُنكر المحبة والأشواق ؟ وكيف تُخفي قلبك المشتاق بعد شهادة عدول الدمع والسقم بها عليك ؟ وبعد إثبات الوجد المبرح خطين كالعبرة على خديك ، وذبول جسمك من الضنى ، وذوبانه من التذكار ، وحمرة دمعك مثل العَنَم ، واصفرار لونك مثل البهار ؟

إذاً فلا بد لك من الإقرار كما أقرّ بالهوى عند شهادة هؤلاء العدول بعضُ أهل الأسرار فقال :

يا مَن لهمْ في رُبْعِ قلبي مَسْكَنُ ... شَوْقي إليكُم وَصْفُه لا يُمْكِنُ

لولا الهوى ما ذاب جسمي بالضَّنى ... والدَّمْعُ لولا الوَجْدُ هلاّ يَسْكُنُ

عندي غرامٌ نحوكُمْ وتَشَوُّقٌ ... عن شَرْحِ أَيْسَرِهِ تكَلُّ الأَلْسُنُ

ولما كانت هذه الحجج واضحة ، وعلى كل شرف لائحة ، ولم يجد المخاطَب له بُدّاً من الإقرار ، أفصح مُقِرّاً بلسان المقال كما أقرّ بلسان الحال ، فقال :

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي

وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ



٨- نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْـوَى فَأَرَّقَنِـــي
وَالحُـــبُّ يَعْــتَرِضُ اللَّـــذَّاتِ بِـــالألَمِ

الإعراب الموجز

(**نَعَمْ**) : حرف جواب .

(**سَرَى**) : فعل ماض .

(**طَيْفُ**) : فاعل (سَرَى) .

(**مَنْ**) بفتح الميم : اسم موصول في موضع جر بالإضافة .

(**أَهْوَى**) : فعل مضارع مسندٌ إلى المتكلم ، والجملة صلة (مَـنْ) ، وعائده محذوف أي أهواه .

(**فَأَرَّقَنِي**) : معطوف على (سَرَى) ، وفاعله مستتر فيه يعـود عـلى (طَيْفُ) .

(**وَالحُبُّ**) : مبتدأ .

(**يَعْتَرِضُ**): فعل مضارع، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود على (الحُبُّ).

(**اللَّذَّاتِ**) : مفعول به .

(**بِالأَلَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَعْتَرِضُ) .

تفسير الكلمات

(**نَعَمْ**) : حرف تصديق .

فكأن المسؤول قال : صدقتَ أيها السائل فيمـا نسـبتَ إليَّ من الحب ، وإنمــا بكيـتُ وسـقمتُ مـن تـذكر الجـيران الذين كنتُ قد فارقتهم .

(**سَرَى**) : أي سار إليَّ ليلاً وأنا نائم .

(**طَيْفُ**) : هو الخيال في النوم .

(**مَنْ أَهْوَى**) : مَن أُحب ، فالهوى : المحبة والعشق .

(**فَأَرَّقَنِي**) : فأسهرني .

(**الحُبُّ**) : المحبة .

(**يَعْتَرِضُ**) : بمعنى يحول بينه وبين مراده .

(**اللَّذَّاتِ**) : جمع لذة ، وهي ما يُتَنَعَّمُ به .

(**بِالأَلَمِ**) : بالوجع .

فإن قلتَ: لِمَ أفرد المصنف الألم وجمع اللذات ؟ قلتُ: إنَّ كل فرد من أفراد اللذة الحاصلة في العشق مَشُوبٌ بجنس الألم ، ويكون فيه إشارة إلى شدة الألم ، وإلى أنه لم تخلُ لذة منه .

المعنى الكلي

إنه لما رأى كتمان الهوى وإخفاء الجوى ، بعد ما أفشى الدمع ما أخفاه ، وأظهر النحول ما طواه ، لم يجد نفعه فاعترف بالمحبة وأقرّ بالهوى ، فقال : نعم ، ابتليتُ بهذه النِّعَم .

وكأنه سئل عن سبب الأرق الذي اعتراه والقلق الذي تغشاه : هل هو مِن طارق الخيال وطيف الحبيب ؟ فقال :

نعم ، سرى طيف من أهواه ، وخيال من أتمنى رؤياه ، بعد ما كنت متمتعاً بالمشاهدة والوصال ، متلذذاً بالمحاورة والاتصال .

ولا غرو في هذا الحال ، فإن الحب يعترض اللذات بالألم ، ويشوب النِّعَمَ بالنِّقَمِ .

لهذا قال أحدهم :

فكُنَّا في اجتماعٍ كالثريّا   فصَيَّرَنا الزمانُ بناتِ نَعْشِ

واعلم أيها القارئ أن سبب الطيف : أنَّ النفس إذا ولعت بشيء حصل في القوة المُخَيِّلَة ، فيصير نصب عينيه ويراه في النوم ، فيحصل له نوع تسلٍّ ، وإن حصل له ألم حيث لم يجد من يهوى ولا خياله .

وفي ذلك قال بعضهم :

وزارني طيفُ مَن أهوى على حذرٍ مِنَ الوشاة وداعي الصبحِ قد هتفا
فكدتُ أُوقِظُ مَن حولي به فرحاً وكاد يهتك سترَ الحب بي شغفا
ثم انتبهتُ وآمالي تُجَنِّبني نيلَ المنى فاستحالتْ غِبطتي أسفا

تنبيه :

إنَّ مَن كرّر تلاوة هذا البيت بعد صلاة العشاء حتى غلبه النوم وكان صادقاً بذلك ، فإنه يرى النبيﷺ في منامه إن شاء الله تعالى .

وبعد هذا الاعتراف من المسؤول ، استشعر بلائمٍ يلومه في الحب ، حيث البيت السابق تضمن الإقرار بالمحبة ، والغالب أنَّ مَن أقرّ به يُلام ، فخاطب هذا اللائمَ بقوله :

يَا لائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ



٩- يَا لائِمِـي فِي الهَـوَى العُـذْرِيِّ مَعْـذِرَةً
مِنِّـــي إِلَيْـــكَ وَلَـــوْ أَنْصَـــفْتَ لَمْ تَلُـــمِ

الإعراب الموجز

(**يَا**) : حرف نداء .

(**لاَئِمِي**) : منادى مضاف إلى ياء المتكلم منصوب بفتحة مقدّرة على الميم.

(**فِي الهَوَى**) : جار ومجرور متعلق بـ (لاَئِمِي) .

(**العُذْرِيِّ**) بالذال المعجمة : صفة (الهَوَى) .

(**مَعْذِرَةً**) : مفعول لفعل محذوف .

(**مِنِّي**) ، (**إِلَيْكَ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (مَعْذِرَةً) .

(**وَلَوْ**) : حرف شرط .

(**أَنْصَفْتَ**) : فعل الشرط .

(**لَمْ تَلُمِ**) : جواب الشرط .

تفسير الكلمات

(**يَا لاَئِمِي**) : اللائم هو العاذل ، أي يا مَن يلومني ويَعْذِلُني .

(**فِي الهَوَى**) : أي في الوقوع في الحب .

(**العُذْرِيِّ**) : أي الحب المفرط ، وقد نُسب إلى بني عُذْرَة وهي قبيلة باليمن اشتهرت بداء العشق ، فكثير من شبانهم يؤدي بهم العشق إلى الموت ويهلكون بهذا المرض ؛ لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم .

(**مَعْذِرَةً**) : أي أقَدِّمُ معذرة ، والمعذرة هي ما يدفع به الإنسان عن نفسه مما عيبَ عليه فعله . ومعنى عَذَرْتُه : أي صفحتُ عنه ومَحَوْتُ إساءته .

(**أَنْصَفْتَ**) : عدلتَ .

(لَمْ تَلُمِ) : أي لكنك لمتَ فلم تُنصف بلومك .

المعنى الكلي

يقول مخاطباً اللائم :

يا مَن يلومني ويعذلني في محبة منسوبة إلى قوم من بني عُذرة ، لو كان لك إنصاف لم يكن منك ملامة . فقد بَلَغَتْكَ حالي ، وتَحَقَّقْتَ لوعتي وغرامي ، وليس سري مكتوماً عن الواشين ، ولا مرضي مقطوعاً . فكان المفروض منك أيها العاذل في الحب أن تعذرني ، وأن تكون عادلاً غير مُتَعَسِّفٍ بلومك . فالحب أمر ضروري ليس باختياري ، وخُلُقٌ جُبِلْتُ عليه ، ولا يلوم عاقلٌ أحداً على ما لا اختيار له فيه ، ولا يعذل لبيب على ما لا سبيل إليه .

وهذا قريب من قوله تعالى حكاية عن زليخة حين عُنِّفَتْ بحب يوسف عليه السلام ، بعد أن أبدت جماله للعاذلات ، وعرضت حسنه على اللائمات ، فوقعن في الحيرة والتيه ، قالت : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [يوسف :٣٢].

قال ابن الفارض في هذا المجال :

دَعْ عنكَ تعنيفي وذُقْ طعمَ الهوى ... فإذا عشقتَ فبعد ذلك عَنِّفِّ

نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا التوفيق والسداد ، والتسليم لأهل المحبة والعشق الإلهي .

ثم أخذ المصنف رحمه الله تعالى يستعطف العاذل لعلّه يَرِقُّ له فيقبل عذره ، فقال :

عَـــدَتْكَ حَالِــــيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِــــرٍ
عَـــنِ الوُشَـــاةِ وَلاَ دَائِـــي بِمُنْحَسِـــمِ



١٠- عَـدَتْكَ حَالِـــيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَـتِــرٍ
عَــنِ الوُشَـــاةِ وَلاَ دَائِـــي بِمُنْحَسِـــمِ

الإعراب الموجز

(**عَدَتْكَ**) : فعل ومفعول به مقدم .
(**حَالِـيَ**) : فاعل مؤخر .
(**لاَ**) : حرف نفي يعمل عمل ليس .
(**سِرِّي**) : اسم (لاَ) مضاف لياء المتكلم .
(**بِمُسْتَـتِـرٍ**) : خبر (لاَ) في موضع نصب .
(**عَنِ الوُشَاةِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُسْتَتِرٍ) .
(**وَلاَ**) : حرف نفي يعمل عمل ليس .
(**دَائِي**) : اسم (لاَ) .
(**بِمُنْحَسِمِ**) : جار ومجرور في موضع نصب خبر (لاَ) .

تفسير الكلمات

(**عَدَتْكَ**) : بَلَغَتْكَ وجاوَزَتْكَ حالي ، وقيل: أي لا أراك الله حالي ، وقيل غير ذلك كما قال بعض الشُّرّاح في هذه الكلمة .
(**حَالِـيَ**) : أمري .
(**لاَ**) : بمعنى ليس .
(**سِرِّي**) : السر هو الشيء المكتوم والخفي .
(**بِمُسْتَـتِـرٍ**) : بمنكتم .
(**عَنِ الوُشَاةِ**) : الوشاة جمع واشٍ وهو الكاذب النمام ، مأخوذ من الوشي وهو النقش والتزيين .

والمراد به هنا النميمة . وإنما سمي النمام واشياً ؛ لأنه يزين كلامه وينقشه لِيَـرُوجَ ويكون محبوباً لدى السامع له .

(**دَائِي**) : مرضي في الحب .

(**بِمُنْحَسِمِ**) : أي ليس بمنقطع حتى يُرجى زواله .

المعنى الكلي

يقول المصنف للآئم داعياً له ، مستعطفاً إياه ، طمعاً منه أن يريحه من إعياء الملامة ، وأن يتركه على ما هو عليه مِن الغرام : جاوَزَتْكَ وتَعَدَّتْ عنك مصيبتي ، فإنها لا يرتضيها مسلم لعدوه فضلاً عن أن يرتضيها أحد لأحبابه وأصدقائه .

وبعد أن استفسر اللائمُ العاذل عن حالته ، شرحها له بقوله :

يا مَن أطلق لسانه في الملامة لي ، لَعَمْري لا انحسام لدائي ، ولا انقطاع لرجائي ، فلا تسعى في هتك الأسرار ، فإنك لو ابتُليتَ بما ابتُليتُ به من الوجد والقلق والهيام لما أطَلْتَ على الصبِّ المُتَيَّمِ لسان الملامة .

ولـمّا أفصح العاذل أنه إنما أبدى عذلَه في صورة النصح ، وإنَّ أبغض شيء إلى المحب العذلُ على أي حال كان ، قال له :

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ



١١- مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

الإعراب الموجز

(**مَحَّضْتَنِي**) : فعل وفاعل ومفعول به أول .

(**النُّصْحَ**) : مفعول به ثانٍ .

(**لَكِنْ**) : حرف ابتداء واستدراك .

(**لَسْتُ**) : ليس واسمها .

(**أَسْمَعُهُ**): فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل نصب خبر ليس.

(**إِنَّ المُحِبَّ**) : إن واسمها .

(**عَنِ العُذَّالِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (صَمَمِ) ، حيث يتقدم عليه معمول المصدر في غير الظروف والمجرورات على الأصح .

(**فِي صَمَمِ**) : جار ومجرور خبر (إِنَّ) .

تفسير الكلمات

(**مَحَّضْتَنِي**): مأخوذ من المحض وهو الخالص، أي أخلصتَ لي .

(**النُّصْحَ**) : هو ضد الغش . والنصح والنصيحة بمعنى واحد ، وهو الدلالة على ما فيه الصلاح .

(**لَكِنْ**) : استدراكية تعني دَفْعَ تَوَهُّمٍ تَوَلَّدَ مِن كلامٍ سابق .

(**لَسْتُ أَسْمَعُهُ**) : أي لست أسمعه منك ، بمعنى لا أقبله .

(**إِنَّ المُحِبَّ**) : هنا أبدى عذره في عدم قبوله السماع ، أي لأن المحب المخلص في محبته .

(**عَنِ العُذَّالِ**) : هنا تقدير مضاف ، أي نُصْحهم . والعذال جمع عاذل ، وهو اللائم في الحب .

(فِي صَمَمِ) : أي في صمَمٍ عن سمـاع كلامهم .

قـال ر سول الله ﷺ : ((حبُّـكَ الشـــيء يعمـي ويصـم))[1] ، أي يُعميك عن رؤية عيوبه ، ويصمك عن سمـاعها .

والصمم هو ضعف في قوة السمع . قـال أهـل اللغـة : يقـال لضعف السمع : في أذنه وَقْرٌ ، فإن زاد فهو صَـمَمٌ ، فـإن زاد فهو طَرَشٌ ، فإن زاد حتى لا يَسمع الرعدَ القوي فهو صَنَجٌ .

وعبّر المصنف عن الصمم مبالغة في عدم القبول .

المعنى الكلي

يقول في هذا البيت :

لقد أخلصتَ النصيحة ونزّهتها عن التهمة والريبة ، ولكني لم أسـمعها مع علمي بكونها نصيحة خالصة ، وموعظة صالحة ؛ لأني محب وعـادة المحب الصادق العاشق المتيم أن لا يسمع نصح الناصحين ، ولا عـذل العاذلين ، ولا لوم اللائمين ، بل هذا كله عنده كالعـدم ؛ لأنـه في هـذه الحالة أعمى وأصم .

ولما اعترف له على طريـق التسـليم الجـدلي بأنـه مَحْضُ النُّصْـحِ ولم يرجع عن اللوم ، اتهمه في عذله فكأنه يسـأله : كيـف تتهمنـي في العذل ؟ فأجابه المصنف :

إِنِّي اتَّهَمْـــتُ نَصِـــيحَ الشَّـــيْبِ فِي عَـــذَلٍ
وَالشَّـــيْبُ أَبْعَـــدُ فِي نُصْـــحٍ عَـــنِ الـــتُّهَمِ



(١) رواه أبو داود والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً، وأحمد عن ابن أبي مريم.

١٢- إِنِّي اتَّـهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَـذَلٍ
وَالشَّـيْبُ أَبْعَـدُ فِي نُصْـحٍ عَـنِ الـتُّهَمِ

الإعراب الموجز

(**إِنِّي**) : إنَّ واسمها .
(**اتَّـهَمْتُ**) : فعل وفاعل ، والجملة خبر (إنَّ) .
(**نَصِيحَ**) : مفعول به لـ (اتَّـهَمْتُ) .
(**الشَّيْبِ**) : مضاف إليه .
(**فِي عَذَلٍ**) : اسم مصدر متعلق بـ (اتَّـهَمْتُ) .
(**وَالشَّيْبُ**) : مبتدأ .
(**أَبْعَدُ**) : خبر .
(**فِي نُصْحٍ**) : جار ومجرور .
(**عَنِ التُّهَمِ**) : جار ومجرور ، والجملة حال مرتبطة بالواو ، أي أن الشيب أبعد عن التهم في النصح .

تفسير الكلمات

(**اتَّـهَمْتُ**): من التهمة ، وهي ظن ما فيه ريبة غير مطابقة للواقع.
(**نَصِيحَ**) : بمعنى ناصح .
(**الشَّيْبِ**) : هو بياض الشعر .
(**فِي عَذَلٍ**) : في ملامة .
(**أَبْعَدُ**) : اسم تفضيل كأفعل .
(**فِي نُصْحٍ**) : أي أبعد النصحاء .
(**عَنِ التُّـهَمِ**) : جمع تهمة ، أي عن مواقع التهم .

المعنى الكلي

يقول المسؤول :

إني اتهمتُ كل ناصح حتى اتهمت الشيب في نصحه لي ، علماً أن الشيب أبعد النصحاء عن مواقع التهم .

ويصح أن نقول كذلك في المعنى :

إن عدم قولك لنصحك : (أيها الناصح) مع أنك قد أتيتَ بمحض النصيحة ليس ذلك ببعيد ، وليس ذلك بأول نصيحة خالفتُ فيها الناصحَ الشفوق ، ولا أول موعظة أصررتُ فيها على ما أنا عليه . فإني اتهمتُ ناصح الشيب الذي ليس في نصحه شك ولا ريب ، مع أنَّ الشيب الناصح ، والبياض الفاضح ، أبعد في النصح عن التهمة من كل ناصح .

ولما كان قوله : (إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ) يستلزم أنه لم يأخذ بقول ناصحه ، أخذ يُبَيِّنُ علة ما أجمله في ذلك فقال :

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ



١٣ - فَـإِنَّ أَمَّـارَتِي بِالسُّـوءِ مَـا اتَّعَظَـتْ
مِـنْ جَهْلِهَـا بِنَـذِيرِ الشَّـيْبِ وَالهَـرَمِ

الإعراب الموجز

(**فَإِنَّ**) : الفاء تعليلية ، و(إِنَّ) حرف توكيد ونصب .
(**أَمَّارَتِي**) : اسمها .
(**بِالسُّوءِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَمَّارَتِي) .
(**مَا**) : حرف نفي .
(**اتَّعَظَتْ**): فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود لـ (أَمَّارَتِي)، والجملة خبر (إِنَّ) .
(**مِنْ جَهْلِهَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (اتَّعَظَتْ) على أنه علة له .
(**بِنَذِيرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (اتَّعَظَتْ) ، وهو مضاف .
(**الشَّيْبِ**) : مضاف إليه .
(**وَالهَرَمِ**) : معطوف على (الشَّيْبِ) .

تفسير الكلمات

(**أَمَّارَتِي**) : أي نفسي الأمّارة .
(**بِالسُّوءِ**): هو الأمر الضار أو الفاحش، فهو اسم جامع للقبائح.
(**مَا اتَّعَظَتْ**) : أي ما قبلت الوعظ والنصح .
(**مِنْ جَهْلِهَا**): أي من أجل جهلها، فهو تعليل لقوله (مَا اتَّعَظَتْ).
(**بِنَذِيرِ**) : أي بمنذر الشيء . والإنذار هو التخويف ، أي بتخويف الشيء .

(**وَالهَرَمِ**) : هو كِبَرُ السن وضَعْفُ القِوى .

المعنى الكلي

إنَّ النفس الأمّارة التي هي في المرء غدّارة ، مِن شدة جهلها وفرط عُتُوِّها لم تتعظ بمواعظ الشيب ، ولم تنزجر بنذير الهرم عن العيب ، حيث الشيب نذير الموت ، والهرم دليل الفَوْت .

وقريب من ذلك قول الشاعر :

وقائلةً هلاَّ انتهيتَ عن الهوى ... فقد لاح صبحٌ في دُجاك عجيبُ
فقلتُ دعي عني الملامة ولوعتي ... فإن الكرى عند الصباح يطيب

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ



١٤- وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيـلِ قِـرَى
ضَـيْفٍ أَلَـمَّ بِـرَأْسِي غَـيْرَ مُحْـتَشِمِ

الإعراب الموجز

(**وَلاَ أَعَدَّتْ**) : معطوف على (اتَّعَظَتْ) في البيت السابق .
(**مِنَ الفِعْلِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَعَدَّتْ) .
(**الجَمِيلِ**) : نعت (الفِعْلِ) .
(**قِـرَى**) بكسر القاف وفتح الراء وبغير تنوين : مضاف منصوب على المفعولية بـ (أَعَدَّتْ) .
(**ضَيْفٍ**) : مجرور بإضافة (قِـرَى) إليه .
(**أَلَمَّ**): فعل ماض، وفاعله مستتر فيه جوازاً. والجملة نعت (ضَيْفٍ) .
(**بِرَأْسِي**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَلَـمَّ) .
(**غَيْرَ**): منصوب على الحال من فاعل (أَلَمَّ) المستتر فيه، وهي مضاف .
(**مُحْتَشِمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَلاَ أَعَدَّتْ**) : أي لم تُـهَيِّـئ .
(**مِنَ الفِعْلِ**) : من العمل .
(**الجَمِيلِ**) : هو المستحسن شرعاً أو عقلاً .
(**قِـرَى**) : مصدره قريتُ الضيف ، بمعنى أحسنتُ إليه .
(**ضَيْفٍ**) : زائر كريم .
(**أَلَـمَّ**) : حَلَّ ونزل .
(**غَيْرَ مُحْـتَشِمِ**) : غير مُسْتَحٍ .

المعنى الكلي

إنَّ النفس الأمارة ما اتعظت من جهلها ، ولا هيّأت مِنَ الفعل الحسن ضيافةً لضيف نزل برأسي غير مستحٍ ولا منقبض ، حيث من آداب الضيف ألا يُكثر الإقامة عند مَن استضافه ، فإن فعل كان غير محتشمٍ .

ولمّا كان الشيب نذيراً بانقضاء العمر ، صار بلسان حاله طالباً للمبادرة بالأعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة ، كما يطلب الضيف قِراه تصريحاً أو حُكْماً . فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضيافة ضيف الشيب الذي إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت ؛ لأنه إن أخّر الاستعداد إلى حين نزوله فإنه لن يتمكّن من ذلك ؛ لسرعة الرحيل وضيق الوقت .

وإنَّ سبب تشبيه الشيب بالضيف هو أن الإنسان كان قبل نزول الضيف بشعر أسود ، فلما تبدّلت صفته كان كالضيف الأجنبي .

ولما بيّن أن نصيح الشيب لا ينبغي أن يُهْمَلَ نصحه ، واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمّارة ، وبيّن أنه كان يرتقب حلوله ، فلما لم يتمّ له معناه ، ولم يطابق فعله بعد ظهوره ما نواه لغلبة النفس الأمارة ، ورأى من سوء العتاب وتقبيح الحال من الناس ما لم يكن رآه ، ولم يكن قبله ندم على أن لا يكون كتمه عند ظهوره وأخفاه ، قال :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ
كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالكَتَمِ



١٥- لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّي مَـا أُوَقِّـرُهُ
كَتَمْــتُ سِرّاً بَــدَا لِي مِنْــهُ بِــالكَتَمِ

الإعراب الموجز

(**لَوْ**) : حرف شرط .

(**كُنْتُ**): فعل ماض ناقص ترفع الاسم وتنصب الخبر، والتاء اسمها .

(**أَعْلَمُ**) : خبرها .

(**أَنِّي**) بفتح الهمزة : حرف توكيد ونصب ، والياء اسمها .

(**مَا**) : نافية .

(**أُوَقِّرُهُ**): فعل وفاعل ومفعول به، والهاء ضمير يعود على (الشَّيْبِ).
والجملة خبر (أَنَّ) ، و(أَنَّ) ومعمولاها سدَّت مَسَدَّ معمولَيْ (أَعْلَمُ) .

(**كَتَمْتُ**) بضم التاء : فعل وفاعل جواب (لَوْ) .

(**سِرّاً**) : مفعول (كَتَمْتُ) .

(**بَدَا**) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر يعود على (سِرّاً) ، والجملة نعته .

(**لِي**) ، (**مِنْهُ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (بَدَا) ، والهاء من (مِنْهُ) تعود على (سِرّاً) .

(**بِالكَتَمِ**) بفتح الكاف والتاء : متعلق بـ (كَتَمْتُ) .

تفسير الكلمات

(**لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ**) : أي أعرف وأتيقّن قبل نزول الشيء .

(**أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ**) : أي بعد نزوله بي لو كنتُ أعلم أني ما أعظمه

وأحترمه، وأترك فعل القبيح استحياءً منه كما نويتُ قبل نزوله.

(**كَتَمْتُ**) : أخفيتُ .

(**سِرّاً**) : المراد بالسر هنا الشيء الذي يظهر أولاً ، وإنما سُمِّيَ سراً لأنه قبل ظهوره يكون خفياً .

(**بَدَا لِي**) : ظهر لي .

(**مِنْهُ**) : أي من الشيب .

(**بِالكَتَمِ**) : هو نبت كالحناء يَخْضِبُ به الرجال لحاهم ، والنساء رؤوسهن وأيديهن .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لو كنتُ أعلم أني ما أُراعي حق الشيب وأُخالف مقتضاه ، لكنتُ التجأتُ إلى الاستنان بسنة الخضاب ؛ لئلا أكون مُسْتحقاً لمزيد الطعن ، ووفور العتاب .

ثم أراد المصنف رحمه الله تعالى استرجاع ما فات ، فاستفهم عمّن يتكفّل له برد جماح نفسه التي تأمر بالسوء بالمواعظ السَّنِية والأسرار الربانية ، فقال :

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ



١٦- مَـنْ لِي بِـرَدِّ جِمَـاحٍ مِـنْ غَوَايَـتِـهَا
كَمَـا يُـرَدُّ جِمَـاحُ الـخَـيْـلِ بِـاللُّجُمِ

الإعراب الموجز

(**مَنْ**) : اسم استفهام مبتدأ .

(**لِي**) : خبره .

(**بِرَدِّ**) : جار ومجرور متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(**جِمَاحٍ**) : مضاف إليه .

(**مِنْ غَوَايَتِهَا**) بفتح الغين : جار ومجرور متعلق بـ (رَدِّ) .

(**كَمَا**) : الكاف حرف جر ، و(مَا) مصدرية بمعنى مثل .

(**يُرَدُّ**) : فعل مضارع مبني لما لم يُسَمَّ فاعله .

(**جِمَاحُ**) : نائب فاعل ، وهي مضاف .

(**الخَيْلِ**) : مضاف إليه .

(**بِاللُّجُمِ**) بضم اللام والجيم : متعلق بـ (يُرَدُّ) .

تفسير الكلمات

(**مَنْ لِي**) : أي مَن يتكفّل لي .

(**بِرَدِّ**): الرد هو الإرجاع. قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٣] ، أي أرجعناه .

(**جِمَاحِ**) : الجماح هو إِباء الدابة من صاحبها عن أن تُمَكِّنَه من الركوب .

(**مِنْ غَوَايَتِهَا**) : الغواية هي الضلالة ، أي مِن ضلالتها .

(**كما يُرَدُّ**) : الكاف بمعنى مثل ، أي رداً مثل رد الدابة الجامحة .

(**جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ**) : الخيل اسم جمع واحده فرس ، واللُّجم

جمع لجام ، وهو الحديدة المعترضة في فم الفرس .
والجملة كناية عن القوة والعنف .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

مَن يتكفل لي بأن يَـرُدَّ النفس الغاوية عن طريـق الضـلالة ، الآبيـة عن طريق الهداية والاعتدال ، كمـا تُـرَدُّ الخيول الجامحة باللُّجُمِ ؟

وفي معنى الاستفهام بـ (مَنْ) إشارة إلى أنَّ ردَّ النفس عن طريق الارتياب إلى طريق الصواب خـارج عـن طـوق البشرـ ، ومـا هـو إلا مِن فعال مَن بيده مقاليد السمـاوات والأرض . فإذا لم يُعـن الله تبارك وتعالى العبد على نفسه فإنه لا يستطيع كبح جماحها .

وهذا نوع من الاعتذار ، وإظهار العجز والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى .

وفي الحقيقة فإن المصنف عندما يـذكر هـذا النـوع مـن التعبـير ، فإنمـا يتبين لدينا بأنه عالم رباني يعرف النفوس وأمراضها ، وطـرق علاجها .

ثم إنه لما استفهم استفهام اسـتعطاف عمّـن يتكفّـل بـرد جمـاح نفسه رداً عنيفاً ، استشعر شخصاً قال له : لا حاجة لردهـا ؛ لأنـك إذا أعطيتها ما تتمنى مـن المعـاصي انكسرـت شـهوتها . فـرد عليـه ذلك بمقولة العارف المربي :

فَــلاَ تَــرُمْ بِالْمَــعَاصِي كَســـْرَ شَهْوَتِـــهَا
إِنَّ الطَّعَـــامَ يُقَـــوِّي شَـــهْوَةَ الـــنَّهِمِ



١٧ - فَـلاَ تَـرُمْ بِالْمَعَـاصِي كَسْـــرَ شَـهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَـــامَ يُقَـــوِّي شَـــهْوَةَ الـــنَّهِمِ

الإعراب الموجز

(**فَلاَ**) : حرف نهي .
(**تَـرُمْ**) بضم الراء : مجزوم بـ (لاَ) الناهية .
(**بِالْمَعَاصِي**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَـرُمْ) .
(**كَسْرَ**) : مفعول به لـ (تَـرُمْ) .
(**شَهْوَتِهَا**) : مضاف إليه .
(**إِنَّ الطَّعَامَ**) : إنَّ واسمها .
(**يُقَوِّي**) بضم الياء وفتح القاف وتشديد الواو : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على (الطَّعَامَ) . والجملة خبر (إِنَّ) .
(**شَهْوَةَ**) : مفعول به .
(**النَّهِمِ**) بفتح النون وكسر الهاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**فَلاَ تَـرُمْ بِالْمَعَاصِي**) : أي لا ترجُ ولا تتوقـع بتمكينهـا مِمّـا تتمنـاه من المعاصي ، وهي جمع معصية التي هي ضد الطاعة .
(**كَسْرَ**) : بمعنى دَفْعَ .
(**شَـهْوَتِهَا**) : أي مـا تشـتهيه الـنفس ؛ لأنهـا إذا أَلِفَـت المعـاصي قَوِيَتْ شهوتها .
(**إِنَّ الطَّعَامَ يُقَـوِّي**) : أي يزيد .

(**شَهْوَةَ النَّهِمِ**) : النَّهِم هو شديد الشهوة إلى الطعام . فتمكينـه منـه يزيد في شهوته إليه بخـلاف مـا إذا رُفـع مـن بـين يديـه ، فعندئذ لا يجد ما يشتغل به فييأس منـه . وكـذلك الـنفس فإذا أحيل بينها وبين المعاصي ، فإنها تيأس منها وتعـود إلى الطاعة .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

يا من زُيِّنَ له حب هذه الشـهوات مـن النسـاء والبنـين... إلى غـير ذلك ، لا تطلب كسر هذه الشهوة بمعصية رب العالمين ﷻ ، إذ أنـه من المقرر والمعلوم لكل عاقل وذي لب أن تناول الأطعمة اللذيـذة تقوي شهوة النهم الحريص عـلى الطعـام ، ولـو مُنِعَـتْ مـن ذلـك لامتنعت .

وقد مَثَّـلَ ذلك رحمه الله تعالى بقوله :

وَالـنَّفْسُ كَالطِّفْـلِ إِنْ تُهْمِلْـهُ شَـبَّ عَـلَى
حُـبِّ الرَّضَـاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ



١٨- وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُـــبِّ الرَّضَـــاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـــهُ يَـــنْفَطِمِ

الإعراب الموجز

(**وَالنَّـفْسُ**) : مبتدأ .
(**كَالطِّـفْلِ**) : جار ومجرور خبر المبتدأ .
(**إِنْ تُـهْمِلْهُ**) : شرط .
(**شَبَّ**) : جواب الشرط .
(**عَلَى حُبِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (شَبَّ) .
(**الرَّضَاعِ**) : مضاف إليه .
(**وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ**) : شرط وجوابه .

تفسير الكلمات

(**النَّفْسُ**) : هي الروح أو الجسد كله كما عبّر عن ذلك بعضهم .
وقال أحدهم : هي لطيفة ربانية ، وهي الروح قبل تعلقها بالأجساد . فقد خلق الله تبارك وتعالى الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فكانت في جوار الله وقربه ، فاستفاضت من حضرته بلا واسطة. ولمّا أمرها الحق تبارك وتعالى أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير ؛ ولذلك حُجبت عن الحضرة الإلهية بسبب بعدها عنه تبارك وتعالى ؛ ولهذا فقد احتاجت إلى مُذَكِّرٍ ، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥].
إذاً فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحاً ، وبعد تعلقها به تسمى نفساً ، فالاختلاف بينهما اعتباري .

(**كَالطِّـفْلِ**) : كالمولود ذكراً كان أم أنثى .
(**إِنْ تُـهْمِلْهُ**) : إن تتركه .
(**شَبَّ**) : بمعنى كَـبُرَ .
(**عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ**) : لأنه قد أَلِفَه .
(**وَإِنْ تَفْطِمْهُ**) : أي عن الرضاع .
(**يَنْفَطِمِ**) : أي لم يصر طالباً له على أي وجه من الوجوه ، وقد كـان قبل ذلك يبكي ولا يسكت حتى يرضع ، ولما فُطـم يـئس منه . كذلك النفس فإنها تنفطم عن مؤلوفها برادع قوي ، أو بلطف إلهي خفي .

المعنى الكلي

شُبِّـهَتْ هنا النفس التـي تعـوّدت عـلى شيء ثـم انفطمـت عنـه بالطفل الصغير ، فلا ينبغي إهماله بمـا يشتهيه كل الإهمال .

فالطفل إن أُهمل شَبَّ على حب الرضاع ، واشتد للتلذاذ بـألوان الأطعمة وضاع . وإن فُصل عن الرضاع رضي بالانفصـال ، وبلـغ بالتـدريج مبلـغ الكمـال . كـذلك الـنفس إن صرفهـا صـاحبها عن المؤلوفات الطبيعية واللذات الكاذبة الوهمية إلى إدراك الحقـائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات ، وإن تُركت وما تشتهي وصلت بالمرء إلى ما لا يُحمد عقبـاه ، ودامـت حسـرتها ، وكانـت عاقبتها غير حسنة .

ولمـّا شبّه المصنف النفس بالطفل ، وكان الطفل كمـا هو معلـوم

لا يؤمر ولا يُنهى لأنه لا يفهم ذلك ، وإن فَهِمَه فلا يمتثله . فهو مع شهوته لا يستطيع أن يصرف الهوى عن نفسه ، وإنما الشأن في إزاحته عنه أن لا يُمَكَّنَ منه . فأمر المصنف هنا بصرف الهوى عن النفس حتى لا تجده فتتعلّق به ، فقال رحمه الله تعالى :

فَاصْرِفَ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ



١٩- فَـاصْرِفْ هَوَاهَـا وَحَـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ
إِنَّ الهَــوَى مَــا تَــوَلَّى يُصْــمِ أَوْ يَصِــمِ

الإعراب الموجز

(**فَاصْرِفْ**) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر .

(**هَوَاهَا**) : مفعول به .

(**وَحَاذِرْ**) : فعل أمر .

(**أَنْ**) بفتح الهمزة وسكون النون : حرف مصدري ونصب .

(**تُوَلِّيَـهُ**) : فعل مضارع منصوب بـ (أَنْ) .

(**إِنَّ**) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(**الهَوَى**) : اسمها .

(**مَا**) : اسم شرط بمعنى إنْ .

(**تَوَلَّى**) : فعل ماض في موضع جزم بـ (مَا) .

(**يُصْمِ أَوْ يَصِمِ**) : جواب الشرط .

تفسير الكلمات

(**فَاصْرِفْ هَوَاهَا**) : أي أمسك عنان النفس واصرف هواها عمّا هي عليه من طلب اللّذات .

وهواها أي رغباتها ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

قال الشعبي: إنما سُمِّيَ هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار.

وفي الجملة الهوى أصل كل بلية ، والخلاص منه عسر جداً إلا بتوفيق من الله تعالى .

(**وَحَاذِرْ**) : بمعنى احذر .
(**أَنْ تُوَلِّيَـهُ**) : أي أن تجعله مُسَيِّرك كمـا تريد ، وتُؤَمِّـرَهُ عليك .
(**إِنَّ الهَوَى**) : أي هوى النفس .
(**مَا تَوَلَّى**) : أي ما صار والياً على المرء .
(**يُصْمِ**) بضم الياء وسكون الصاد : بمعنى يقتل .
(**أَوْ يَصِمِ**) بفتح الياء وكسر الصاد : بمعنى يعيب .

وفي قول المصنف هنا استعارة بالكناية ، فقد شبّه النفس بطالب الإمارة ، وأغفله وأثبت من لوازمـه الأمـر بصرـفه عـن التوليـة ؛ لأنه جائر وظالم ، وهو إن تولّى قتل أو عاب .

المعنى الكلي

يقول المصنف :
أيها المحترق بنار الهوى ، والمبتلى بمقاسـاة شـدائد البُعـد والنَّـوى ، اصرف هوى النفس ؛ لأن اتباعها سـبب في الضـلال والبعـد عـن الحضرة الإلهية .
قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [ص : ٢٦].

ولمـا كان ظاهر كلامه أن النفس تُصْرَفُ عن كل مـا تهـواه حتـى عن العبادة إنْ هَوِيَتْها ، شرح ذلك بقوله :
وَرَاعِهَـا وَهـيَ فِي الأَعْمَـالِ سَـائِمَةٌ
وَإِنْ هِـيَ اسْـتَحْلَتِ المَرْعَـى فَـلاَ تُسِـمِ



٢٠- وَرَاعِهَا وَهـيَ فِي الأَعْمَـالِ سَـائِمَةٌ
وَإِنْ هِـيَ اسْـتَحْلَتِ المَرْعَـى فَـلاَ تُسِـمِ

الإعراب الموجز

(**وَرَاعِهَا**) : فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة معطوفة على (فَاصْرِفْ) .

(**وَهيَ**) : مبتدأ .

(**فِي الأَعْمَـالِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (سَائِمَةٌ) .

(**سَائِمَةٌ**) : خبر المبتدأ ، والجملة حالية مرتبطة بالواو والضمير.

(**وَإِنْ**) : حرف شرط .

(**هِيَ**) : فاعل لفعل محذوف تُفسره (اسْتَحْلَتِ) ، وقال الكوفيون والأخفش : مبتدأ .

(**اسْتَحْلَتِ المَرْعَى**): فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة خبر (هِيَ).

(**فَلاَ**) : حرف نهي .

(**تُسِمِ**) بضم التاء وكسر السين والميم : مجزوم بلا الناهية وكُسِـرَ للقافية ، ومفعوله محذوف .

والجملة جواب الشرط ، وقُرِنَت بالفاء لأنها طلبية .

تفسير الكلمات

(**وَرَاعِهَا**) : بمعنى لاحظها .

(**وَهيَ فِي الأَعْمَـالِ**) : أي في الأعمـال الصالحة كالعبادات .

(**سَائِمَةٌ**) : راعية .

(**وَإِنْ هِيَ اسْـتَحْلَتِ المَرْعَـى**) : أي وجدتـه حلـواً فانهمكـت فيـه

وهمّت بالعكوف عليه ، والمرعى هو الكلأ .

ولمّا كان للنفس حظ بأفعال بعض العبادات ، كان من المحتمل أن يلحقها الرياء حين يُمدح الإنسان من أجل فعلها ، ويهواها من أجل ذلك. وإنَّ هذا القصد قد يخفى على صاحبها وعلى بعض الناس ، فنبّه المصنف على ذلك بقوله : (وإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى) .

(فَلاَ تُسِمِ): أي فلا تخرجها إلى ذلك المرعى حتى تتفقد دسائسها ، حيث النفس البشرية لا تهوى الطاعة إلا مَن رحم الله سبحانه وتعالى ، فإذا استحلتها ومالت إليها احتُمِلَ أن يكون ذلك بغرض لها في ذلك ، فيعود هواها كالمكروه والمأمور بصرفه عنها ، عند ذلك تنقلب الطاعة إلى معصية .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

راعِ النفس في إشغالها بالأعمال عما هو مفسد ومنتقص للكمال من الرياء ، والعُجْب ، والضلال . وإن اعْتَبَرَتِ النفسُ بعض الطاعات حلواً واعتادته وأَلِفَته ، فاجتهد في أن تقطع نفسك عنها ، واشتغل بما هو أشق عليها ؛ لأن اعتبار العبادة إنما هو بامتيازها عن العادة .

ثم استشهد المصنف على هذا المعنى بقوله :

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ



٢١- كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قَاتِلَـةً
مِـنْ حَيْـثُ لَمْ يَـدْرِ أَنَّ السُّـمَّ فِي الدَّسَـمِ

الإعراب الموجز

(**كَمْ**): خبرية تعني كثيراً ، محلها نصب على المصدرية ، أي كم تحسين .
(**حَسَّنَتْ**) بتشديد السين : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود على النفس .
(**لَذَّةً**) : مفعول به لـ (حَسَّنَتْ) منصوب بالفتحة .
(**لِلْمَرْءِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَسَّنَتْ) .
(**قَاتِلَةً**) : صفة (لَذَّةً) .
(**مِنْ حَيْثَ**) : جار ومجرور متعلق بـ (قاتِلَةً) .
(**لَمْ يَدْرِ**) : جازم ومجزوم .
(**أَنَّ**) بفتح الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .
(**السُّمَّ**) : اسمها .
(**فِي الدَّسَمِ**) : جار ومجرور خبر (أَنَّ) .
و(أَنَّ) واسمها وخبرها مفعول (يَدْرِ) .
و(يَدْرِ) ومعموله في موضع خفضٍ بإضافة (حَيْثُ) إليه .

تفسير الكلمات

(**كَمْ حَسَّنَتْ**) : أي كثيراً ما زيّنت النفس .
(**لَذَّةً**) : تطلق على المُـتَلَذَّذُ به ، وهي إدراك الملائم للنفس .
(**لِلْمَرْءِ**) : للشخص رجلاً كان أو امرأة .
(**قَاتِلَةً**) : أي له .

(**لَمْ يَدْرِ**) : لم يعلم .

(**أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ**) : السم هـو الشـيء القاتـل ، والدسـم هـو الدهن . أي أن الشيء القاتـل دُسَّ لـه في الدسـم ، فأكلـه ولم يتعقل باطنه مما دُسَّ فيه .

وخصّ المصنف الدسم لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحتـه ، ومثله العبادة التي تستر ما بطن من النية الخبيثة .

ولها تفسير آخر وهو أن الدسم لسهولة امتـزاج السـم بـه يخفى على الكثير إلا عـلى المتفقـد اللبيـب ، ومثلـه خفـاء النيات في العبادات .

المعنى الكلي

إن النفس تزين للمرء كثيراً من المرات لذة من اللذات قاتلـة لـه كالسم المدسوس في الدسم ، لا سيمـا إذا كان المرء من أهل المحبـة والـوداد ، فهلاكـه في لـذة الطعـم ، وطيـب الرقـاد ، والخمـول ، والكسل عن الطاعة . فيقول المصنف هنا :

أيها العاقل ، أمسك عنان النفس واصرف هواها عمـا هي عليه من طلب اللذات والانهماك في الشهوات ، وجاهد في الحذرعن سلطان الهوى وولايته ، فإن الهوى إذا استولى على المرء فإنه يقتله أو يعيبه .

ثم قال المصنف الناظم رحمه الله تعالى :

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِـنْ جُـوعٍ وَمِـنْ شِـبَعٍ
فَـــرُبَّ مَخْمَصَـــةٍ شَرٌّ مِـــنَ الـــتُّخَمِ



٢٢- وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَـــرُبَّ مَخْمَـصةٍ شَرٌّ مِـــنَ الــــتُّخَمِ

الإعراب الموجز

(**وَاخْشَ الدَّسَائِسَ**) : فعل وفاعل ومفعول به .
(**مِنْ جُوعٍ**) : جار ومجرور .
(**وَمِنْ شِبَعٍ**) : جار ومجرور في موضع الحال من (الدَّسَائِسَ) .
(**فَـرُبَّ**) : حرف جر .
(**مَخْمَصَةٍ**) : مجرور بـ (رُبَّ) في موضع رفع على الابتداء .
(**شَرٌّ**) : خبر المبتدأ .
(**مِنَ التُّخَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (شَرٌّ) .

تفسير الكلمات

(**وَاخْشَ**): الخشية هي الخوف، قال تعالى:﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾[الأعلى : ١٠].
(**الدَّسَائِسَ**) : جمع دسيسة ، وهي المكائد الخفية والمكر الخفي .
(**مِنْ جُوعٍ**) : الجوع خلاء البطن من الطعام ، ويتولد عنه أشياء منها : سوء الخلق ، والحدة ، والنحول ، والذبول ، وحدوث الملل والكلل ، وثوران الخيالات الفاسدة ، ... وأشياء كثيرة .
(**وَمِنْ شِبَعٍ**): الشبع هو امتلاء المعدة كثيراً ، ويتولد عنه : القوة ، والغفلة ، والكسل عن العبادة ، والخمول في الجسم ، وغلبة الشهوة، وإظلام القلب، وإطفاء نور اليقين... وأمور أخرى.
(**فَـرُبَّ مَخْمَصَةٍ**) : فـرُبَّ مجاعة .
(**شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ**) : جمع تُـخْمَة ، وهي فساد المعدة بالطعام .

وإنما كانت المخمصة شراً من التخم ؛ لأن أذيّة الشبع غايتها التقاعد والتكاسل عن الطاعات ، وهذا نوع من العصيان . وأذية الجوع قد تؤدي إلى الكفر والتعرض إلى الأمور الإلهية خصوصاً لمن لم تكن نفسه مطمئنة ، ولم تألف الرياضات ، ولم تعتد المجاهدات .

لهذا قال النبيﷺ : ((كاد الفقر أن يكون كفراً)) (١) .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

خف أيها المستمع من المكائد والدسائس التي تخفيها النفس في الجوع وفي الشبع والتي مرّت آنفاً ، فهذه كلها تشوش على العبادة .

فعلى الإنسان الموفق العاقل أن يراعي ذلك ، وينظر إلى هذين الأمرين جيداً ، وليكن طبيب نفسه .

وإنما المذموم منهما هو الإفراط ، أما الاعتدال الذي هو بين الإفراط والتفريط فممدوح ، كما يشير لذلك قولهﷻ : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

ولما أمر المصنف بتخليص الأعمال من المفاسد ، أمر بالتوبة والندم والبكاء على ما عساه أن يقع فاسداً وعلى ما صدر من المعاصي ، فقال :

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ



(١) رواه الطبراني بسند ضعيف ، ورواه أحمد بن منيع عن الحسن أو أنس بزيادة : (وكاد الحسد أن يسبق القدر) . وهو كذلك عند أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، وابن عدي في الكامل ، وابن السكن في مصنفه .

٢٣- وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِـــنَ المَحَـــارِمِ وَالْـــزَمْ حِمْيَـــةَ النَّـــدَمِ

الإعراب الموجز

(**وَاسْتَفْرِغِ**): فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.
(**الدَّمْعَ**) : مفعول به .
(**مِنْ عَيْنٍ**) : جار ومجرور في موضع الحال من (الدَّمْعَ) .
(**قَدِ**) : حرف تحقيق .
(**امْتَلأَتْ**) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي يعود على (عَيْنٍ) .
(**مِنْ المَحَارِمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (امْتَلأَتْ) .
(**وَالْزَمْ**) : فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت . وهو معطوف على (اسْتَفْرِغِ) .
(**حِمْيَةَ**) : مفعول به ، وهي مضاف .
(**النَّدَمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**اسْتَفْرِغِ**) : أي أفرغ .
ولم يقل : أفرغ لإفادة أن ذلك لا يكون إلا بالطلب ، ومعلوم ما فيه من المشقة لا سيما في طلب ما يخالف هوى النفس .
(**الدَّمْعَ**) : البكاء .

(**مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ**) : إن كلمة (امْـتَلأَتْ) كنايـة عنـد الفقهـاء عن كثرة النظر بها بمـا لا يجوز شرعاً .

وعند السادة الصوفية أهل الحب : رؤية الأغيار بها ؛ ولذا يقال عنـدهم : « أدِّبْ عينيـك بـدمع الندامـة إذا نظـرت لغير ذلـك الجمــال » ، حيـث الدمعـة الصـادقة تغسـل الذنوب والآثام مع النية الصالحة .

وقد قال سيدنا عيسـى عليـه وعـلى نبينـا أفضـل الصـلاة والتسليم : « طوبى لمن حزن لسانه ، ووسع بيتـه ، وبكـى على خطيئته »[1] ، وكان عليه السلام كثير البكاء .

وهنا فسّر بعض القوم قولـه تعـالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠] : أن الجنتين في الآخـرة لمـن كـان لـه في الـدنيا عينان تجريان من خشية الله تعالى .

(**مِنْ المَحَارِمِ**) : جمع محرم ، وهو الحرام .

(**وَالْزَمْ حِمْـيَـةَ النَّـدَمِ**) : أي والزم حماية النـدم لـك عـن المحـارم . ويحتمل أن تكون بمعنى: والزم النـدم الحـامي لـك عـن المحارم.

والمراد من الندم هنا التوبة المستكملة للشـروط الشــرعية التي هي :

١ – الإقلاع عن المعصية .

٢ – الندم على فعلها .

---

(١) أخرجه أحمد بن وكيع عن سفيان ، ورواه الهناد بن السري الكوفي في كتابه الزهد .

٣- نية أن لا يعود إليها في المستقبل .
٤ - رد المظالم إلى أهلها إن كانت معصيته تتعلق بالخَلْق .
وإنما عبّر بالندم هنا لأنه الأساس الذي يحمل على التوبة أو للتوبة ، ولذا فقد ورد : « الندم توبة » (1) .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

اطلب إراقة الدمع بالبكاء مِن عين قد امتلأت من المآثم ؛ بسبب النظر إلى المحارم التي حرّم الله تعالى النظر إليها ، والزم حمية الندم .

وشُبهت هذه العبارة بحمية المريض من الطعام عند الحاجة لذلك ، فكأن المصنف قال :

الزم منعَ الندم إياك من الوقوع في المعاصي ، وأَدِمِ التنصُّل مِن تَبِعات العين ؛ لأن البكاء علامة الندم على جميع ما سلف . أو لأن السبب الأعظم من الوقوع في المعصية النظر ، فالذي ينظر يعقبه الاستحسان فيما لا يحل ، فيقع في الخطايا .

لذا قال بعضهم :

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يضر مقلته ما ضرّ خاطره ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

(١) أخرجه ابن ماجة وأحمد وآخرون عن ابن مسعود ، وفي سنده اختلاف . ورواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم عن أبي سعيد الأنصاري مرفوعاً بزيادة : (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) وسنده ضعيف .

وحاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى :

أكثر البكاء على خطيئتك ، وأفرغ الدمع من عين قد امتلأت من الالتذاذ بالحرام ، والزم الورع والاحتراز عمّا يجب أن يحتمي منه التائب النادم على ما فرّط ، لعل الله تعالى يقبل هذه التوبة ، ويجعل البكاء كفارة للذنب .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا

وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ



٢٤- وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

الإعراب الموجز

(**وَخَالِفِ**) : فعل وفاعل .

(**النَّفْسَ**) : مفعول به .

(**وَالشَّيْطَانَ**) : معطوف على (النَّفْسَ) .

(**وَاعْصِهِمَا**) : فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وهي معطوف على (وَخَالِفِ النَّفْسَ) . والجمع هنا بين المخالفة والعصيان للتأكيد بالمرادف ، وعطف الجمل في التأكيد خاص بثم كما صرّح به أبو حيان في الارتشاف .

(**وَإِنْ**) : حرف شرط جازم .

(**هُمَا**) : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : وإن محّضاك هما .

وأجاز الكوفيون والأخفش أن يكون مبتدأ .

(**مَحَّضَاكَ**) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(**النُّصْحَ**) : مفعول ثان .

والجملة على التفسير الأول لا محل لها من الإعراب لأنها مفسِّرة ، وعلى التفسير الثاني في محل الرفع ، وتكون خبر المبتدأ .

(**فَاتَّهِمِ**) : فعل أمر ، وحُرِّكَ بالكسر لموافقته حرف الروي . وهو جواب الشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت .

تفسير الكلمات

(**وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ**): أي لا تطعهما فيما يدعوانك إليه من التمادي على الغير أو غير ذلك .

وإن مخالفة النفس رأس العبادة ، وأول مراتب السعادة .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات] ، والمقصود بالنفس هنا : النفس الأمارة بالسوء .

كما وإن عداوة الشيطان لازمة حيث هو عدو لنا ، وكيف يأمن العاقل نصيحة إبليس وخديعته وهو يعلم ما فعل مع أبينا آدم وقد أقسم له أنه لمن الناصحين ؟

وكيف بك أيها القارئ الكريم وقد أقسم لَيغْوِيَنَّك ؟

أعاذني الله وإياك من الغواية وطاعة الشيطان .

ورد عن الحسن بن صالح أنه قال : « إن الشيطان لَيفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير ، يريد به باباً من السوء »[1] ، فلا بد من الحذر منه .

(**وَاعْصِهِمَا**) : وخالفهما .

(**وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ**) : أي أخلصا لك .

(**النُّصْحَ**) : أي فيما أبديا لك .

(**فَاتَّهِمِ**) : أي اتهم الناصح من كل منهما ، مثال ذلك :

- كأن تقول لك النفس: متّعني بهذه الشهوة لأمتلئ منها

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ، والذهبي بلفظ : (يريد به باباً من الشر) .

ثم أتوجه إلى الله معك بالطاعة فارغة من هذه الشهوة .

- أو تقول لمن نوى وجدَّ بذلك : إن الله غني عنك وعن عبادتك ، فحافظ على أصل الإيمان ويكفيك .

- أو تقول كذلك للمنهمك في العصيان : إنك قد اجترحتَ أموراً كثيرة عظاماً ، وإن الله تعالى لا يقبل لك معها توبة ، ففكر بدنياك ولا تهتم بالآخرة .

ولقد أتى بهما لأنهما أمر مشكوك فيه، بل لا يُفرض إلا كما تُفرض الأشياء المحالة ، حيث النصح لا يُتصوّر أن يأتي من جهة إبليس والنفس كما ذكر ذلك العلامة القسطلاني .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

أيها المحب ، خالف النفس والهوى لأن النفس أمارة بالسوء والفحشاء ، وخالف الشيطان الذي هو أعدى الأعداء ، ولا تركن إلى نصيحتهما حتى إنْ فرضنا أنهما أخلصا النصح لك ، واتهمهما فإن اتهامهما لازم ؛ لأنهما عدوان ضاريان ، وعلى المضرة والشر منجبلان .

ولو قال قائل : أيهما أشد عداوة علينا وأعظم كيداً لنا ، أهو الشيطان أم النفس ؟

فالجواب أن النفس أعدى أعداء الإنسان ، فعداوة الشيطان وكيده ومكره وغدره عن طريق المتابعة ، وكيد النفس لقضاء وَطَرِها من الشهوات ، وإربها من اللذات على أي وجه كان ذلك .

ومن المعلوم لك أيها القارئ أن الشيطان إذا استعذت بـالله منـه نكص على عقبيه وأدبر هارباً ، أما النفس فمهمـا اسـتعاذ الإنسـان منها فإنها ملازمة بين جنبيه .

وهنا المصـنف يبـين لنـا أن الـنفس إن لم يروضـها الإنسـان بـأنواع الرياضات ، ويقمعها بضـروب من المجاهدات ، فإنه لا يأمن مكرها.

فنرجع ونقول : أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه .

ولا بد لنا من أن نُنَـوِّهَ أن الشـيطان إنمــا يـتمكن مـن ابـن آدم بسبب النفس ، فإن وافقته على ما يريد أوقعت صاحبها في النار .

فلا بد للإنسان الموفق من أن يـروض نفسـه وينقلهـا إلى المرتبـة التي يحبها الله ﷻ ، والتـي ذكرهـا في كتابـه العزيـز بقولـه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر].

أي أن يصل بها بعد تهذيبها الشديد إلى الراضـية المرضـية التـي رضيت بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ ، وانقـادت لتعـاليم الشــرع الحنيف حتى وصلت إلى أن رضي الله تبارك وتعالى عنها .

فعلى المحب أن يستعين بالله سبحانه ، وأن يتخـذه وكـيلاً حتـى ينتصر على النفس والشيطان بمعونته ﷻ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَلاَ تُطِـعْ مِنْهُمَــا خَصْمــاً وَلاَ حَكَمــاً
فَأَنْــتَ تَعْــرِفُ كَيْــدَ الخَصْــمِ وَالحَكَــمِ



٢٥- وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ

الإعراب الموجز

(**وَلاَ**) : حرف نهي .

(**تُطِعْ**) : مجزوم بـ (لاَ) الناهية .

(**مِنْهُمَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُطِعْ) ، وضمير التثنية لـ (النَّفْسَ) و(الشَّيْطَانَ) معاً في البيت السابق .

(**خَصْماً**) : مفعول به لـ(تُطِعْ) .

(**وَلاَ حَكَماً**) : معطوف على (خَصْماً) ، وزيدت (لاَ) بعد العاطف لإفادة التوكيد في النفي .

(**فَأَنْتَ**) : مبتدأ .

(**تَعْرِفُ**) : فعل وفاعل سدّا مسدّ خبر المبتدأ .

(**كَيْدَ**) : مفعول به لـ (تَعْرِفُ) ، وهي مضاف .

(**الخَصْمِ**) : مضاف إليه .

(**وَالحَكَمِ**) : معطوف على (الخَصْمِ) مجرور .

تفسير الكلمات

(**وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا**) : أي مِن جهتهما .

(**خَصْماً وَلاَ حَكَماً**) : فيه مبالغة في الزجر عن الطاعة لهما ؛ لأن كلاً منهما يدعو إلى الشر .

(**فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ**) : أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس ، وكيد النفس والشيطان أشد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لا تطع خصماً ولا حكماً كائناً من جهة النفس والشيطان ، فإنك قد عرفتَ مكر النفس وكيد الشيطان ، ولا يخفى عليك حال مَن هو كان مِن قِبَلِ النفس والشيطان وجهتهما ، وما يأتيان بهما من المكر والخداع . وتذكّر قول الله تعالى : ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠].

فكأن المصنف أراد أن يقول للسامع بأنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكماً ، أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكماً ، فلا تطع واحداً منهما ، لا الخصم ولا الحكم ؛ لأن كلاً منهما عدو ويدعو إلى الشر ، أما العقل فإنه يدعو إلى الخير . فإذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحُكم دائماً مع خصم العقل ؛ لأنه مِن ناحيته فلا يحكم إلا بما هو على مراده .

ونستطيع أن نقول كذلك في تفسير هذا البيت في صورة كون أحدهما خصماً والآخر حكماً : أن أحدهما يُزَيِّن لك الإقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لِما تعرف من سوء العاقبة ، فقد صار خصماً لك . ثم بعد الإقدام على المعصية يُزَيِّن لك أحدهما البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها ، فيضرب لك أجلاً بعد أجل كما يفعل الحكام ، فقد صار حكماً في ذلك .

وبعد هذا الشرح البسيط عرفنا أن الخصم قد يكون النفس ، والحكم الشيطان ، وبالعكس والله تبارك وتعالى يعيننا عليهما .

ولا يخفى بأن هذا البيت تأكيد للبيت الذي قبله .

ولما حذّر المصنف مِن غوائل النفس ووساوس الشيطان خاف على نفسه من الرياء ، فأخذ يطلب مغفرة الله تعالى لذلك ، فقال :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْل بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ



٢٦- أَسْــتَغْفِرُ اللهَّ مِــنْ قَــوْلٍ بِــلاَ عَمَــلٍ
لَقَــدْ نَسَــبْتُ بِــهِ نَسْــلاً لِــذِي عُقُــمِ

الإعراب الموجز

(**أَسْتَغْفِرُ اللهَّ**) : فعل وفاعل ومفعول به .
(**مِنْ قَوْلٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَسْتَغْفِرُ) .
(**بِلاَ عَمَلٍ**) : نعت (قَوْلٍ) .
(**لَقَدْ**): اللام مؤكدة لجواب قسم محذوف ، و(قَدْ) حرف تحقيق .
والتقدير : والله لقد نسبت .
(**نَسَبْتُ**) : فعل وفاعل .
(**بِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (نَسَبْتُ) .
(**نَسْلاً**) : مفعول (نَسَبْتُ) .
(**لِذِي**) بكسر اللام والذال : جار ومجرور متعلق بـ (نَسَبْتُ) .
(**عُقُمِ**) بضمتين : مضاف إليه . وأصل القاف السكون ، وضمها هنا لغة قليلة في الثلاثي المضموم أوله .

تفسير الكلمات

(**أَسْتَغْفِرُ اللهَّ**): الاستغفار هو طلب المغفرة، أي أطلب ستر الله وتغطيته.
(**مِنْ قَوْلٍ**) : من أجل قول صدر مني .
(**بِلاَ عَمَلٍ**) : أي وليس لي عمل ، أو لم أتلبس بعمل ، أو لم أوافق بما أَمَرْتُ به .
(**لَقَدْ نَسَبْتُ**) : لقد أضفت .
(**نَسْلاً لِذِي عُقُمِ**) : أي أضفت ولداً لمن لا يلد ولا يقبل الولد .

المعنى الكلي

لما رأى المصنف نفسه في حالة وعظه للغير غير متعظ ، وأنه قد دخل بذلك في زمرة الملومين بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصَّف : ٢] ، تشبّث بالاستخلاص من بوائق ما وقع فيه بذيل الاستغفار ، واستمسك بالنجاة في مزالقه بالاعتراف والتقصير ، فقال :

أستغفر الله من قول باللسان ولم يُؤَيَّد القول بعمل الأركان ، فوالله لقد نسبت بذلك إلى نفسي الأمر الجسيم كمن نسب ولداً إلى العقيم ، وهذا افتراء عظيم .

وبتعبير آخر يقول المصنف :

إن مثلي فيما تصديت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخلفي عن العمل ، كمثل الذي ينسب النسل الذي هو الولد للعقيم . وكذلك ما نسبته لنفسي من رتبة الوعظ ، فإنها لا تنسب إلا لمن يأتمر وينتهي .

ومع أن الأمر والنهي لا يتوقفان على العمل من الآمر والناهي ، غير أنهما مطلوبان منه ليكون قوله موافقاً لعمله ، حيث لا يؤثر قوله بالغير إذا لم يكن مطبقاً ذلك على نفسه ؛ لذا قال المصنف : (لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ) .

ولما كان ما مثّل به غير ظاهر لكل إنسان ، فسّره بقوله :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ



٢٧- أَمَرْتُكَ الخَـيْرَ لَكِـنْ مَـا ائْتَمَـرْتُ بِـهِ
وَمَـا اسْـتَقَمْتُ فَمَـا قَـوْلِي لَـكَ اسْـتَقِمِ

الإعراب الموجز

(أَمَرْتُكَ الخَيْرَ) : فعل ماض وفاعل ومفعولان .
(لَكِنْ) : حرف ابتداء واستدراك .
(مَا) : نافية .
(ائْتَمَرْتُ) : فعل وفاعل .
(بِهِ): جار ومجرور متعلق بـ (ائْتَمَرْتُ) ، والهاء لـ (الخَـيْرَ) .
(وَمَا) : نافية .
(اسْتَقَمْتُ) : فعل وفاعل .
(فَمَا) : اسم استفهام مبتدأ .
(قَوْلِي) : خبره .
(لَكَ) : جار ومجرور متعلق بـ (قَوْلِي) .
(اسْتَقِمِ) : فعل أمر وفاعل في موضع نصب على المفعولية لـ (قَوْلِي) .

تفسير الكلمات

(أَمَرْتُكَ) : أي طلبتُ منك .
(الخَيْرَ) : هو ضد الشر ، وهو ما له عاقبة محمودة .
(مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ) : أي ما عملتُ .
(وَمَا اسْتَقَمْتُ) : أي ما اعتدلتُ .

(**فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ**) : هو استفهام للتوبيخ ، ولتحقير النفس ، أو للتعجب . أي فما الفائدة من قولي لك استقم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إني أمرتك بالعمل الصالح وما فعلتُ ما أمرتك به ، وما اعتدلتُ في إقامة نفسي على الاستقامة . فما الفائدة في قولي لك : اعتدل أنتَ إذا ما اعتدلتُ أنا ؟ وقد قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصَّف] .

وهنا لا بد لنا أن نعرف جيداً مِن أنَّ الآمر إذا أراد أن يكون قوله مؤثراً في غيره لا بد أولاً مِن أن يكون مطبقاً له على نفسه ، وإلا كان كالهواء يمر كلامه مرور الكرام دون أن يدخل في الأذن الداخلية من السامع .

لذا قال أحدهم :

يا أيها الرجل المُعَلِّمُ غيرَه	هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام ولذي الضنى	كيما يصح به وأنتَ سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُسْمَعُ ما تقول ويُشتفى	بالقول منكَ وينفع التعليمُ
لا تنهَ عن خُلُق وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر :

اعمل بما تعلمه واشطب على جيم الجدل

ساداتنا قالوا لنا نتيجة العلم العمل

وقال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ في كتابه العزيز : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود : ١١٢] .

لهذا كان النبي ﷺ يقول : ((شيّبتني هود وأخواتها)) (١) .

فلا بد للإنسان المسلم أن يكون مستقيماً قبل أن يأمر غيره بالاستقامة ، والله الموفق للصواب .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ



(١) رواه البزار ، والبيهقي في الدلائل عن أبي سعيد ، والطبراني بسند صحيح عن عقبة ابن عامر ، وأبو يعلى عن عكرمة وهو مرسل صحيح . وأخرجه الترمذي وأبو نعيم في الحلية بلفظ : (شيّبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت) ، وصحّحه الحاكم وقال الترمذي : حسن غريب .

٢٨- وَلاَ تَــزَوَّدْتُ قَبْــلَ المَــوْتِ نَافِلَــةً
وَلَمْ أُصَـــلِّ سِـــوَى فَـــرْضٍ وَلَمْ أَصُـــمِ

الإعراب الموجز

(**وَلاَ**) : حرف نفي .
(**تَزَوَّدْتُ**) : فعل وفاعل .
(**قَبْلَ**) : ظرف مكان منصوب بـ (تَزَوَّدْتُ) ، وهي مضاف .
(**المَوْتِ**) : مضاف إليه .
(**نَافِلَةً**) : مفعول (تَزَوَّدْتُ) .
(**وَلَمْ**) : حرف نفي .
(**أُصَلِّ**) : فعل مضارع مجزوم بـ (لَمْ) ، وعلامة جزمه حذف الياء .
(**سِوَى**) : مفعول (أُصَلِّ) ، وهي ليست بظرف .
(**فَرْضٍ**) : مضاف إليه .
(**وَلَمْ أَصُمِ**) : معطوف على (لَمْ أُصَلِّ) ، ومفعوله محذوف مماثل لما قبله ، والتقدير : ولم أصم سوى فرض ، فحذف لدلالة الأول عليه .

تفسير الكلمات

(**وَلاَ تَزَوَّدْتُ**) : التزود أخذ الزاد وإعداده للسفر .
والمراد به هنا العمل الصالح ، أي ما اتخذتُ من الزاد ما ينفعني في سفري الطويل .

(**قَبْـلَ المَـوْتِ**) : أي قبـل انتقـالي إلى الآخـرة عـن طريـق المـوت الذي يُفَـوِّتُ الطاعات .

(**نَافِلَةً**) : أي من الأعمـال الصالحة التي هي التطوعـات بعـد أداء الفرائض ؛ حيث التزود بـالفرائض فقـط لـذلك السـفر الطويل قد لا يكفي ؛ لاحتمـال أن يكـون في الفـرائض نقص فيُـكَمَّلَ بالنوافل .

وإن الذي يُقَصِّرُ بالنوافل والسنن فإنـه يعاتـب مـن قِبَـلِ رسـول اللهﷺ يـوم القيامـة ، فـلا يليـق للإنسـان المسـلم أن يقف هذه الوقفة .

(**وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ**) : أي لم أصل غير الفرض .

(**وَلَمْ أَصُمِ**) : وكذا لم أصم غير الفرض .

وفي البيت استعارة مكنية ؛ لأن المصنف عبّر عن الارتحـال مـن دار الدنيا إلى دار الآخرة بالسفر ، وذكر ما هو من ملازم المُشَـبَّه بـه وهو التزود .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إنني لم أطبق على نفسي ما أمرتُ به غيري مِنَ الاستقامة ، ولم أتحـلَّ بصـفات أهـل الكرامـة ، ولم أتـزود بالإقامـة قبـل الرحيـل إلى دار القيامة من النوافل التي هي زاد المتقين ، ومن السنن التـي هـي متاع الصالحين ، ولم أُصل من الصلوات إلا ما كُتِبَ عليّ ، ولم أَصم إلا ما وجب .

وظاهر البيت الإخبار ، والمراد به التأسف والتحسر على ما فرّط فيه في هذا العمر مما يحتاج إليه من زاد ، وهو التقوى التـي هـي زاد المتزود لسفر الآخرة .

ثم شرع الناظم في مدح سيدنا محمد ﷺ ، فقال :

ظَلَمْـــتُ سُـــنَّةَ مَـــنْ أَحْيَـــا الظَّـــلاَمَ إِلَى
أَنِ اشْـــتكَتْ قَـــدَمَاهُ الضُّـــرَّ مِـــنْ وَرَمِ



٢٩- ظَلَمْـتُ سُـنَّةَ مَـنْ أَحْيَـا الظَّـلاَمَ إِلَى
أَنِ اشْـتَكَتْ قَـدَمَاهُ الضُّـرَّ مِـنْ وَرَمِ

الإعراب الموجز

(**ظَلَمْتُ**) : فعل وفاعل .

(**سُنَّـةَ**) : مفعول به .

(**مَنْ**) : موصول اسمي ، وهي مضاف إليه .

(**أَحْيَا الظَّلاَمَ**) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة صلة (مَـنْ) ، وعائدها فاعل (أَحْيَـا) المستتر فيه .

(**إِلَى**) : حرف جر .

(**أَنِ**) بفتح الهمزة وسكون النون وكُسِرت لالتقاء الساكنين : موصول حرفي .

(**اشْتَـكَتْ قَدَمَـاهُ**) : فعل وفاعل ، وهو صلة (أَن) .

(**الضُّرَّ**) بضم الضاد وتشديدها : مفعول به .

(**مِنْ وَرَمِ**) : جار ومجرور في موضع الحال من (الضُّرَّ) ، أو متعلق بـ (اشْتَـكَتْ) على أنَّ (مِنْ) هنا للتعليل .

تفسير الكلمات

(**ظَلَمْتُ**) : بمعنى تركتُ .

(**سُنَّـةَ**) : أي سنة أفضل المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم .

والسنة في اللغة : الطريقة في الخير والشر ، وفي الشرع : ما أُثِـرَ عن النبيﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

(**مَنْ أَحْيَـا الظَّلاَمَ**) : أي مَن أنار الليل المظلم بالصلاة مع علـو

قدره وارتفاع مكانته ، وبذلك أثبت بأنه عَبْدٌ صادق لرب العالمين .

(**إِلَى أَنِ اشْتَكَتْ**) : أي إلى أن ظهرت الشكاية .

(**قَدَمَاهُ**) : القدم طرف الرجل مما يلي الأصابع .

(**الضُّرَّ**) : الألم والهزال .

(**مِنْ وَرَمِ**) : الورم هو انتفاخ العضو ، والمقصود هنا زيادة اللحم في الجسم على غير اقتضاء طبيعي .

والذي سَبَّبَ تورم قدميهﷺ الشريفتين قيامه الطويل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ظلمتُ وتعدَّيتُ على سُنة الذي قام في الليل مصلياً مناجياً وأحياه لرب العالمين ، لا يسأم القيام في الظلام حتى اشتكت قدماه الضر والشدة والمشقة مِن الورم الطارئ عليهما ، وذلك كما ذكرنا من شدة القيام والناس نيام .

ففي هذا البيت تنبيه على كثرة عبادتهﷺ وغلبة طاعته مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ((كان رسول اللهﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه ، فقلت له : يا رسول الله ، أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ : يا عائشة ، أفلا أكون عبداً شكوراً)) [1] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

فمِن باب أولى أن يكون المسلم هذا حاله .

ثم أخذ المصنف رحمه الله تعالى يذكر ملازمتهﷺ النهار بالصيام ، فقال :

وَشَـــدَّ مِـــنْ سَـــغَبٍ أَحْشـــاءَهُ وَطَـــوَى
تَحْـــتَ الحِجَـــارَةِ كَشْـــحاً مُـــتْرَفَ الأَدَمِ



٣٠- وَشَدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أَحْشَـاءَهُ وَطَـوَى
تَحْـــتَ الحِجَـــارَةِ كَشْـــحاً مُـــتْرَفَ الأَدَمِ

الإعراب الموجز

(**وَشَدَّ**) : فعل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو .

(**مِنْ**) : حرف جر للتعليل .

(**سَغَبٍ**) بفتح السين والغين : مجرور بـ (مِنْ) متعلق بـ (شَدَّ) .

(**أَحْشَاءَهُ**) : مفعول به .

(**وَطَوَى**) : الواو حرف عطف ، و(طَوَى) معطوف على (شَدَّ) .

(**تَحْتَ**) : ظرف مكان منصوب بـ (طَوَى) .

(**الحِجَارَةِ**) : مضاف إليها .

(**كَشْحاً**) بفتح الكاف وسكون الشين : مفعول به لـ (طَوَى) .

(**مُتْرَفَ**) : نعت (كَشْحاً) .

(**الأَدَمِ**) : مضاف إليه من إضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل .

تفسير الكلمات

(**وَشَدَّ**) : بمعنى عصب وربط ﷺ .

(**مِنْ سَغَبٍ**) : أي من جوع .

(**أَحْشَاءَهُ**) : وهي ما انضمت عليه ضلوعه الشريفة ﷺ .

(**وَطَوَى تَحْتَ الحِجَارَةِ**) : بمعنى ثنى جلد بطنه تحت الحجارة القاسية الصمّاء .

(**كَشْحاً**) : هو ما بين الخاصرة إلى الجلد .

(**مُتْرَفَ**) : بمعنى ناعم ، من الترف والنعومة المفرطة .

(**الأَدَمِ**) : الجلد .

المعنى الكلي

أنه ﷺ كان يتحمّل الجوع الشديد ، إنما كان هذا لتسكين المعدة بالحجر الذي كان يضعه على بطنه ﷺ مسكناً لها ؛ لأن كلب الجوع يحصل من شدة حرارة المعدة الغريزية . فهي إذا امتلأت بالطعام ، اشتعلت تلك الحرارة بالطعام . فإذا لم يكن فيها طعام ، طلبت رطوبات الجسم وجواهره فتعلقت بها ، فيتألم الإنسان بتلك الحرارة . وإذا انضمت الأحشاء والجلد على المعدة ، خمدت نارها بعض الخمود ، فقلّ الألم .

وفائدة شد الحجر أمران :

الأول: تثقيل الجلد ليَكْثُرَ انضمامه على الأحشاء ، وهذا المقصود .

الثاني: ما فيه من البرودة ؛ لِتَسْكُنَ حرارةُ المعدة وتشتغل ببرودته .

وإن قيل أنه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال - ثلاثاً - ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله . قال : إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أَبِيتُ فيُطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون)) [1] .

فمن كان هذا حاله فكيف يتألم بالجوع ليحتاج إلى عصب البطن ؟

فنجيب على ذلك : بأنه ﷺ إنما نهاهم عن ذلك لئلا تضعف قواهم عن الجهاد وقيام الليل ، لا لأجل تألمهم بالجوع ؛ لأن التألم سبب في حصول الأجر ، وأفضل العبادات أكثرها أجراً .

وحيث أن الله تبارك وتعالى قد ضمن للنبي ﷺ قوته ، فإن تألمه

---

(١) رواه مسلم عن أبي خيثمة ، وإسحاق عن جرير . وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك .

بالجوع إنما كان لتضعيف الأجر مع حفظ القوة ونضارة الجسم لهﷺ.

وهذا المعنى هو الذي قصده المصنف رحمه الله تعالى بقوله : (مُتْرَفَ الأَدَمِ) من باب الاحتراس والتكميل ، فالمصنف عندما ذكر بأنهﷺ شدّ من سَغَب ، احترس من أن يُتَوَهَّمَ بأن جسمهﷺ الشريف قد يظهر عليه أثر الجوع .

كما أشار المصنف في هذا البيت إلى الحديث الذي روي عن جابرؓ أنه قال : « مكث النبيﷺ وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً لم يذوقوا طعاماً ، فقالوا : يا رسول الله ، إن ههنا كِدْيَة من الجبل . فقال رسول اللهﷺ : رشوها بالماء ، فرشّوها . ثم جاء النبيﷺ فأخذ المعول أو المسحاة ثم قال : بسم الله ، فضرب ثلاثاً فصارت كثيباً يهال . قال جابر : فحانت مني التفاتة فإذا رسول اللهﷺ قد شدّ على بطنه حجراً »[1] .

فبيّن أن النبيﷺ في حفر الخندق ثنى من جلد بطنه تحت الحجارة كشحاً ؛ ليسكن بعض ألم الجوع الذي اعتراه آنذاك .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ



(١) أخرجه أحمد في مسنده .

٣١- وَرَاوَدَتْـهُ الجِبَـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ
عَـــن نَفْسِـــهِ فَأَرَاهَـــا أَيَّـمَـــا شَــمَمِ

الإعراب الموجز

(**وَرَاوَدَتْـهُ الجِبَالُ**) : فعل وفاعل ومفعول به .

(**الشُّمُّ**) : نعت (الجِبَالُ) .

(**مِنْ ذَهَبٍ**) : جار ومجرور في موضع الحال .

ويجوز أن نعربها خبراً لتكون المحذوفة ، فتصير العبارة : أن تكون من ذهب . وأُعربت خبراً لأنها لم تكن من ذهب حين المراودة ، وإنما طلبت منه أن تكون كذلك .

(**عَن نَفْسِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (رَاوَدَتْهُ) .

(**فَـأَرَاهَا**) : فعل وفاعل .

(**أَيَّـمَـا**) : نعت لمصدر محذوف ، و(مَا) زائدة .

(**شَمَمِ**) بفتح الشين والميم : مضاف إليه ، والتقدير : فأراها شَمَماً أيّما شَمَم .

تفسير الكلمات

(**وَرَاوَدَتْـهُ**) : بمعنى خادعتهﷺ ، أي دعته إلى نفسها .

(**الجِبَالُ الشُّمُّ**) : الجبال المرتفعة الرؤوس .

وإسناد المراودة إلى الجبال يحتمل أن يكون حقيقة بأن يخلق الله تعالى فيها النطق وإدراك ذلك ، أو أن تكون من مجاز التشبيه .

(مِنْ ذَهَبٍ) : أي أن تصير من ذهب وتسير معه حيثمـا سار بـإذن الله تعالى .

(عَن نَفْسِهِ) : أي بشرط أن تطاوعه نفسه على ذلك .

(فَـأَرَاهَا) : أي بَصَّـرَها حقيقـة بـأن خلـق الله ﷻ فيهـا الإدراك ، أو مجازاً بأن جعلها تبصر منه شممـاً أيـّمـا شمم .

(أَيَّمَـا شَمَمِ) : أي إعراضاً شديداً ، علمـاً منـه ﷺ بـأن مـا عنـده تبارك وتعالى خير وأبقى .

المعنى الكلي

لقد بيّن المصنف رحمه الله تعالى أن النبـيﷺ لم يضـع الحجـر عـلى بطنه إلا إعراضاً عن الدنيا وزخارفها ، وقـد عُرضـت عليـه جبـال مكة ذهباً وفضة فرفضها طلباً للآخرة ، وإعراضاً عن الدنيا .

وأن الجبـال لمّـا تاهـت بارتفاعهـا الصـوري الـذهني ، وثقـت بأن يشمﷺ رائحتها ويضمها إليه ، فأراهـا عليـه الصـلاة والسـلام بأَنَــفَةَ الإعراض عنها ، وعدم الالتفات إليها .

وذلك كمـا روي أن جبريل عليه السلام نزل عـلى النبـي ﷺ فقـال لـه : ((إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : أتحـب أن تكـون هـذه الجبـال لك ذهباً وفضة تكون معك حيثمـا كنت ؟ فأطرق ساعة ثم قـال : يا جبريل ، إن الدنيا دار مَن لا دار له ، ومال مَن لا مال لـه ، يجمـع لها مَن لا عقل له . فقال له جبريل : ثبّتك الله بالقول الثابت)) [1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد والبيهقي عن السيدة عائشة ، والبيهقـي كـذلك عـن ابـن مسـعود موقوفاً .

وفي رواية ثانية عن أبي أمامة الباهلي عن النبيﷺ قال : « عَـرَضَ عليّ ربي ليجعل لي بطحـاء مكـة ذهبـاً فقلـت : لا يـا رب ، ولكـن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو نحو ذلك ، فإذا جعتُ تضـرعت إليـك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » [1] .

ونؤكد هنا أن الجبال العـوالي راودتـهﷺ وطلبـت منـه أن تكـون من ذهب خالص ، وتكون معه حيـث كـان ، وأن تطاوعهـا نفسـه على ذلك . فأظهر لهاﷺ إعراضاً شديداً ، علمـاً منه بأن مـا عنـد الله خير وأبقى .

ثم قال المصنف :

وَأَكَّـــدَتْ زُهْـــدَهُ فِيهَـــا ضَرُورَتُـــهُ

إِنَّ الضَّـــرُورَةَ لاَ تَعْــدُو عَــلَى العِصَــمِ



(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٣٢- وَأَكَّــدَتْ زُهْــدَهُ فِيهَــا ضَرُورَتُــهُ
إِنَّ الضَّـــرُورَةَ لاَ تَعْــدُو عَــلَى العِصَــمِ

الإعراب الموجز

(**وَأَكَّدَتْ**) : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(**زُهْدَهُ**) : مفعول به مقدم لـ (أَكَّدَتْ) ، والهاء مضاف إليه .

(**فِيهَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (زُهْدَهُ) .

(**ضَرُورَتُـهُ**) : فاعل (أَكَّدَتْ) ، والهاء مضاف إليه .

(**إِنَّ الضَّرُورَةَ**) : إنَّ واسمها .

(**لاَ**) : نافية .

(**تَعْـدُو**) : فعـل ، وفاعلهـا ضـمير مسـتتر جـوازاً تقـديره هـي . والجملة خبر (إِنَّ) .

(**عَلَى العِصَمِ**) بكسر العين وفتح الصاد : جار ومجـرور متعلـق بـ (تَعْدُو) .

تفسير الكلمات

(**أَكَّدَتْ**) : التأكيد هو التقوية ، أي قَوَّتْ .

(**زُهْدَهُ**) : الزهد لغة هو ترك الشيء وقلة الرغبة فيه . واصـطلاحاً هو على مراتب ، أعلاهـا وأفضـلها الإعـراض عـن غـير الله سبحانه وتعالى .

(**ضَرُورَتُـهُ**) : الضرورة الحاجـة ، والمـراد بهـا هنـا اشـتداد الفقـر والفاقة .

(**إِنَّ الضَّرُورَةَ**) : هنا استئناف بياني لكونه واقعاً في جواب سؤال مقدّر ، فكأنه سئل : كيف تؤكد ضرورتُه زهدَه فيها مع أن الضرورة تقتضي الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها ؟ فقال : (إِنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو ...) .

(**لاَ تَعْدُو**) : لا تتعدى .

(**عَلَى العِصَمِ**) : جمع عصمة ، وهي قوة من الله تبارك وتعالى يجعلها في عبده تمنعه من ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات .

والمراد بذوي العصم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

واعلم أخي المسلم أن الفرق بين ضرورة مَن عصمه الله ﷻ وضرورة غيره ممن لم يعصم الله ، أن ضرورة مَن عصمه الله تعالى لا تدعو إلى حُسْن الأشياء فضلاً عن أخسها . وأما ضرورة غير المعصوم فتدعوه إلى أخس الأشياء ، حتى أنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان مُحَرّمَ الأصل كالميتة .

المعنى الكلي

لقد ذكر العلامة أبو السعود أنه ﷺ كان من شدة احتياجه وافتقاره ، وشد أحشائه من الجوع تحت الحجارة ، واضطراره إلى ما يضطر إليه البشر ، لا يلتفت إلى الجبال الشم من الذهب . وكان ذلك مؤكداً لزهده عليه الصلاة والسلام ، فإن الإعراض عن

الشيء مع شدة الاحتياج إليه دليل واضح وبرهان قطعي ساطع على الزهد في ذلك الشيء .

ثم إن عدم الالتفات لهذه الجبال الذهبية مع شدة الاحتياج ، ومع أن الضرورات قد تبيح المحظورات لكون الضرورة والاحتياج لا يغلبان على العصمة ، ولا يستوليان عليها لاستيلاء العصمة على كل محظور . فإن الله تبارك وتعالى يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور ، وبذلك لا يؤثر بهم خداع الشيطان مهما كانت الحاجات ، ولا تتمكن النفس والهوى من أن تجذبهم إلى مهاوي العطب والثبور ، لا سيما وقد أيّده الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى] .

ثم تدلى المصنف على الحكم الذي نفاه بقوله :

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ

لَوْلاَهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ



٣٣- وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الـدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَـنْ
لَـــوْلاهُ لَمْ تُخْـــرَجِ الـــدُّنْيَا مِـــنَ العَــدَمِ

الإعراب الموجز

(وَكَيْفَ) : استفهام استنكاري متعلق بـ (تَدْعُو) .

(تَدْعُو) : فعل مضارع .

(إِلَى الدُّنْيَا) : جار ومجرور متعلق بـ (تَدْعُو) .

(ضَرُورَةُ) : فاعل (تَدْعُو) .

(مَنْ) : اسم موصول مضاف إليه .

(لَوْلاَهُ) : جار ومجرور عند سيبويه .

(لَمْ تُـخْرَجِ) : جازم ومجزوم .

(الدُّنْيَا) : نائب فاعل .

(مِنَ العَدَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ (تُخْرَجِ) .

وجملة (لَمْ تُـخْرَجِ ...) جواب لولا ، ولولا وجوابها صلة (مَنْ) ، وعائدها الهاء من (لَوْلاهُ) .

تفسير الكلمات

(وَكَيْفَ) : استفهام استنكاري بمعنى النفي ، أي لا تدعو .

(تَدْعُو) : الدعاء هو الطلب والميل .

(إِلَى الدُّنْيَا) : على وزن فُعْلَى ، مأخوذة من الدنو .

وتطلق الدنيا على هذه الدار التي نحـن فيهـا ، وتوصـف بمـا توصف الأسمـاء .

وقيل : إنها مشتـقة من الدناءة ؛ لدناءتها وخستها .

وقيل : الدنيا كل ما يقطع على العبد طريق الوصول إلى رب العالمين .

(**ضَرُورَةٌ**) : بمعنى حاجة ، أي كيف تدعو إلى الدنيا ضرورة نبي أو رسول .

(**لَوْلاَهُ**) : أي لولا وجوده .

(**لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيا مِنَ العَدَمِ**) : أي من العدم إلى الوجود بعد أن لم تكن .

والمقصود : لولا وجوده ﷺ لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد ، فوجوده ﷺ علة في وجودها ، ولو كانت ضرورته تدعو إلى الدنيا لكان وجوده معلولاً لوجودها .

وهذا مأخوذ من الحديث الذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ، أسألك بحق محمد لما غفرت لي . فقال الله: يا آدم ، وكيف عرفتَ محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك ، رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فعلمتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقتَ يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك »[1] .

---

(١) حديث صحيح الإسناد رواه الحاكم في المستدرك ، والطبراني في الأوسط والصغير .

وقـد بـيّن الحـديث أن وجـود سـيدنا آدم كـان متوقفـاً على وجود سيدنا محمد ﷺ ، وحيـث أن آدم أبـو البشــر ، وأن الله سبحانه وتعالى خلق له ولذريته ما في الأرض جميعـاً ، وسـخّر لهم الشمس والقمر ، والليل ، والنهار ، والأفلاك ، كمـا هو نص القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ، وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٣]. وأن أبا البشر إنمـا خُلـق لأجـل نبينـا محمـد ﷺ ، إذاً فقـد تحصّـل معنـا أن الدنيا خلقت لأجله عليـه الصـلاة والسـلام ، فيكـون نبينا محمد ﷺ هو السبب في وجود كل شيء .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إنه لا يدعو إلى الميل إلى الدنيا والاغترار بزخارفها احتياجُ مَن لـولا وجوده الشريف وخَلْقِهِ المنيف لم تخرج الدنيا من العدم إلى الوجـود بمـا فيها من الأراضين والسمـاوات ، والعرش والكرسي، والقلـم واللـوح ، والأفـلاك والأمـلاك ، والعقـول والنفـوس والأرواح ، والحيوان والنبات ، والمعادن ، والجن والإنس . فإنمـا هـو متطفـل على الشيء ، تابع له ، مترتب عليه ، يمتنع أن تُلجئـه الحاجـة إليـه ، ولا سيمـا إن كان ذلك الأصل منجـبلاً عـلى الاسـتغناء ، منطبعـاً على الرفعة والاستعلاء .

وفي الحقيقة كل ما ذكرناه من كائنات حقير قليل بالنسبة إلى علو همتهﷺ .

ومما يؤيد ما ذكرناه ، ويوضح ما أسلفناه ، قول الله ﷻ مخاطباً حبيبه الأعظم ورسوله الأكرم في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وموسى نجياً ، واتخذني حبيباً ، ثم قال : وعزتي وجلالي لأُوثرن حبيبي على خليلي ونجيي)) [1] .

نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة هذا النبي الكريم الذي هو أخص أحبابه إليه ﷻ ، وفي خدمة سنته آمين .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

هذا الذي لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم هو :

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ



(١) أخرجه البيهقي في الشعب .

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـ
ـيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

الإعراب الموجز

(**مُحَمَّدٌ**) : يجوز في إعرابه أوجه : الأول : على قراءته بالرفع هو خبر مبتدأ محذوف . الثاني : يصح فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، أي : أمدح محمداً . الثالث : يجوز فيه الجر على أنه بدل للموصول في البيت الذي قبله .

(**سَيِّدُ**) : نعته أو خبره .

(**الكَوْنَيْنِ**) : مضاف إليهما .

(**وَالثَّقَلَيْنِ**) ، (**وَالفَرِيقَيْنِ**) : معطوفان على (الكَوْنَيْنِ) .

(**مِنْ عُرْبٍ**) : جار ومجرور حال من (الفَرِيقَيْنِ) .

(**وَمِنْ عَجَمِ**): معطوف على (مِنْ عُرْبٍ)، و(مِنْ) فيهما بيانية.

تفسير الكلمات

(**مُحَمَّدٌ**) : أي الممدوح هو محمد ، وهو عَلَم للحضرة الإلهية والسيادة النبوية .

(**سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ**): أي هو سيد أهل السماوات والأرضين ، وأهل الدنيا والآخرة عليه الصلاة والسلام .

(**وَالثَّقَلَيْنِ**) : المقصود بهما الإنس والجن ، وإنما سُمِّيا بالثقلين لإثقالهما الأرض ، أو لأن الذنوب أثقلتهما .

والعطف هنا من عطف الخاص على العام ، وكذلك العطف في قوله (وَالفَرِيقَيْنِ) .

(مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ) : بيان لـ (الفَرِيقَيْنِ) .

والعُرْب بضم العين وسكون الراء لغة هم سكان البادية ، والعجم هم جميع غير العرب .

تنبيه :

ومعلوم هنا أن نصف البيت هو الياء من (الثَّقَلَيْنِ) في الشطرة الثانية من البيت ، فزيادة بعض الناس لفظة (خَيْرُ) قبل (الفَرِيقَيْنِ) خطأ .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا بأن النبيﷺ سيد أهل الدنيا والآخرة من إنس وجن ، وسيد العرب والعجم .

وإن أحاديث السيادة له ﷺ على جميع المخلوقات كثيرة ، منها :

قولهﷺ : ((أنا سيد الناس يوم القيامة))[1] .

وقولهﷺ : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)) [2].

وإن شئت أن تتعمق في هذا المقام فانظر إلى كتاب الشفاء ، فإنه قد شرح هذا الموضوع كثيراً وأحسن في ذلك .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ
أَبَرَّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ



(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد بزيادة : (ولا فخر) ، وروى البيهقي : (أنا سيد العالمين) .

٣٥- نَبِيُّنَــا الآمِـرُ النَّـاهِي فَـلاَ أَحَـدُ
أَبَـــرَّ فـــِي قَــوْلِ لاَ مِنْــهُ وَلاَ نَعَــمِ

الإعراب الموجز

(**نَبِيُّنَـا**)، (**الآمِرُ**)، (**النَّاهِي**): كلها نعوت لـ (**مُحَمَّدٌ**) أو أخبار له . والإضافة في (نَبِيُّنا) لتشريف المضاف إليه .

(**فَلاَ**) : حرف نفي عامل يعمل عمل ليس .

(**أَحَدٌ**) : بالرفع اسمها .

(**أَبَـرَّ**) : بالنصب خبرها .

ويجوز رفعهما إذا أهملنا عمل (لاَ) ، ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر .

وعلى كلا الوجهين فإنه لا يُنَوَّن لأنه غير منصرف ؛ لأنه جمع الوصف والوزن حيث هو اسم تفضيل .

(**فِي قَوْلِ**) بلا تنوين : متعلق بـ (أَبَـرَّ) ، وهو مضاف .

(**لاَ**) : مضاف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول بعد حذف فاعله . وهنا يثبت المصنف بأن الإضافة إلى لفظها ، حيث الحروف لا يضاف إليها .

(**مِنْـهُ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَبَـرَّ) ، والضمير له ﷺ .

(**وَلاَ**) : حرف نفي .

(**نَعَمِ**) : في محل جر بمضاف محذوف مماثل للمذكور ، والتقدير: ولا بقول نعم .

تفسير الكلمات

(نَبِيُّنَا) : هو سيدنا محمد ﷺ .

(الآمِرُ) : أي بالمعروف . وهو اسم فاعل من الأمر ، وهو طلب الفعل .

(النَّاهِي) : أي عن المنكر ، مأخوذ من النهي وهو طلب الترك .

وهنا يجب أن يعرف القارئ أن الآمر والناهي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، وقد أظهر لنا جل جلاله أمره ونهيه على لسان نبينا محمد ﷺ .

فيتبيّن لنا أن أمره ﷺ ونهيه أمر الله تعالى ونهيه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم].

(فَلاَ أَحَدٌ) : أي من البرية .

(أَبَــرَّ) : بمعنى أصدق ، وهو اسم تفضيل كما ذكرنا .

(فِي قَوْلِ لاَ مِنْـهُ وَلاَ نَعَمِ) : أي فلا أحد من البشر أصدق منه ﷺ في الأمر والنهي ، وقد عبّر عن النهي بقوله : (لاَ) ، وعن الأمر بقوله : (نَعَمِ) .

ويحتمل أنه كنّى بـ (لاَ) عن الخبر المنفي ، وبـ (نَعَمِ) عن الخبر المثبت ، إما مطلقاً ، أو عن الثواب والعقاب .

وفي الجملة فهو ﷺ أصدق الناس في الخبر ، حيث (لاَ) و(نَعَمِ) من أحرف الجواب . أي لا أحد أبر منه ﷺ في قوله : لا ، ولا في قوله : نعم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن قول المصنف : (الآمِرُ) أي بالمعروف ، (النَّاهِي) أي عن المنكر ، بإرسال الله ﷻ إياه ﷺ إلينا وإلى العالمين كافة . وإنما عبّر بالآمر الناهي لأنهما ملزومان بالرسالة ، وكلما وجد الملزوم وجد اللازم . فكأنه قال : نبينا الرسول فلا أحد من البرية أبر في قول لا منه ولا نعم ، بل هو أبر .

ويحتمل أن يكون معناه :

فلا أحد أصدق منه في الخبر المنفي والمثبت ، وذلك باعتبار الخبر بالإطلاق ، أو باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب ونفيهما . فإذا أخبر ﷺ عن ثواب أو عقاب فهو أصدق الناس في خبره كما مر معنا ، ولذلك يبادر إلى الفعل أو الترك .

وأما ما ذكر بعضهم بقوله :

ما قال لا قط إلا في تشهده　　　لولا التشهد كانت لاؤه نعما

فهو محمول على أنه لم يقل : لا في شيء سئل عنه من حوائج الدنيا ، بل إن كان عنده شيء أعطاه للسائل ، وإن لم يكن عنده شيء سكت أو وعده .

وهذا باعتبار الغالب ، وإلا فقد ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : « أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعريين نستحمله ، فقال : والله لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه . قال : فلبثنا ما شاء الله ، ثم أُتِيَ بإبل فأمر لنا بثلاث ذود غر الذرى ،

فلما انطلقنا قلنا أو قال بعضنا لبعض : لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا . فأتوه فأخبروه ، فقال : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم ، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منه إلا كفّرتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير)) [1] .

وبعد أن أثبت المصنف رحمه الله أنه ﷺ أصدق الناس لهجة وقيلاً ، قال :

هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ



(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له . ورواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، والبزار .

٣٦- هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُـرْجَى شَفَاعَتُـهُ
لِكُـلِّ هَـوْلٍ مِـنَ الأَهْـوَالِ مُقْـتَحَمِ

الإعراب الموجز

(**هُوَ**) : مبتدأ ، والضمير راجع إلى (مُحَمَّدٌ) أو (نَبِيُّنا) من البيتين السابقين .

(**الحَبِيبُ**) : خبر .

(**الَّذِي**) : نعت لـ (الحَبِيبُ) .

(**تُرْجَى**) : فعل مضارع مبني للمجهول .

(**شَفَاعَتُهُ**) : نائب الفاعل وهو مضاف ، والهاء مضاف إليه .

والجملة صلة (الَّذِي) ، والعائد الهاء المجرورة بالإضافة .

(**لِكُلِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُرْجَى) .

(**هَوْلٍ**) : مضاف إليه .

(**مِنَ الأَهْوَالِ**) : جار ومجرور نعت (هَوْلٍ) .

(**مُقْتَحَمِ**) : نعت (هَوْلٍ) كذلك .

تفسير الكلمات

(**هُوَ الحَبِيبُ**) : أي المحبوب لله ولأمتهﷺ ؛ لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له .

وهو أيضاً محب لأمته محبوب لها ، إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون النبيﷺ أحب إلى أمته من المال ، والولد ، والنفس .

وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : « لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال له النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر »[1] .

وبذلك ترقّى عمر في الحال ببركته ﷺ ، ويُحتمل أن يكون ذلك كامناً في نفسه ولكنه لم ينتبه إليه إلا بعد أن نبّهه ﷺ ، وهذا هو اللائق بالأدب مع سيدنا عمر رضي الله عنه .

(**الَّذِي تُـرْجَى**) : أي تُؤمَّـل .

(**شَفَاعَتُـهُ**) : الشفاعة هي طلب أو سؤال الخير للغير .

(**لِكُلِّ هَوْلٍ**) : لكل أمر مخوف .

(**مُقْـتَحَمِ**) : أي مدخول فيه كرهاً .

مأخوذة من اقتحمتَ الشيء إذا رميتَ بنفسك فيه .

والاقتحام هو الوقوع في الشيء كُرهاً ، يقال : اقتحم زيد الأمر إذا وقع فيه كُرهاً .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

هو الحبيب الذي تؤمن شفاعته يوم القيامة لكل خوف وفزع يرمي الإنسان نفسه فيه من شدة الدهشة .

---

(١) رواه البخاري ، وأحمد في مسنده ، والبزار ، والطبراني في الأوسط .

وإنما عبّر بالرجاء هنا مع أن شفاعتهﷺ مُؤَكَّدَة ومقطوع بها ، إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن ينهمك في المعاصي ويتّكل على شفاعتهﷺ .

وكما ذكرنا في رسالة التوحيد فإن لهﷺ شفاعات منها :

١ - شفاعته في فصل القضاء ، حيث يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو إلى النار من شدة الهول .

وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي مختصة بهﷺ . وتسمى كذلك بالمقام المحمود ؛ لأنهﷺ يُحْمَدُ عليه ، يَحمده الأولون والآخرون .

وحديث الشفاعة هذه رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرةؓ قال : « أُتي رسول اللهﷺ بلحم ، فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مِمَّ ذلك ؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم . فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُه ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون

نوحاً فيقولون: يا نوح ، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربيﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتُها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، فضّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلّمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمدﷺ . فيأتوني فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا

إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فـأقع ساجداً لربيﷻ ، ثم يفتح الله عليّ من محامـده وحسـن الثنـاء عليـه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسـك ، سـل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فـأقول : أمتـي يـا رب ، أمتـي يا رب . فيقال : يا محمد ، أَدْخِلْ مِن أمتـك مَـن لا حسـاب علـيهم مِن الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيمـا سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كمـا بين مكة وحمير - وفي رواية مسلم هجر - ، أو كمـا بين مكة وبُصرى)) .

٢- شفاعتهﷺ في دخول جماعة إلى الجنة بغير حساب ، بل يقومـون من قبورهم إلى قصورهم .

وهذه مختصة بهﷺ كذلك .

٣- شفاعتهﷺ في جماعة استحقوا النار ، فيشفع لهـم فـلا يـدخلونها بل يدخلون الجنة .

وهي كذلك مختصة بهﷺ .

٤- شفاعتهﷺ في جماعة دخلوا النار ، فيشفع لهم فيخرجون منها .

وهذه غير مختصة به ﷺ ، بل تكون لغيره من العلماء والأولياء .

٥- شفاعتهﷺ في رفع درجات أناس في الجنة .

وهذه لم يثبت اختصاصها به عليه الصلاة والسلام .

وقد ذكر الإمام الباجوري شفاعة سادسة لهﷺ ، وهي تكـون في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين في النار ، كعمه أبي طالب عـلى القول بأن الله لم يحيه فآمن بهﷺ ، وهو المشهور .

ويقول الإمام الباجوري : وكل من يحب أهل البيت يقول بأن الله تعالى أحيى أبا طالب وآمن بالنبيﷺ ، والله ﷻ على كل شيء قدير .

ثم قال : ولا ينافي شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالى : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٢] ؛ لأن المنفي إنما هو تخفيف عذاب الكفر ، وشفاعته ﷺ تكون في تخفيف عذاب غير الكفر على أحد الأجوبة على ذلك .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

دَعَا إِلَى اللهِ فَالـمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ



٣٧- دَعَا إِلَى اللهِ فَالـمُسْتَمْسِكُونَ بِـهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

الإعراب الموجز

(دَعَا) : فعل ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو ، ويعود على النبي ﷺ .

(إِلَى اللهِ) : جار ومجرور متعلق بـ (دَعَا) .

(فَالـمُسْتَـمْسِكُونَ) : مبتدأ .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ (الـمُسْتَـمْسِكُونَ) .

(مُسْتَمْسِكُونَ): خبر المبتدأ. والذي سوَّغ ذلك اختلافهما تعريفاً، وتنكيراً ، ومتعلقاً .

(بِحَبْلٍ) بفتح الحاء وسكون الباء : جار ومجرور متعلق بـ (مُسْتَمْسِكُونَ) .

(غَيْرِ) : نعت لـ (حَبْلٍ) مجرور ، وهي مضاف .

(مُنْفَصِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(دَعَا إِلَى اللهِ) : أي دعا ﷺ إلى دين الله كلّ من بُعث إليهم من الإنس والجن كما قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] . فكانت دعوته ﷺ للإنس والجن تكليفاً ، وللملائكة تشريفاً .

(فَالـمُسْتَمْسِكُونَ) : فالمعتصمون .

(بِهِ) : بما دعا إليه ﷺ .

(مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ) : أي معتصمون بعهد الله ، والمراد من الحبل هنا السبب .

(غَيْرِ مُنْفَصِمِ): مأخوذة من فَصَمْتُ الشيء فانفصم فصماً إذا كسرته. قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

المعنى الكلي

يقول المصنف أنه ﷺ دعا من أُرسل إليهم إلى طاعة الله وامتثال أوامره ، وهداهم إلى الإسلام ، وأمرهم باتباع شرعه وسنته . فمن تمسّك بما جاء به فقد تمسّك بحبل ليس له انفصام ولا انقطاع فضلاً عن أن يكون له انفصال ، ومَن رغب عن ذلك فهو هالك ودخل في زمرة : ﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾ [الكهف] .

نسأل الله تعالى أن يهدينا سبيل الرشاد .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى وأرضاه عنا :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ



٣٨- فَـاقَ النَّبِيِّـينَ فِي خَلْـقٍ وَفِي خُلُـقٍ
وَلَمْ يُـدَانُوهُ فِي عِلْـمٍ وَلاَ كَـرَمِ

الإعراب الموجز

(**فَاقَ**) : فعل وفاعل .
(**النَّبِيِّـينَ**) : مفعول به .
(**فِي خَلْق**) بفتح الخاء وسكون اللام: جار ومجرور متعلق بـ (فَاقَ).
(**وَفِي خُلُق**) بضم الخاء واللام : جار ومجرور متعلق بـ (فَاقَ) .
(**وَلَـمْ**) : حرف جزم .
(**يُدَانُوهُ**) : مجزوم بحذف النون .
(**فِي عِلْمٍ**) بكسر العين : جار ومجرور متعلق بـ (يُدَانُوهُ) .
(**وَلاَ كَـرَمِ**) : معطوف على (عِلْمٍ) ، وإعادة (لاَ) كانت لتأكيد النفي .

تفسير الكلمات

(**فَاقَ النَّبِيِّـينَ**) : بمعنى علا ﷺ على جميع النبيين عليهم الصلاة والسلام في الخِلْـقَة والسجية .
(**فِي خَلْق**) : أي خَلْق حسن .
(**وَفِي خُلُق**) : أي بكل سجية ، وهي ما طُبع عليهﷺ من كل الخصال الحميدة : كالعلم ، والحياء ، والجود ، والشفقة ، والحلم ، والعدل ، والعفة ، ... وغير ذلك مما لا يُستطاع حصره ولا نشره من أخلاقهﷺ العالية .

(**وَلَـمْ يُـدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَـرَمِ**) : أي لم يقاربوه في علم ولا كرم .

وخصّ هنا المصنف العلم والكرم وقد دخلا في الخُـلُق ؛ لأنهمـا كـالمنبع لسـائر الأوصـاف الحميـدة ، فـإذا كـان لا يُـقارَب فيهمـا ففي غيرهما من باب أولى .

وهنـا يجـب أن نعـرف بـأن العقـل هـو أصـل الأخـلاق الحميدة كلها ، ومنها ينبعث العلـم . وقـد أعطـيﷺ مـن العقل ما لا يقاربه غيره مما أُعطي منه .

يقول وهب بـن منبـه : ((أجـد في سـبعين كتابـاً أن جميـع ما أُعطي الناس من بُدُوِّ الدنيا إلى انقطاعها مـن العقـل في جنب عقل محمدﷺ إلا كحبة رمل رُفعـت مـن بـين جميـع رمال الدنيا)) [1] .

المعنى الكلي

يقول المصنف أنـهﷺ عـلا النبيـين علـيهم الصـلاة والسـلام في خَلْقهم وفي خُلُقهم ، ولم يقاربوه بعلم ولا كرم ولا غيرهما .

وإنمـا اقتصرـ المصـنف عليهمـا لأن العلـم رأس الفضـائل ، والكرم رأس الفواضل .

ولا يرد على ذلك ما ورد من النهي عن التفضـيل بـين الأنبيـاء ، كقوله ﷺ : ((لا تفضـلوا بـين أنبيـاء الله – أو بـين الأنبيـاء –)) [2] ؛

---

(١) رواه الترمذي في كتابه نوادر الأصول في أحاديث الرسول .

(٢) أخرجـه البخـاري في أحاديـث الأنبيـاء ، ومسـلم في الفضـائل . ورواه أبـو داود الطيالسي في مسنده ، والنسائي في التفسير ، والبيهقي في شعبه عن أبي هريرة .

لأنه محمول على تفضيلٍ يؤدي إلى تنقيصٍ . وليس في ذلك تنقيصٌ لأحد من النبيين ؛ لأننا نعتقد باتصاف النبيين بالكمال ، والنبي ﷺ أكمل .

ويؤيد هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

قال ابن عباس : المراد بالبعض الأول محمد ﷺ .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ الله مُلْتَمِسٌ
غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ



٣٩- وَكُلُّـــهُمْ مِــنْ رَسُــولِ اللهِ مُلْـتَمِسٌ
غَرْفـاً مِــنَ البَحْــرِ أَوْ رَشْــفاً مِــنَ الـدِّيَمِ

الإعراب الموجز

(**وَكُلُّـهُمْ**) : مبتدأ .

(**مِنْ رَسُولِ اللهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُلْتَمِسٌ) .

والإضافة في (رَسُولِ اللهِ) للعهد ، والمعهـود هـو سـيدنا محمدﷺ .

(**مُلْتَمِسٌ**) : خبر المبتدأ ، وأفرده هنا مراعاة للفظ (كُـلُّ) .

(**غَرْفاً**) : مفعول (مُلْتَمِسٌ) ، ويجوز أن تعرب حالاً .

(**مِنَ البَحْرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (غَرْفاً) .

(**أَوْ رَشْفاً**) بفتح الراء وسكون الشين : معطوف على (غَرْفاً) .

(**مِنَ الدِّيَمِ**) بكسر الدال وفتح الياء: جار ومجرور متعلق بـ(رَشْفاً).

تفسير الكلمات

(**وَكُلُّـهُمْ**) : جميعهم .

(**مِنْ رَسُولِ اللهِ**) : أي من سيدنا محمدﷺ .

(**مُلْتَمِسٌ**): أي آخذ ، وإن كان الالتماس في الأصل معناه الطلب .

(**غَرْفاً**) : مصدر غرفتُ بيدي .

(**مِنَ البَحْرِ**) : البحر ضد البر ، وسُمِّيَ بذلك لعمقه واتساعه .

(**أَوْ رَشْفاً**) : الرشف هو المص .

(**مِنَ الدِّيَمِ**) : جمع ديمة ، وهي المطر الـدائم يومـاً وليلـة مـن غـير رعد ولا برق .

والمراد من (البَحْرِ) و(الدِّيَمِ) : علمهﷺ وحلمه . وكل منهما استعارة تصريحية ، وكل من الغرف والرشف ترشيح .

وإنما عبّر المصنف هنا في جانب البحر بالغرف ، وفي جانب الديم بالرشف ؛ لأن الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم التي تجري على وجه الأرض ، فلا يجتمع منها ماء غالباً حتى يُغترف منها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن كلاً من النبيين آخذ من علمهﷺ مقدار غَرْفِه من البحر ، أو مَصِّه من المطر الغزير .

وفي كلامه هنا إشارة إلى اختلاف أحوال الملتمسين ، حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر، وبعضهم مرتشفاً من الديم . وأولوا العزم من الأنبياء أكثرهم التماساً من غيرهم .

ثم قال :

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِم
مِن نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ



٤٠- وَوَاقِفُــونَ لَدَيْـــهِ عِنْـــدَ حَـــدِّهِم
مِـن نُـــقْطَةِ العِلْـمِ أَوْ مِـنْ شَـكْلَةِ الحِكَـمِ

الإعراب الموجز

(**وَوَاقِفُونَ**): معطوف على (مُلْتَمِسٌ) في البيت السابق ، فهو خبر ثان لـ(كُلُّهُمْ) ؛ لأن المعطوف على الخبر خبر . والإفراد في الأول نظراً إلى اللفظ، والجمع في الثاني نظراً إلى المعنى. ويجوز أن تُجعل للحال على أنَّ (وَاقِفُونَ) خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة حال من الضمير من (مُلْتَمِسٌ) .

(**لَـدَيْـهِ**) : ظرف مكان ، وهو أخص من (عِنْدَ) لأنه لا يطلق إلا على مظروفه . والضمير راجع إلى النبيﷺ .

(**عِنْدَ حَدِّهِمِ**): مضاف ومضاف إليه، والضمير راجع إلى (النَّبِيِّينَ).

(**مِن نُـقْطَةِ**) بضم النون وسكون القاف : جار ومجرور متعلق بـ (حَدِّهِمِ) .

(**العِلْمِ**) : مضاف إليه .

(**أَوْ**) : حرف عطف وتقسيم بمعنى الواو .

(**مِنْ شَكْلَةِ**) بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف : جار ومجرور معطوف على (مِن نُـقْطَةِ) .

(**الحِكَمِ**) بكسر الحاء وفتح الكاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَوَاقِفُونَ**) : الوقوف هو الانتصاب على الرجلين مع السكون ، ويقابله المشي والاضطجاع .

(**لَـدَيْـهِ**) : أي ثابتون عنده ﷺ .

(**عِنْـدَ حَدِّهِمِ**) : الحد هو المنع ، ويطلق كذلك على المقام والرتبـة ، وهو المعني هنا .

(**مِنَ نُـقْطَةِ العِلْمِ**) : النقطة على وزن فُعْلـة ، مـأخوذة مـن نَقَّطْـتُ الكتاب إذا وضعتُ النقط على الحروف .

وقد تطلق كذلك على ما يتركب منه الخط ، وهـو جـوهر لا يقبل القسمة لا طولاً ، ولا عرضاً ، ولا عمقاً .

والجملة صفة كاشفة لـ (حَـدِّهِم) ، أي حـدهم الكـائن من نقطة العلم . أو حال ، أي ثابتاً من نقطة العلم .

(**أَوْ مِنْ شَكْلَةِ**) : الشكلة عـلى وزن فَعْلَـة ، مـأخوذة مـن شَـكَّلْتُ الكتاب إذا قيّضته بالإعراب .

(**الحِكَمِ**) : جمع حكمة عـلى وزن فِعْلـة ، وفي الاصـطلاح الحكمـة استكمـال النفس الإنسانية بقوتي العلم والعمل .

والإضافة في (مِن نُـقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ) بمعنى اللام .

وليُعلم أن اللام من (العِلْـمِ) و(الحِكَـمِ) يجـوز أن تكـون للعهـد الذهني ، وعند ذلك يُحمل العلم والحكم على علم الله ﷻ وحكمه .

ويراد بالنقطة هنا ما منح الله ﷻ به عباده من علمه الذي لا يتناهى، وبالشكلة ما مـنّ الله بـه علـيهم بغـامض حكمتـه . والتعبـير عـن هذين المقدارين في النقطة والشكلة إنمـا هو تقريبي لا تحقيقي .

ويجوز أن يكونا عِوَضيْن عن المضاف إليـه ، والتقـدير : مـن نقطـة علمه وشكلة حكمه ، والضمير عائد إلى النبي ﷺ .

ويراد بالنقطة والشكلة العبارة التي يعبر بها عن حقيقة علمه وحكمتـه

لا إلى حقيقتهما ، فإن حقيقتهما ليس لأحد نسبة إليهما أصلاً .
قال العلامة أبو السعود رحمه الله : وتخصيص النقطة بالعلم ، والشكلة بالحكم ؛ لكون الدقة والإغماض في الحكمة أكثر من العلم ، والكشف والإعراب في الشكلة أكثر من النقطة ، إذ النقطة إنما ترفع الإبهام عن المعاني المتعلقة بالكلم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن كل النبيين ملتمسون من رسول الله ﷺ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم حال كونهم واقفين لدى سدته العلية ، وحضرته السنية ، بحسب مراتبهم التي نالوها عند الله سبحانه وتعالى ، فلا يستطيعون تجاوز هذه المراتب شعرة واحدة . وهو ﷺ يعرج في عالم الملكوت ، ويصعد في مصاعد اللاهوت إلى مقام تكل عنه أجنحة الطائرين ، وتقف دونه أقدام السائلين .

ولينظر القارئ إلى حسن المعنى حيث كانت الواو للحال حتى صار الوقوف قيداً لالتماسهم ، وهل يحسن في مقام المدح إلا مثل هذا المعنى ؟

وإن حُملت الواو على العطف كان المعنى أن جميعهم ملتمس وواقف.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ



٤١ - فَهــوَ الَّــذِي تَــمَّ مَعْنَــاهُ وَصُورَتُــهُ
ثُــمَّ اصْطَــفَاهُ حَبِيبــاً بَــارِئُ النَّسَــمِ

الإعراب الموجز

(**فَهوَ**) : مبتدأ .
(**الَّذِي**) : خبره ، وسوّغ ذلك صلته .
(**تَمَّ**) بفتح التاء : فعل ماض .
(**مَعْنَاهُ**) : فاعل ، و(مَعْنَى) مضاف ، والهاء مضاف إليه .
والجملة صلة (الَّذِي) .
(**وَصُورَتُهُ**) : معطوف على لفظة (مَعْنَاهُ) ، والمعطوف على المرفوع مرفوع .
(**ثُمَّ**) : حرف عطف .
(**اصْطَفَاهُ**) : معطوف على (تَمَّ مَعْنَاهُ) .
(**حَبِيباً**) : حال من الهاء .
(**بَارِئُ**) : فاعل (اصْطَفَاهُ) ، وهي مضاف .
(**النَّسَمِ**) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**تَمَّ**) : كَمُلَ .
(**مَعْنَاهُ**) : أي كمالاته الباطنية .
(**وَصُورَتُهُ**) : أي صفاته الظاهرية .
(**اصْطَفَاهُ**) : اختاره .

(**حَبِيباً**) : أي محبوباً .

(**بَارِئُ**) : بمعنى خالق .

(**النَّسَمِ**) : جمع نَسَمة ، والمقصود منها الإنسان .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

هو ﷺ الذي كَمُلَ باطنه في الكمالات ، وظاهره في الصفات ، ثم اختاره خالق الإنسان حبيباً ليس له في محاسنه شريك من البشر .

فمَن كان موصوفاً بكمال الصفات ظاهراً وباطناً كان محبوباً عند الله سبحانه وتعالى .

وجوهر حسنه ﷺ لا يقبل القسمة بينه وبين غيره ، كما أن الجوهر الفرد الذي يُتَوَهَّم في الجسم لا يقبل القسمة كذلك ، حيث قال علماء الكلام : إن الجسم مركب منه غير منقسم بوجه من الوجوه لا بالفرض ولا بالوهم . لذا قال صاحب التصنيف :

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ

فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ



٤٢- مُنَــزَّهٌ عَــنْ شَرِيــكٍ فِي مَـحَاسِنِـــهِ
فَجَــوْهَرُ الـحُسْـــنِ فِيــهِ غَـيْرُ مُنْـــقَسِمِ

الإعراب الموجز

(**مُنَـزَّهٌ**) : خبر ثان لـ (فَهوَ) ، أي وهو منزه .
(**عَنْ شَرِيكٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُنَـزَّهٌ) .
(**فِي مَـحَاسِنِـهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (شَرِيكٍ) .
(**فَجَوْهَرُ**) : مبتدأ ، وهي مضاف .
(**الـحُسْنِ**) : مضاف إليه .
(**فِيـهِ**) : جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ المحذوف .
(**غَيْـرُ**) : بالرفع خبر بعد خبر .
(**مُنْـقَسِمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**مُنَـزَّهٌ**) : التنزيه هو التقديس والتطهير . وهو في الأجسام بمعنى إزالة النجاسة العينية والحُكمية ، وفي المعاني إزالة الأوصاف الذميمة والسمات القبيحة المضادة لصفات الكمال .
(**عَنْ شَرِيكٍ**) : الشريك بمعنى المشاركة والاشتراك ، أي الاجتماع لاستحقاقين فصاعداً في شيء واحد .
(**فِي مَـحَاسِنِـهِ**) : المحاسن جمع حُسْن .
(**فَجَوْهَرُ**) : هو الجسم النفيس المعدني .

وهو عند المتكلمين الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل القسمة أصلاً لا طولاً ، ولا عرضاً ، ولا عمقاً كما ذكرنا آنفاً .

(**الـحُسْنِ**) : أي في الصورة .

وهذه الكلمة عبارة عن كيفية ناشئة من تناسب أجزاء الـمُرَكّب ، تروق في المنظر ، وتميل إليها الطباع السليمة .

وهنا العبارة تدل على الفرق بين الجمال وبين الـحُسن ، حيث الجمال لا يطلق إلا على الكيفية الحاصلة في الإنسان ، وأما الـحُسن فهو أعم .

والمراد به هنا ما هو أعم من حسن الصورة والمعنى .

(**غَيْرُ مُنْقَسِمِ**): الانقسام هو التجزؤ إما عقلاً ، أو حساً ، أو وهماً. فحسنهﷺ غير قابل لذلك .

المعنى الكلي

أنهﷺ كما انحصر تمام حُسن الصورة ، وجمال كمال المعنى في صورتهﷺ ومعناه ، فهو منزه عمّن يشاركه في جوهر الـحُسن والجمال ، منفرد عن أن يماثله مثل ، أو أن يشابهه ند في الملاحة والاعتدال . فجوهر حسنهﷺ مصون عن عرض الانقسام ، بل هو غير قابل للقسمة في شيء من الأنام .

وكيف لا وهوﷺ سلطان سُدّة الملاحة ، وكوكب أُفق سماء الصباحة ؟! ما وُجِد في بستان الحُسن إلا غصن قامته ، ولا طلع في برج الجمال إلا شمس طلعته .

قال الشاعر :

هو البدرُ إلا أنــه غـيرُ نـاقصٍ هو الشمسُ إلا أنه غيرُ مُنْكَسِفِ
هو البحـرُ إلا أنـه غـيرُ هـائجٍ هو الطودُ إلا أنه غـيرُ مُنْــتَسِفِ

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

دَعْ مَـــا ادَّعَتْـــهُ النَّصَـــارَى فِي نَبِـــيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَـا شِئْتَ مَـدْحاً فِيـهِ وَاحْتَـكِمِ



٤٣- دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَـارَى فِي نَبِـيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَـا شِئْتَ مَـدْحاً فِيـهِ وَاحْتَـكِمِ

الإعراب الموجز

(**دَعْ**) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .
(**مَا**) : موصول اسمي في محل نصب على المفعولية لـ (دَعْ) .
(**ادَّعَتْـهُ**) : فعل ومفعول .
(**النَّصَارَى**) : فاعل .
والجملة صلة (مَا) ، والعائد ضمير المفعول .
(**فِي نَبِيِّـهِمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (ادَّعَتْـهُ) .
(**وَاحْكُمْ**) : فعل أمر وفاعل .
(**بِمَـا**) : جار ومجرور متعلـق بــ (وَاحْكُـمْ) ، و(مَـا) موصـول اسمي .
(**شِئْتَ**) بفتح التاء : فعل وفاعل صلة (مَا) ، والعائد هنا محذوف تقديره شئـته .
(**مَدْحاً**) : منصوب بنزع الخافض ، أي مِنْ مَدْحٍ .
(**فِيـهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مَدْحاً) .
(**وَاحْتَـكِمِ**) : فعل وفاعل ، وهو معطوف على (دَعْ) .

تفسير الكلمات

(**دَعْ**) : اترك .
(**مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى**): أي ما قالته النصارى وهم قوم عيسى عليه السلام .

والنصارى جمع نصـــراني ، وسُـمُّوا بـذلك لانتسـابهم إلى ناصرة ، وهي قبيلة بالشام كـان ينزلهـا عيسـى بـن مـريم عليه السلام ، قيل بأنها قريته .

(**فِي نَبِيِّـهِمِ**) : أي اقض في نبيهم .

وفائدة الإضافة في قول المصنف (نَبِـيِّهِمِ) الـرد علـيهم ، فـإنهم يُسَـلِّمون بأنـه نبـيهم ثـم ينسـبون لـه الألوهيـة ، والمعهود من النبي أنه من البشر .

وليست الإضافة هنا للاختصاص ، فإن ذلك يـوهم نفـي أنه ليس بنبي لنا أيضاً وهذا غير صـحيح ، فهـو نبـي لنـا وإنا نؤمن بنبوته لا أنه صاحب شريعتنـا ، وهـو سـيبعث فينا إماماً . ويـوهم أيضـاً أن محمـداً صلى الله عليه وسلم بنبـي للنصـارى ، وهذا باطل .

(**وَاحْكُمْ**) : بمعنى اقض بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم .

(**بِمَـا شِئْتَ**) : بصحة ما شئت مما سمعت ، والمشيئة هنا الإرادة .

(**مَدْحاً**) : المدح هو الثناء على الفعل الجميل سـواء كـان اختياريـاً أو غيره .

(**فِيـهِ**) : أي غير أن لا تدّعي ما ادعتـه النصـارى في عيسـى عليه السلام .

كأنه قال : إن سمعتَ مدحاً بأي شيء كان ما عدا ما ذُكـر فاقض بصحته ولا تُـكَذِّب قائله .

(**وَاحْتَـكِمِ**) : أي إظهـاراً عـلى أن المحكـوم عليـه بصـحة مدحـه يرضى بتحكيمك في ذلك ، فيجعل حيازة الحكم لك .

وهو احتراس عمـا يوهمه (وَاحْكُـمْ) أنَّ ذلـك لسـلطان

الحاكم وقهره، فزاد (وَاحْتَكِمِ) ليدل على أنه من الحكم الذي يرتضيه المحكوم عليه به ؛ لأن مما يستدعيه الحكم محكوماً فيهﷺ ، ولا بد أن يكون غير فعل الحاكم .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا يخاطب كل من قصد مدح النبيﷺ بالرخصة له بسلوك أي أسلوب أراده من أساليب المدح بَيْدَ ما ادّعته النصارى في عيسى بن مريمعليه السلام ، النبوة في موضع النبوة ، فإنه لا يجوز الإقدام عليه لاستلزامه الشرك والكفر ، وما عداه من صفات الكمال ونعوت الجمال فإنك ذو رخصة فيه ، وما عليك فيه من حرج ، بل إنك لو بذلتَ في ذلك كل طاقتك وجهدك ، وَجُدْتَ في تحصيلك عليه لم تُحِطْ إلا بالقليل من معاني كماله ونعوت جماله ﷺ . فإن عظمةَ ممدوحك عظمةٌ قد طاعت لها أعمال الجبابرة ، وإن علو شأنهﷺ مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة .

وما عناه المصنف هنا أن مدحهﷺ مهما كان مبالغاً فيه فإنه قاصر بحقه عليه الصلاة والسلام ، ويستطيع الإنسان المسلم أن يمدحهﷺ بكل مدح سوى ما قالت النصارى في عيسى بن مريمعليه السلام .

فعن ابن عباس عن عمررضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله)) [1] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه .

وإن المصنف هنا دفع وهم ما يوشك أن يخطر ببال بعض من قصرت فطنته عن ترك بعض كمالاته ﷺ ، وبعضٍ من مقاماته مدعياً أن هذا القول إفراط في مدحه ﷺ .

وقد مدحه هنا بما يدل على كثرة التفاوت بين مرتبته ﷺ ومرتبة سائر الأنبياء .

ثم تمّم المصنف مدحه ﷺ بقوله :

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ



٤٤- وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

الإعراب الموجز

(وَانْسُبْ) بضم السين: فعل أمر معطوف على (دَعْ) في البيت السابق.
(إِلَى ذَاتِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ (انْسُبْ) .
(مَا) : اسم موصول في موضع نصب على المفعولية بـ (انْسُبْ) .
(شِئْتَ) بكسر الشين وفتح التاء : فعل وفاعل ، وهو صلة (مَا) ، والعائد هنا محذوف تقديره شئته .
(مِنْ شَرَفٍ) : جار ومجرور بيان لـ (مَا) متعلق بـ (انْسُبْ) .
(وَانْسُبْ) : فعل أمر وفاعل .
(إِلَى قَدْرِهِ) : جار ومجرور .
(مَا) : اسم موصول في موضع نصب .
(شِئْتَ) : صلة (مَا) ، وعائدها محذوف .
(مِنْ عِظَمِ) : جار ومجرور .

تفسير الكلمات

(وَانْسُبْ) : النسبة هي العلاقة بين الشيئين .
(إِلَى ذَاتِهِ) : إلى شخصيته وهويته ، وإلى الحقيقة التي يكون بها ذلك الشيء شيئاً .
(مَا شِئْتَ) : أي ما شئته .
(مِنْ شَرَفٍ) : الشرف هو المجد ، والمراد به النباهة وعلو الشأن .
قال الشاعر :
شرفي وفخري في الوجود وعزتي   أني بتُرْب نعالكم أتمَسّك

(**إِلَى قَدْرِهِ**) : القدر بمعنى المقدار ، وقد غُلب استعمـاله في المقدار من الشرف . لهذا قال علي بن أبي طالب كـرم الله وجهـه :
((رحم الله امرأ عرف قدره فلم يتعد طوره)) .
وقال الشاعر :

كان قـدري ما رأيـتُ لديـكمُ   فلقد أضعتُ بحبكم أوقـاتي

(**مِنْ عِظَمِ**) : العظم بمعنى العظمة ، وهي زيادة الرتبة في الوصف الجميل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى أنك أيها المستمع ، إذا عرفتَ بعض ما لهﷺ من المزايا التي يقصر عنها باع البراعة ، ويضيق عن إحصاء بعضها نطاق الأوراق ، ويكل عن حمـل نَـزْرٍ منهـا متـون النيـاق ، فانسب إلى ذاته الشريفة وعنصره اللطيف مـا شـئتَ ومـا اخـترتَ من الشرف البـاذخ ، والمجـد الشـامخ . وانسـب إلى قـدره العـالي ومقداره المتعالي مـا أردتـه وقصـدته مـن المنزلـة العليـة ، والمرتبـة السنية . ولا تقف عند حد وغاية ، ولا تتوقف لـدى منزلـة ونهايـة إلا عند وصفٍ مختصٍ بمَن منه الهداية وإليه النهاية ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذا البيت هو تفصيل لمـا أجمله الناظم في قوله (وَاحْكُـمْ بِمَـا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَـكِمِ) .

ثم قال رحمه الله تعالى :

فَـإِنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ اللهِ لَـيْسَ لَـهُ
حَـدٌّ فَـيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِـقٌ بِفَـمِ



٤٥- فَـإِنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ الله لَـيْسَ لَـهُ
حَـدٌّ فَـيُـعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِـقٌ بِفَـمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّ) : حرف توكيد ونصب ، والفاء تعليلية .

(فَضْلَ) : اسمها ، وهي مضاف .

(رَسُولِ) : مضاف إليه ، وهي مضاف .

(الله) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(لَيْسَ) : فعل ماض ناقص .

(لَـهُ) : جار ومجرور متعلق بخبر (لَيْسَ) مقدم .

(حَدٌّ) بفتح الحاء المهملة : اسمها مؤخر .

والجملة الفعلية خبر (إِنَّ) .

(فَـيُـعْرِبَ) : الفاء سببية ، و(يُعْـرِبَ) : منصـوب بـأَنْ مضـمرة وجوباً بعد فاء السببية لجواب النفي .

(عَنْـهُ) : جار ومجرور متعلق بـ(يُعْرِبَ) .

(نَاطِقٌ) : فاعل (يُعْرِبَ) .

(بِفَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ(نَاطِقٌ) عـلى تقـدير مضـاف ، أي بلسان فم ناطق .

تفسير الكلمات

(فَإِنَّ) : أي لأن .

(فَضْلَ) : بمعنى الزيادة .

وجاء بمعنى الفضيلة التي هي ضد الرذيلة ، وهي عبـارة عن الصفة الجميلة الزائدة على ما يجب من المحامد .

(**رَسُولِ الله**) : أي المبعوث من قِبَـلِ الله ﷻ .

(**لَيْسَ لَـهُ حَدٌّ**) : أي ليس له نهاية ؛ لأنه ﷺ لم يـزل يترقـى في الكمـال كل لحظة .

(**فَـيُعْرِبَ**) : فيُـفْصِحَ ويُـبَـيِّنَ .

(**عَنْـهُ**) : أي عن فضل رسول الله ﷺ .

(**ناطِـقٌ**) : متكلم .

(**بِفَمِ**) : أي بلسان ، وقد عبّر عنه المصنف بالفم لأنه محلـه ، فهـو مجاز مرسل من باب إطلاق اسم المحل على الحالّ فيه .

المعنى الكلي

يـبُـيِّن المصـنف في هـذا البيـت الإذن في نسـبة مـا يشـاء المـادح ويهواه الواصف في ذات سيدنا محمد ﷺ الزاكيـة ، وقـدره العـالي مـن الشرف الباذخ ، والعِظَم الراسخ .

ثم ذكر بأن فضائله ﷺ المتوالية والمتتالية لم تبلـغ في مجـرى الكمـال ومسـلك العـز والجـلال إلى غايـة يقـف عنـدها الواصـف ، ونهايـة يتوقف عليها المادح . فإنه ﷺ مظهـرٌ لكمـال مَـن لا يحـيط بكمـاله حصرٌ ، ولا حدٌّ يحصيه ضبطٌ ولا عدٌّ .

قـال تعـالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

ولمـّا كان قدره ﷺ لا حد له ، لزم مـن ذلـك أن جميـع مـا ظهـر عـلى يديه ﷺ من الآيات لم يكن شيء منها مناسباً لقدره العظـيم ، فقـدره ﷺ أعظم ؛ لهذا قال المصنف :

لَـــوْ نَاسَـــبَتْ قَـــدْرَهُ آياتُـــهُ عِظَمـــاً
أَحْيَـا اسْـمُهُ حِـينَ يُـدْعَى دَارِسَ الـرِّمَمِ



٤٦- لَـوْ نَاسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَمـاً
أَحْيَـا اسْـمُهُ حِـينَ يُـدْعَى دَارِسَ الـرِّمَمِ

الإعراب الموجز

(**لَـوْ**) : حرف شرط لامتناع الثاني لامتناع الأول .

(**نَاسَبَتْ**) : فعل ماض ، وتاؤه للتأنيث .

(**قَدْرَهُ**) : مفعول به مقدم .

(**آيَاتُـهُ**) : فاعل مؤخر .

(**عِظَمـاً**) بكسر العين : تمييز منصوب بالفتحة ، ويجوز نصبه على نزع الخافض .

(**أَحْيَـا**) : فعل ماض ، وهو جواب (لَوْ) .

(**اسْمُهُ**) : فاعل (أَحْيَا) .

(**حِينَ**) : ظرف زمان منصوب بـ (أَحْيَا) .

(**يُدْعَى**) : فعل مضارع مبني لما لم يُسَمَّ فاعله ، ونائب الفاعل مستتر فيه عائد على (اسْمُهُ) .

(**دَارِسَ**) : مفعول (أَحْيَا) ، وهي مضاف .

(**الرِّمَمِ**) بكسر الراء وفتح الميم : مضاف إليه ، والأصل : أحيا اسمُه دارسَ الرمم حين يُدعى به .

تفسير الكلمات

(**لَوْ نَاسَبَتْ**) : لو ماثلت .

(**قَدْرَهُ**) : مبلغه من الرفعة .

(**آيَاتُـهُ**) : أي التي هي أعلام نبوتهﷺ ، وهي جمع آية .

(**عِظَمـاً**) : أي بالقدر والمكانة .

(**أَحْيَا اسْمُهُ**) : أي الشريف .

(**حِينَ يُدْعَى**) : وقت ينادى .

(**دَارِسَ**) : بمعنى مدروس ، وإضافته لما بعده من إضافة الصفة للموصوف ، أي الرمم المدروسة .

(**الرِّمَمِ**) : جمع رِمَّة ، وهي لغة العظام البالية . والمدروسة التي زيد في بلائها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

وإنه لو ناسب شيء من آياته ﷺ قدره : كتسبيح الحصى في كفه ، وانشقاق القمر له ، وتسليم الأحجار والغزالة عليه ، لكان من جملتها أنه إذا دُعِيَ دارسُ الرمم مع ذكر اسمه الشريف ، أحياه الله تعالى بسبب بركة ذكر ذلك الاسم الشريف .

ومعنى البيت كذلك أنه لو كانت علاماته الدالة على رفعتهﷺ مماثلة لعظيم قدره ، كان منها إحياء الموتى إذا دعى اللهَ تعالى أحدٌ باسمهﷺ ، بأن يقال : يا الله ، أسألك بحق محمد أن تحيي هذا الميت ، فيحيى بإذن الله .

ولم يُنقل إلينا بأنَّ شيئاً من ذلك قد وقع ، فلم يكن إذاً إحياء

الموتى بالتوسل باسمه من آياتهﷺ ، فليست آياته مماثلة لقدره في تعداد التعظيم ، بل قدره أكثر من آياته .

وإنما كانت الآيات الظاهرة على يديهﷺ غير مناسبة لقدره الشريف مراعاة لعقولنا ، حيث إنها لو أتت على مناسبة قدره لأعيانا فهم ذلك ؛ لقصور قدرنا وعقولنا عن قدره عليه الصلاة والسلام .

لهذا أشار المصنف بعد ذلك بقوله :

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ
حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ



٤٧ - لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ
حِرْصاً عَلَيْنا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

الإعراب الموجز

(**لَمْ**) : حرف نفي وجزم .

(**يَمْتَحِنَّا**) : فعل وفاعل ومفعول به .

(**بِمَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَمْتَحِنَّا) ، و(مَا) موصول اسمي .

(**تَعْيَا**) : فعل مضارع .

(**العُقُولُ**) : فاعل (تَعْيَا) .

(**بِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَعْيَا) . والجملة صلة (مَا) ، وعائدها الهاء التي جُرّت بالباء .

(**حِرْصاً**) : مفعول لأجله .

(**عَلَيْنا**) : جار ومجرور متعلق بـ (حِرْصاً) .

(**فَلَمْ**) : حرف جزم .

(**نَرْتَبْ**) : مجزوم بـ (لَمْ) .

(**وَلَمْ نَهِمِ**) : الواو حرف عطف ، و(لَمْ) : حرف جزم ، و(نَهِمِ) : مجزوم .

والجملة معطوفة على ما قبلها ، والأصل نرتاب بالألف ونهيم بالياء ، وحذفت الألف والياء لالتقاء الساكنين ، وكُسر حرف الروي للقافية .

تفسير الكلمات

(**لَـمْ يَمْتَحِنَّـا**) : لم يختبرنا في التكليف .

(**بِمَـا تَعْيَـا**) : بمـا تكل وتعجز .

(**العُقُولُ**) : جمع عقل ، وهو قوة يُمَيَّـزُ بها بين المصالح والمفاسد .

(**بِـهِ**) : أي بسببه .

(**حِرْصاً عَلَيْنَـا**) : لأجـل حرصـه عـلى هـدايتنا ، والحـرص عـلى الشيء شدة الرغبة فيه .

(**فَلَمْ نَرْتَبْ**) : لم نشك بمـا يُلقى إلينا .

فالارتياب بمعنـى الشـك ، والشـك هـو تسـاوي طـرفي النفي والإثبات ، فإذا رجح أحد الطـرفين فـالراجح هـو الظن .

(**وَلَمْ نَهِمِ**) : أي لم نتحير لذلك ، حيث الهيمـان هنـا بمعنـى الحـيرة والضلال .

المعنى الكلي

أي لم يختبرناﷺ بشيـء تعجـز عنـه عقولنـا ولا تهتـدي لوجهـه ؛ لشدة رغبتهﷺ في هدايتنا ، بل أتانا بالحقيقة الواضحة ، فلـم نـتردد بها ، ولم نتحيّر فيها . أتانـاﷺ بالحقيقـة السـهلة الغـراء ، والطريقـة القويمة الجلية الشهباء ، فلم يكلفنا بالتكاليف الشاقة كمـا كُلفـت بها الأمم السابقة مـن قبلنـا ؛ حرصـاً عـلى هـدايتنا ، وشـفقة عـلى سلامتنا .

وهذا هو المعنى الظاهر من البيت .

ولا يبعد كذلك أن المصنف قصد من البيت تعليل عدم إحياء اسمه ﷺ العظام الرميمة مع أن سماته إحياء القلوب الميتة .

وتحقيق ذلك أنه لو أحيى اسمه ﷺ الميتة لتاهت العقول فيه ، وتحيّرت الأفهام في معانيه ، وربما أدى ذلك إلى الغلو والوقوع في الضلال كما فعلت النصارى في التغليس بسبب عيسى عليه السلام وأمه .

أي إنما لم يُحيي اسمه ﷺ الموتى ؛ لئلا يمتحنا بما تكل عن دركه عقولنا ، وتعجز عن الاحتياط به أفهامنا ، حتى لا نقع في الشك والريبة ، وحرصاً علينا في سلك طريق الصواب .

وهذا من كرم ربنا سبحانه وتعالى ، ورأفة رسولنا الكريم ﷺ بنا .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

أَعْيَا الـوَرَى فَهْـمُ مَعْنَـاهُ فَلَـيْسَ يُـرَى

فِي القُـرْبِ وَالبُعْـدِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْـفَحِمِ



٤٨- أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُـرَى
فِي القُـرْبِ وَالبُعْـدِ فِيـهِ غَـيْرُ مُـنْفَحِمِ

الإعراب الموجز

(**أَعْيَا**) : فعل ماض .

(**الوَرَى**) : مفعول به .

(**فَهْمُ**) : فاعل (أَعْيَا) ، وهي مضاف .

(**مَعْنَاهُ**) : مضاف إليه .

(**فَلَيْسَ**) : فعل ماض ناقص ، واسمه ضمير الشأن مستتر فيه .

(**يُـرَى**) بضم الياء بالبناء للمفعول : خبر (لَيْسَ) .

(**فِي القُـرْبِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يُـرَى) .

(**وَالبُعْدِ**) : معطوف على (القُرْبِ) متعلق بـ (يُـرَى) .

(**فِيـهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُنْـفَحِمِ) ، وقـد يكـون متعلقـاً بـ (يُـرَى) ، والضمير المتصل راجع لـ (فَهْمُ مَعْنَاهُ) .

(**غَيْرُ**) : نائب فاعل (يُـرَى) .

(**مُنْـفَحِمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**أَعْيَا**) : بمعنى أعجز .

(**الوَرَى**) : الـخَلْـق .

(**فَهْمُ مَعْنَاهُ**) : أي فَهْمُ تفضيل أحواله السنيةﷺ وصفاته العلية .

وهنـا إسـناد الإعيـاء إلى الفهـم مـن المجـاز العقـلي ، أي أعياهم الله تعالى عن إدراكه .

(**فَلَيْسَ يُـرَى**) : أي يُـبْصَر .
(**فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ**) : متعلق بـ (يُـرَى) كمـا ذكرنا .
(**فِيـهِ**) : بمعنى عنه .
(**غَيْــرُ مُـنْفَحِمِ**) : مـأخوذة مـن انفحـم الرجـل إذا سـكت عـن المجادلة ولم يجب .

المعنى الكلي

أي أعجز الخلق معنى النبيﷺ فلم يصل أحد منهم إليه ، ولا يبصره أحد في حالتي القرب والبعد إلا انفحم ، وبالعجز اتّسم .

وهنا المُـتَبَادَرُ أنَّ المراد القرب والبعد بحسب المكان ، أي فليس يرى في المكان القريب والمكان البعيد منهﷺ غيرُ عاجز عن إدراكه.

ويحتمل كذلك أن المراد القرب والبعد بحسب الزمان ، أي فليس يرى في الزمان القريب والبعيد منهﷺ غيرُ عاجز عن إدراكه.

ويحتمل أيضاً أن المراد القرب والبعد في المعنى ، فأهل الحقيقة الناظرون لهﷺ في عالم الشهود تضعف بصائرهم عن إدراكه مع قربهم منه ؛ لقوة إشراقه عليه الصلاة والسلام . وأهل الظاهر الناظرون لهﷺ في عالم الحس لا يدركون إلا شخصاً مُصَـوَّراً ، وجسماً مُـقَدَّراً لبعدهم منهﷺ .

ثم قال المصنف رحمه الله :

كَالشَّــمْسِ تَظْهَــرُ لِلْعَيْنَــيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ
صَــغِيرَةً وَتُـكِــلُّ الطَّــرْفَ مِــنْ أَمَــمِ



٤٩- كَالشَّمْسِ تَظْهَـرُ لِلْعَيْنَـيْنِ مِـنْ بُعُـدٍ
صَــغِيرَةً وَتُـكِــلُّ الطَّــرْفَ مِــنْ أَمَــمِ

الإعراب الموجز

(**كَالشَّمْسِ**) : جار ومجرور في موضع نصب على الحال مـن فاعـل (أَعْيَـا) .

أو نعت لمصدر محذوف ، أي أعيى كإعياء الشمس .

أو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو كالشمس .

(**تَظْهَرُ**) : فعل وفاعل .

(**لِلْعَيْنَـيْنِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَظْهَرُ) .

(**مِنْ بُعُدٍ**) بضم العين : جار ومجرور متعلق بـ (تَظْهَرُ) .

(**صَغِيرَةً**): حال من فاعل (تَظْهَرُ) المستتر فيه العائد لـ (الشَّمْسِ).

(**وَتُـكِلُّ**) بضم التاء وكسر الكاف : فعل مضارع ، وفاعله ضـمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي يعود على (الشَّمْسِ) .

(**الطَّرْفَ**) : مفعول به .

(**مِنْ أَمَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُـكِلُّ) .

تفسير الكلمات

(**كَالشَّمْسِ**) : أي هو كالشمس .

وسُمِّيَت الشمس شمساً لبعدها وسرعتهـا . وكمـا ذكـر علمـاء الهيئة فإن محلها في الفلك الرابع ، وذكروا قديمـاً أن قدرها كالأرض بمـائة وستين مرة .

(**تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ صَغِيرَةً**) : أي فإنها تَبِين من بُعد قدر التُّرْس أو المرآة المدورة ، وإن كانت في نفس الأمر أعظم من الأرض بكثير .

(**وَتُكِلُّ**): بمعنى تتعب وتضعف وتعيى ؛ لقوة شعاعها ونورها .

(**الطَّرْفَ**) : البصر .

(**مِنْ أَمَمِ**) : أي من قرب .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إنهﷺ يشبه الشمس التي تظهر للعين المجردة صغيرة قدر المرآة والترس ، وتُوقف البصر عند رؤيتها من قرب لو فُرض ذلك ؛ لأنها كبيرة جداً ، ولكبرها تكاد تخطف البصر وتعميه ، فلا تُدْرَك لكمالها وإن شوهدت من بُعُد .

وكذلك النبيﷺ لا يُدرك معناه وإن شوهدت صورته عليه الصلاة والسلام .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ



٥٠- وَكَيْـفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَـا حَقِيقَـتَـهُ
قَـــوْمٌ نِيَـــامٌ تَسَـــلَّوْا عَنْـــهُ بِـــالحُلُمِ

الإعراب الموجز

(وَكَيْفَ) : للاستفهام الإنكاري ، وهي متعلقة بـ (يُدْرِكُ) .
(يُدْرِكُ) : فعل مضارع مرفوع .
(فِي الدُّنْيَـا) : جار ومجرور متعلق بـ (يُدْرِكُ) .
(حَقِيقَـتَـهُ) : مفعول (يُدْرِكُ) ، والضمير المضاف إليه لمعناه .
(قَوْمٌ) : فاعل (يُدْرِكُ) .
(نِيَـامٌ) : صفة لـ (قَوْمٌ) .
(تَسَلَّوْا) بفتح التاء والسين واللام المشددة : فعل ماض وفاعل .
(عَنْـهُ) : جار ومجرور متعلق بـ (تَسَلَّوْا) .
(بِالحُلُمِ) بضم الحاء واللام : جار ومجرور متعلق بـ (تَسَلَّوْا) .

تفسير الكلمات

(وَكَيْفَ) : استفهامية إنكارية بمعنى النفي هنا ، أي لا يدرك .
(يُدْرِكُ) : الإدراك هو حصول صورة الشيء في العقل .
(فِي الدُّنْيَا) : التي هي المُـلك ، وهي ضد الآخرة .
(حَقِيقَـتَـهُ) : قدره ومنزلته .
(قَوْمٌ) : المراد بهم جميع الورى .
(نِيَـامٌ) : غافلون عن النظر لحقيقتهﷺ .

وهذا وصف لازم لا مخصص ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا))[1] .

(**تَسَلَّوْا**) : مأخوذ من السلو ، وهو طلب التخلص من أثر وثاق المحبة .

وقد يطلق على تطييب الخاطر والتعويض عما يحب .

(**عَنْهُ**) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(**بِالحُلُمِ**) : أي النوم ، ويُجمع على أحلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن مَن في الدنيا لا يدرك الحقائق كلها ؛ لأن نفس أحوال الدنيا حجاب بينه وبين الآخرة كما يحجب النوم النائم عن إدراك أحوال اليقظة . وكذا أحوال جميع الورى ، لا يشاهدون حال تفضيل سيدنا محمد ﷺ على سائر الخلق معاينة وتفصيلاً كما أدركوه في الخبر جملة إلا يوم القيامة ، حيث يكون ﷺ صاحب المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأَوّلون والآخِرون ، وحيث يؤتى الوسيلة وهي الدرجة التي لا ينالها عبد من عبيد الله سواه ﷺ .

ثم قال :

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ



(١) ذكره عبدالرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير ج٥ ص٥٦ .

٥١- فَمَبْلَـغُ العِلْـمِ فِيـهِ أَنَّـــهُ بَشَــرٌ
وَأَنَّـــهُ خَـــيْرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلِّهِـــمِ

الإعراب الموجز

(فَمَبْلَغُ) : مبتدأ ، وهو مضاف .

(العِلْمِ) : مضاف إليه .

(فِيـهِ) : جار ومجرور متعلق بـ (مَبْلَغُ) .

(أَنَّـهُ) بفتح الهمزة : أنَّ واسمها .

(بَشَرٌ) : خبره .

و(أَنَّ) ومعمولاها في تأويل مصدر المبتدأ .

(وَأَنَّـهُ خَيْـرُ) : جملة معطوفة على خبر المبتدأ .

(خَلْق) : مضاف إليه ، ومضاف أيضاً .

(الله) : مضاف إليه .

(كُلِّهِمِ) : توكيد يفيد الإحاطة والشمول .

تفسير الكلمات

(فَمَبْلَغُ) : أي فمنتهى .

(العِلْم) : المقصود به علم الورى .

(أَنَّـهُ بَشَرٌ) : هو ﷺ بشر ، ولكن الله تبارك وتعالى خصّه بالرسالة إلى خلقه ، وجعل رسالته عامة وشاملة .

(وَأَنَّـهُ خَيْرُ خَلْق الله) : أي خير مخلوقات الله .

(كُلِّهِمِ) : المقصود بهم الإنس والجن والملائكة .

المعنى الكلي

لقد عنى المصنف هنا أن غاية ما يصل إليه علم الخلق فيه ﷺ أنه بشر ، وأنه خير خلق الله تعالى ومخلوقاته أجمعين من إنس ، وجن ، وملائكة ، ... وغيرهم .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِن نُورِهِ بِهِمِ



٥٢- وَكُـلُّ آيٍ أَتَـى الرُّسْـلُ الكِـرَامُ بِهَـا
فَإِنَّمَـــا اتَّصَـــلَتْ مِـــن نُـــورِهِ بِهِـــمِ

الإعراب الموجز

(**وَكُلُّ**) : مبتدأ .

(**آيٍ**) : مضاف إليه .

(**أَتَـى**) : فعل ماض .

(**الرُّسْلُ**) بسكون السين ، ويقال في غير النظم بضمها : فاعل .

(**الكِرَامُ**) : صفة (الرُّسْلُ) .

(**بِـهَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَتَـى) .

(**فَإِنَّمَـا**) : كافة ومكفوفة .

(**اتَّصَلَتْ**): فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على (آيٍ).

(**مِن نُورِهِ**) ، (**بِـهِمِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (اتَّصَلَتْ) .

تفسير الكلمات

(**آيٍ**) : جمع آية ، وهي العلامة .

(**الرُّسْلُ**) : جمع رسول .

(**الكِـرَامُ**) : جمع كريم .

(**بِـهَا**) : راجع لـ (آيٍ) .

(**فَإِنَّمَـا**) : للحصر .

(**اتَّصَلَتْ**) : الاتصال ضد الانقطاع .

(**مِن نُورِهِ بِـهِمِ**) : الباء في (بِـهِمِ) صلة للاتصال .

المعنى الكلي

يعني المصنف هنا أن كل المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام فإنما اتصلت من نوره ﷺ بهم ، فإن نوره عليه الصلاة والسلام كان مخلوقاً قبل خلق آدم ﷺ ، وانتقل إليه ثم إلى الأصلاب ، إلى أن تحمل الأمهات فينتقل إليهن .

ولم يقل : (فإنما هي نوره) ؛ لأنه يوهم أنه وُزِّعَ عليهم وقد لا يبقى له شيء ، فاحترس عنه بقوله : (اتَّصَلَتْ مِن نُورِهِ بِهِمِ) ، حيث (مِنْ) للتبعيض ، وأفادت بأن نوره ﷺ لم يزل قائماً به ، ولم ينتقص منه شيء .

ولا يقال : كيف تكون المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لأممهم من نوره ﷺ مع أنهم متقدمون عليه في الوجود ؛ لأننا نقول أنه ﷺ متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور المحمدي .

ثم قال الناظم :

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ



٥٣- فَإِنَّــهُ شَــمْسُ فَضْــلٍ هُــمْ كَوَاكِبُــهَا
يُظْــهِرْنَ أَنْــوَارَهَا لِلنَّــاسِ فِي الظُّــلَــمِ

الإعراب الموجز

(**فَإِنَّـهُ شَمْسُ**) : إنَّ واسمها وخبرها .
(**فَضْلٍ**) : مضاف إليه .
(**هُمْ كَوَاكِبُـهَـا**) : مبتدأ وخبر ، والضمير المضـاف إليـه عائـد لــ (شَمْسُ) .
(**يُظْهِرْنَ**) بضم الياء وكسر الهاء : فعل مضـارع وفاعـل ، والنـون ضمير (كَوَاكِبُ) .
(**أَنْــوَارَهَا**) : مفعـول (يُظْهِـرْنَ) ، والضـمير المضـاف إليـه لــ (شَمْسُ) .
(**لِلنَّاسِ**) ، (**فِي الظُّـلَمِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (يُظْهِرْنَ) .

تفسير الكلمات

(**فَإِنَّـهُ**) : أي لأنه ﷺ .
(**شَمْسُ فَضْلٍ**) : أي كالشمس في الفضل .
(**هُمْ كَوَاكِبُها**) : عنـى المصـنف بـ (هُـمْ) الرسـل الكـرام ، فقـد شبّهم بالكواكـب التـي تسـتمد نورهـا مـن الشـمس . ووجه التشبيه فيهمـا أن الشـمس جـرم مضـيء بذاتـه ، والكواكب أجرام غـير مضـيئة بـذاتها ، بـل هـي أجسـام صقيلة تقبل الضوء . فإذا كانت الشمس في مكـان معـين

فاض نورها من جوانبها ، فيطلب الصعود حيث النور يطلب مركز العلو دائماً ، فيصادف أجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها ، فتضيء في الظلمات وتظهر أنوار الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء .

فنوره ﷺ بذاته ، ونور سائر الأنبياء ممتد من نوره ﷺ من غير أن ينقص منه شيء .

(**يُظْهِرْنَ أَنْـوَارَهَا**) : أي أنوار الشمس .

(**فِي الظُّـلَمِ**) : أي يظهرون ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلم .

المعنى الكلي

يعني المصنف أنه ﷺ شمس فضل هم عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام كواكبها ، يُظهرون أنوار تلك الشمس للناس في حالة غلبة عمى الجهل وظلمة الكفر .

وإن قيل أنه ﷺ متأخر الوجود عنهم ، ونور كل منهم متقدم عليه ، فكيف تكون أنوارهم من نوره ؟

فنجيب : أن نوره ﷺ متقدم وإن تأخر وجود ذاته .

وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب ، وإنما يظهر أثرها حال غيبتها وهو عند الظلام . فكذلك آياته ﷺ وشريعته لما ظهرت نسخت غيرها من سائر الشرائع ، كما يشير لذلك قوله رحمه الله في بعض النسخ :

حتـى إذا طَلَعَـتْ في الأُفْـــقِ عَـمَّ هُـدا

هــا لِلعالَـــمِينَ وأَحْيَــتْ سائِــرَ الأُمَــمِ

وظاهر هذا البيت الذي أظهرناه هنا أنهﷺ مرسل للأمم السـابقة لكن بواسطة الرسل ، فهم نواب عنهﷺ .

وبهذا قال الشيخ السُّـبكي ومَـن تبعـه آخـذاً مـن قولـه تعـالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وكمـا يعلم من الحكم الشرعي أن الذي عليـه الجمهـور أنـهﷺ مرسل لهذه الأمة دون الأمـم السـابقة ، ولـو أن القـول الأول فيـه وجه حسن .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

أَكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَبِـــيٍّ زَانَـــهُ خُلُـــقٌ

بِالـحُسْـــنِ مُشْـتَمِلٍ بِالبِشْــرِ مُـتَّسِــمِ



٥٤- أَكْــرِمْ بِخَلْــقِ نَبِــيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ
بِالْحُسْــنِ مُشْــتَمِلٍ بِالبِشْــرِ مُتَّسِــمِ

الإعراب الموجز

(**أَكْرِمْ**) بكسر الراء : فعل تعجب لفظه الأمر ومعناه الخبر .
(**بِخَلْق**) بفتح الخاء وسكون اللام : الباء زائدة لا تتعلق بشــيء ، وإنمـا دخلت عليه لتحسين اللفظ ، و(خَلْق) : فاعل .
(**نَبِيٍّ**) : مضاف إليه .
(**زَانَـهُ**) : فعل ماض ومفعول .
(**خُلُـقٌ**) بضمتين : فاعل (زَانَهُ) ، والجملة نعت أول لـ (نَبِيٍّ) .
(**بِالْحُسْنِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُشْتَمِلٍ) .
(**مُشْتَمِلٍ**) : نعت ثان لـ (نَبِيٍّ) .
(**بِالبِشْرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُتَّسِمِ) .
(**مُتَّسِمِ**) بضم الميم : نعت ثالث لـ (نَبِيٍّ) .

تفسير الكلمات

(**أَكْرِمْ**) : صيغة أمر معناه التعجب .
(**بِخَلْق نَبِـيٍّ**) : بصورة نبي .
(**زَانَـهُ خُلُـقٌ**): حسّنه خُلُق بمعنى زاده حسناً ، قال تعـالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] .
(**بِالْحُسْنِ**) : بالبهاء .
(**مُشْتَمِلٍ**) : أي مُرْتَـدٍ ، من الارتداء .

(**بِالبِشْرِ**) : بطلاقة الوجه وبشاشته .
(**مُتَّسِمِ**) : متصف .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :
ما أحسن صورة نبي حسّنه خُلُق متصف بالحُسن ، متصف بالبِشر وطلاقة الوجه !

ثم قال رحمه الله تعالى :
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ



٥٥- كَالزَّهْرِ فِـي تَـرَفٍ وَالبَـدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالبَحْرِ فِــي كَـرَمٍ وَالـدَّهْرِ فِــي هِـمَــمِ

الإعراب الموجز

(كَالزَّهْرِ) بفتح الزين وسكون الهاء: نعت رابع لـ (نَبِيٍّ) في البيت الذي قبله .

(فِي تَـرَفٍ): جار ومجرور متعلق بالكاف لما فيها من معنى التشبيه.

(وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ) ، (وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ) ، (وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ): كلها معطوفات بالجر على ما قبلها .

تفسير الكلمات

(كَالزَّهْرِ) : هو نَوْرُ الشجر .

(فِي تَـرَفٍ) : أي في لطافة ونضارة ونعومة .

(وَالبَدْرِ) : القمر ليلة كماله ، وإنما سُمي بدراً في تلك الليلة لأنه يبدر الشمس في طلوعها .

وشُـرِّف البدر على سائر الكواكب الليلية كما شُرف النبيﷺ على سائر الخلق .

(فِي شَرَفٍ) : في رفعة وعلو منزلة .

(وَالبَحْرِ فِـي كَرَمٍ) : أي في جود .

(وَالدَّهْرِ) : أي الزمان .

(فِي هِـمَمِ) : جمع همة على وزن فِعْلة ، وهي العزم على الشيء والإرادة له .

وإنها في الاصطلاح عبارة عن صفة تبعث صاحبها على طلب معالي الأمور ، وتحجزه عن الميل إلى سِفْسافها ، مع عدم المبالاة في ارتكاب المشاق .

المعنى الكلي

عنى المصنف في هذا البيت أن خُلُقهﷺ الذي هو ذاته الشريفة كالزهر في تنعم ، ونضارة جسم ، وطيب رائحة . وكالبدر في الشرف والرفعة ، وحُسن البهجة . وهذان الوصفان يرجعان إلى الصورة ، والخلق المشتمل على الحسن .

وخلقهﷺ كالبحر في كرم ، وكالدهر في همم .

ولا خفاء في كرم البحر ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل : ١٤] .

فما بالك بكرم من البحر هو نقطة من جودهﷺ ؟

فكرم النبي عليه الصلاة والسلام عرفناه عن طريق الأحاديث الكثيرة ، ومنها حديث أنس بن مالكرضي الله عنه أن أعرابياً سأل النبيﷺ فأمر له بغنم - ذكر كثرتها - ، فأتى الأعرابي قومه وقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء مَن لا يخاف الفقر [1] .

ووجه التشبيه بالدهر أن الحادثات الدقيقة والجلية إنما تقع في الدهر ، فنسبوها إليه. والجاهل يسند الفعل إليه ، والموحد

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

المؤمن يعتقد أن المـؤثر في جميـع الكائنـات هـو الله ﷻ ، فـإذا أسـند الفعل إلى الدهر فيكون هنا على سـبيل المجـاز العقـلي ؛ لأنـه واقـع فيه . وهذا نحو قول القائل : (نهـاره صـائم وليلـه قـائم) ، أسـند الصوم إلى النهار ، والقيام إلى الليل مجازاً لوقوعهمـا فيهمـا .

يروى عن حسان بن ثابت أنه قال في مدح النبي ﷺ :

لــه همــمٌ لا منتهــى لِكِبارِهــا   وهمته الصغرى أجلُّ من الـدهرِ
له راحةٌ لو أنَّ مِعشار عُشــرها   على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البحرِ

وهذا أبلغ في مدحه ﷺ من كلام المصنف .

ثم قال رحمه الله تعالى :

كَأَنَّــــهُ وَهــوَ فَــرْدٌ مِــنْ جَــلاَ لَــتِـــهِ
فِي عَسْــكَرٍ حِــينَ تَلْقَــاهُ وَفــِي حَشَــمِ



٥٦- كَأَنَّـــهُ وَهــوَ فَـرْدٌ مِــنْ جَـلاَ لَتِـهِ
فِي عَسْـــكَرٍ حِـــينَ تَلْقَـــاهُ وَفِي حَشَـــمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّـهُ وَهوَ فَـرْدٌ**) : نعت خامس لـ (نَبِيٍّ) .

و(كَأَنَّ) : للتشبيه ، والضمير هو اسمها ، والجملة حال من المفعول في (تَلْقَاهُ) .

(**مِنَ جَلاَ لَتِـهِ**) : جار ومجرور ، والجملة مفعول من أجله ، فهو تعليل للتشبيه المستفاد من (كَأَنَّ) .

(**فِي عَسْكَرٍ**) : جار ومجرور خبر (كَأَنَّ) .

(**حِينَ**) : منصوب على الظرفية بـ(كَأَنَّ) لما فيه من معنى التشبيه .

(**تَلْقَاهُ**) : فعل وفاعل ومفعول به .

(**وَفِي حَشَمِ**) بفتح الحاء : جار ومجرور معطوف على (فِي عَسْكَرٍ).

وتقدير البيت : كأنه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من أجل جلالته .

تفسير الكلمات

(**وَهوَ فَـرْدٌ**) : أي وهو وحده ﷺ .

(**مِنَ جَلاَ لَتِـهِ**) : من عظمته ومهابته .

(**فِي عَسْكَرٍ**) : في جيش كثير وكبير .

(**حِينَ تَلْقَاهُ**) : حين تراه .

(**وَفِي حَشَمِ**) : الحشم هو الخدم .

وفي هذا البيت من البديع التشطيرُ كما هو مشاهد . والتشطير هو أن يُقْسَم البيت إلى شطرين ، ثم يُصْرَع كل شطر ، ويُخالَف بينهما في قافية التصريع .

المعنى الكلي

إن المصنف بعد أن بيّن جمال صورة النبيﷺ ، شرع في هذا البيت لِيُبَيِّن كمال مهابته ووفور أهبته ، فشبّهه وهو فرد غير محفوف بالأنصار والأعوان ، ولا مُحْدَوْدَق بالفرسان والشجعان ، في حالة كونه قد أحدقت به ليوث المعارك ، واحْتَفَّتْ به أُسُد الوقائع ، مشيراً إلى أنَّ أوصافهﷺ الكمالية ، ونعوته الجلالية في إحداق المهابة في قلوب الخصوم ، والخوف في روح الأعداء ، قائمة مقام عسكر قد ملأ وجه الأرض، كما إذا كانﷺ في عسكر وفي حشم له هيبة ووقار ، فكذلك وهو منفرد .

ويروى أن بعض الصالحين رأى أبا بكر الصديقرضي الله عنه في المنام وهو يزف النبيﷺ بهذا البيت والذي بعده .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الـمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ



٥٧- كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّمَا**) : حرف تشبيه و(مَا) زائدة .

(**اللُّؤْلُؤُ**) : مبتدأ .

(**المَكْنُونُ**) : صفة .

(**فِي صَدَفٍ**) بفتحتين : جار ومجرور متعلق بـ (المَكْنُونُ) .

(**مِنْ مَعْدِنَيْ**) بكسر الدال وفتح النون : خبر المبتدأ .

(**مَنْطِق**) : مضاف إليه .

(**مِنْهُ**) : جار ومجرور نعت (مَنْطِق) .

(**وَمُبْتَسَمِ**) بفتح السين وقال بعضهم بكسرها: معطوف على(مَنْطِق).

تفسير الكلمات

(**اللُّؤْلُؤُ**) : الدر المُسَمّى بالجوهر .

(**المَكْنُونُ**) : المصون .

(**فِي صَدَفٍ**) : أي في غلاف اللؤلؤ ومعدنه .

(**مِنْ مَعْدِنَيْ**) : هما (مَنْطِق مِنْهُ ومُبْتَسَمِ) .

(**مَنْطِق مِنْهُ**) : المنطق هو محل النطق ، وهو راجع لكلامهﷺ .

(**وَمُبْتَسَمِ**) : المبتسم هو محل الابتسام ، وهو راجع لثغره ﷺ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كأن اللؤلؤ الذي كان مصوناً في صدفه يخرج من معدنين من معادنه

ﷺ : أحدهما معدن كلماته ، والثاني معدن ابتسامته .

أما فصاحة لسانه وبلاغته ، فقد كانﷺ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يُجهل . وحسبك قول بعض أصحابه له : ((ما رأينا الذي هو أفصح منك)) [١].

كما كانﷺ جهير الصوت كثيراً .

وإن المصنف هنا عندما شبّهه باللؤلؤ قصد رحمه الله ما في حديث أم معبد رضي الله عنها ، فقد وصفته فقالت : ((رأيتُ رجلاً حلو المنطق فضلاً لا نزراً ولا هذراً، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن))[٢].

وأما تشبيه مبسمه باللؤلؤ ، فمن ذلك قول بعض ناعتيه عليه الصلاة والسلام : ((إذا تكلّم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه)) [٣].

وقال آخر : ((كان إذا ضحك افترّ عن مثل سنا البرق)) ، يعني بذلك بياض ثغره وصفاء لونه ، وهذا كله من صفات اللؤلؤ .

وكان ضحكه ﷺ في غالب أوقاته تبسماً لجلالته ووقاره .

ثم قال صاحب التصنيف :

لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ
طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ



(١) ذكره صاحب البيان والتعريف في بيان سبب الحديث (إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين) ج١ ص٢٦٥ .

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد صحيح عن العرب الأعاربة ، والحاكم في المستدرك ، والحافظ أبو القاسم في الأربعين الطوال .

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل عن الدارمي .

٥٨- لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُـرْبـاً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ
طُـــوبَى لِـمُنْـتَـشِـــقٍ مِنْـــهُ وَمُلْتَـــثِمِ

الإعراب الموجز

(**لاَ**) : نافية مبنية على الفتح .

(**طِيبَ**) بكسر الطاء : اسم (لاَ) مبني على الفتح .

(**يَعْدِلُ**) : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هـو ، والجملة خبر (لاَ) .

(**تُـرْباً**) بضم التاء وسكون الراء : مفعول (يَعْدِلُ) .

(**ضَمَّ**) : فعل وفاعل ، والجملة نعت (تُـرْباً) .

(**أَعْظُمَهُ**) : مفعول به لـ (ضَمَّ) .

(**طُوبَى**) : مبتدأ .

(**لِـمُنْـتَشِق**) بكسر الشين : جار ومجرور خبر (طُوبَى) .

(**مِنْـهُ**): جار ومجرور متعلق بـ (مُنْتَشِق) ، والضمير لـ (تُـرْباً).

(**وَمُلْتَـثِمِ**) : معطوف على (مُنْـتَشِق) .

تفسير الكلمات

(**لاَ طِيبَ**) : أي لا طيب في الوجود .

والطيب اسمٌ لمـا يُـتَطَـيَّبُ به من مسك وغيره .

(**يَعْدِلُ**) : يساوي .

(**تُـرْباً**) : أي التراب .

(**ضَمَّ**) : بمعنى جمع وحوى .

(**أَعْظُمَهُ**) : جمع عظم ، والمراد به هنا جميع بدنه الشريف ﷺ من تسمية الكل باسم الجزء ، حيث الله سبحانه وتعالى حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء .

(**طُوبَى**) : كلمة دعائية .

(**لِـمُنْـتَشِق**) : الانتشاق هو الشم .

(**وَمُلْتَـثِم**) : الالتثام هو التقبيل مع تعفير الوجه ، يقال : لَثَمَ الحجر الأسود أي قبّله .

ومعلوم أن تقبيل قبره ﷺ قال بكراهيته السادة الفقهاء ، إنما هناك مذهب آخر يجيز ذلك ؛ لهذا نرى السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ قد قبّلت تراب قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

ماذا على مَن شَمَّ تربة أحمدٍ ... ألاّ يَشُمَّ مدى الزمان غواليا[1]

صُبَّتْ عليّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّت على الأيام عُدْنَ لياليا

المعنى الكلي

لَـمّا ذكر المصنف بعضاً من أوصاف جسده ﷺ الشريف ، وبدنه اللطيف في حال حياته ، قال رحمه الله تعالى :

إنه لا شيء من أنواع الطيب مهما كان ثميناً يعادل طيب تربته الشريفة ، ويماثل ريح حضرته المنيفة . فطوبى لمن استمسك في استنشاق طيب هذه التربة التي قد جمعت بحر الجود ، ومصدر الكرم والوفاء ، ومنبع الشجاعة والأخلاق ، وذلك إن استمسك

---

(١) الغالية طيب معروف .

بعروة دينه الوثقى ، وتشبث بأذيال مِلَّتِه المثلى ﷺ .

ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرى مِن طيبه ﷺ الذي هو أعلى أنواع الطيب .

قال أنس رضي الله عنه : « ما شممتُ عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ »[1] .

ولا يُدْرِك ذلك إلا مَن كُشِفَ له الغطاء من الأولياء ؛ لأن أحوال القبر من الأمور التي لا يدركها إلا أهل المعرفة .

ونقول هذا لنرد به على ما يقال : لو كان التراب المذكور من الطيب لزم أن يُدْرِك طيبه كل أحد كالمسك فإنه يدرك طيبه كل إنسان ، على أنه لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراك كل أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع ، والقاعدة تقول : (عدم الإدراك لا يدل على انتفاء الـمُدْرَك) .

ألا يرى القارئ الكريم أن المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أنها قائمة به ، علماً بأن النبي ﷺ قال : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار »[2] .

ولا يشك أحد من المسلمين بأن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة ، وهو القائل ﷺ : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »[3] .

---

(١) رواه مسلم ، وأحمد ، وابن حبان .

(٢) رواه الترمذي والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد ، ورواه الطبراني أيضاً عن أبي هريرة ، وكلاهما مرفوعاً بسند ضعيف .

(٣) رواه الشيخان البخاري ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والطبراني ، والديلمي ، والبزار ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى . وقد جاء في بعض الروايات بيتي بدل قبري .

وكل من القبر والمنبر داخل في حكم ما بينهما ، أمّا القبر فللخبر العام الذي ذُكر ، وأما المنبر لقولهﷺ في آخر الحديث السابق : ((ومنبري على حوضي)) .

وإذا تقرّر كون هذا المكان من الجنة ، لم يبق عند العاقل المسلم المؤمن امْتِراء في أنَّ لا طيب يعدله ، فافهم وسلِّم تسلم .

ثم قال المصنف :

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ
يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ



٥٩- أَبَــانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُــرِهِ
يَــا طِيــبَ مُبْتَــدَإٍ مِنْــهُ وَمُـخْـتَـتَـــمِ

الإعراب الموجز

(**أَبَــانَ مَوْلِدُهُ**) : فعل وفاعل .

(**عَنْ طِيبِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَبَــانَ) .

(**عُنْصُرِهِ**) بضم العين والصاد : مضاف إليه .

(**يَا**) : حرف نداء ، والمنادى محذوف هنا .

(**طِيبَ**) بكسر الطاء : مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : يا عقـلاء انظروا طيب ...

(**مُبْتَـدَإٍ**) - وفي بعض النسخ (مُفْتَـتَح) - : مضاف إليه .

(**مِنْـهُ**) : جار ومجرور نعت (مُبْـتَدَإٍ) .

(**وَمُـخْتَـتَمِ**): معطوف على (مُبْتَدَإٍ)، ونعته محذوف وتقديره منه.

تفسير الكلمات

(**أَبَــانَ**) : أظهر .

(**مَوْلِدُهُ**) : أي آيات زمان ولادته .

(**عَنْ طِيبِ**) : الطيب هو الخلوص عمـا لا ينبغي في النسب .

(**عُنْصُرِهِ**) : وهو أصله ، أي آباؤه الذين تناسل منهم .

(**يَا طِيبَ**) : المراد بـه هنـا التعجـب ، حيـث لا ينـادى حقيقـة إلا للعاقل أو الذي نُــزِّل منزلتـه ، والعـرب إذا اسـتعظمت شيئاً نادتـه على سبيل التعجب .

(**مُبْـتَدَأٍ مِنْـهُ**) : الضمير عائد للنبيﷺ وإلى عنصره .
(**وَمُـخْتَـتَمِ**) : أي منه عليه الصلاة والسلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :
إن ما ظهر في زمن ولادتهﷺ ومكانها من الأمور الخارقة للعادة من علامات النبوة ومعجزات الرسالة ، أظهر وكشف عن طيب ذلك العنصر النبوي الشريف ، وخلوص آبائهﷺ عما لا ينبغي من النسب .

كما دلت تلك الآيات الواضحات على أنهﷺ قد تعلق ذلك العنصر الشريف والجسد المنيف من الكمالات النفسانية والسعادات الأزلية ما هو عجيب أن يتعجب العقلاء من كيفيته ، ويتفكر الأذكياء من كميته ، حتى يعلموا أنه سيكون من هذا المولود من الشأن ، والحالات ، والفضائل ، والكمالات ما لا يحصى .

وحاصل الكلام ما قاله العلامة العدوي أنهﷺ قد شهدت فاتحته بخاتمته ، لهذا فقد قال الشاعر :

إنَّ الهلال إذا رأيتَ نُمُوَّه   أيقنتَ أنْ سيصير بدراً كاملاً

ومن آيات مولدهﷺ ما نقل عن أمه أنها قالت : « لقد أخذني الطلق وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه يوم الإثنين ، فسمعتُ وَجْبَة [1] هالتني ، ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح

---

(١) بمعنى سقطة .

فؤادي ، فذهب رعبي وكل وجع أجده ، وكنت عطشة فإذا بشربة بيضاء فشربتها ، فأصابني نور عال ... » إلى آخر الحديث [1] .

ثم قال الناظم :

يَــوْمٌ تَفَــرَّسَ فِيــهِ الفُــرْسُ أَنَّهُــمُ
قَــدْ أُنْــذِرُوا بِحُلُــولِ البُــؤْسِ وَالنِّــقَمِ



(١) الحديث طويل قد ذكره الإمام القسطلاني بطوله .

٦٠- يَــوْمٌ تَفَــرَّسَ فِيــهِ الفُــرْسُ أَنَّهُــمُ
قَــدْ أُنْــذِرُوا بِحُلُــولِ البُــؤْسِ وَالنِّــقَمِ

الإعراب الموجز

(**يَوْمٌ**) : خبر مبتدأ محذوف تقديره : يوم ولادته ﷺ يومٌ تفرّس .
(**تَفَـرَّسَ**) بفتح التاء والفاء والراء المشددة : فعل ماض .
(**فِيـهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَفَـرَّسَ) .
(**الفُرْسُ**) بضم الفاء وسكون الراء : فاعل (تَفَـرَّسَ) .
والجملة صفة (يَوْمٌ) .
(**أَنَّـهُمُ**) بفتح الهمزة : أنَّ واسمها .
(**قَدْ**) : حرف تحقيق .
(**أُنْذِرُوا**) بضم الهمزة وكسر الذال : فعل ماض ، والواو نائب الفاعل ، والجملة خبر (أَنَّ) .
و(أَنَّ) ومعمولاها في تأويل مصدر منصوب على المفعول في (تَفَـرَّسَ) .
(**بِحُلُولِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أُنْذِرُوا) .
(**البُؤْسِ**) بضم الباء وسكون الواو : مضاف إليه .
(**وَالنِّـقَمِ**) بكسر النون وفتح القاف : معطوف على (البُؤْسِ) .

تفسير الكلمات

(**يَوْمٌ**) : أي يومَ ولادته ﷺ يومٌ ، والمراد باليوم : الوقت ليلاً أو نهاراً ، قصيراً أو طويلاً .

أي زمـان الـولادة فقـط ، وإن كـان محـتملاً فيمـا تقـدم للحدث ، وللزمان ، وللمكان .

(**تَفَـرَّسَ**) : تَفَطَّنَ . والتفرس معرفة الشيء بالفِراسة بكسر الفـاء ، وهي شدة قوةٍ تُدرك بها الأمور الخفية بالقرائن .

ومنه قولهﷺ : ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[1].

(**فِيـهِ**) : بمعنى منه .

(**الفُرْسُ**) : هم أهل مملكة فارس ، وكـانوا مجوسـاً يعبـدون النـار بعد أن رُفع كتابهم حين بـدّلوه وغـيّروه . وسُـمّوا بـذلك لأنهم كانوا لأبيهم بضعة عشرـ رجـلاً كـل مـنهم فـارس وشجاع ، فسُمّوا الفرس .

(**أَنَّـــهُمُ قَـدْ أُنْـذِرُوا**) : أي أُعلمـوا ، والإنـذار هـو التحـذير مـن وقوع البلاء .

(**بِحُلُولِ**) : بنزول .

(**البُؤْسِ**) : هو الشدة المؤثرة في القلب ، والهم والحزن .

(**وَالنِّقَمِ**) : جمع نقمة ، وهي ضد النعمة .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا :

لقد ظهر للفرس في زمان ولادتهﷺ من الأَمارات التي أخبرهم بهـا علمـاؤهم قبل ذلك وكأنهم في ظهور أمر رسول اللهﷺ أنـه كـائن .

---

(١) رواه الترمذي ، وابن جرير ، والطبراني بإسناد حسن .

وأن ما أنذرهم به كهانهم من خراب مملكتهم ، وتشتت أمرهم ، وتفريق قبائلهم على يد صاحب هذا المولد ﷺ ، وأيدي أصحابه القائمين بشريعته هو حالٌّ بهم وواقع لا محالة .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ



٦١- وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْـرَى وَهـوَ مُنْصَـدِعٌ
كَشَـمْلِ أَصْـحَابِ كِسْــرَى غَـيْرَ مُلْتَـئِمِ

الإعراب الموجز

(**وَبَاتَ**) : فعل ماض تام .

(**إِيوَانُ**) بكسر الهمزة : فاعل (بَاتَ) .

(**كِسْرَى**) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين : مضاف إليه .

(**وَهوَ مُنْصَدِعٌ**) : مبتدأ وخبر في موضع الحال من (إِيوَانُ) .

(**كَشَمْلِ**) بفتح الشين : جار ومجرور في موضع نصب على النعتية لمصدر محذوف ، والتقدير : انصداعاً مثل انصداع شملِ ، وهي مضاف .

(**أَصْحَابِ**) : مضاف إليه ، ومضاف أيضاً .

(**كِسْرَى**) : مضاف إليه ، ونقل هنا من الإضمار إلى الإظهار لبيان إهانة الاسم .

(**غَيْـرَ**) : منصوب على الحال من (كَشَمْلِ) .

(**مُلْتَـئِمِ**) بضم الميم وفتح التاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَبَاتَ**) : بمعنى أمسى .

(**إِيوَانُ**) : كديوان ، وهو بناء يُبنى طولاً غير مسدود الوجه ، يُعِـدُّه الملك لجلوسه فيه لتدبير أمور مملكته .

وقد كان سمك ذلك الإيـوان مائـة ذراع في مثلهـا ، وقـد

مكث في بنائه نيفاً وعشرين سنة ، وكان يظن أنـه لا يُهـدم أبداً إلا عند نفخة الصعق . علمـاً بأن هـارون الرشـيد في خلافته أراد هدمه لَـمّـا بلغه أنَّ تحته مالاً عظيمـاً ، فعجز عنه وأبقاه على حاله . هذا ما قاله الشيخ الباجوري .

(**كِسْرَى**) : هو لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد بـه هنـا أنوشروان بن قباد بن فيروز .

(**مُنْصَدِعٌ**) : منشق .

(**كَشَمْلِ**) : الشمل من أسمـاء الأضـداد يطلـق عـلى الاجتمـاع والافتراق ، يقال: جمع الله شملك ، أي ضمه عن التفرق.

(**غَيْرَ مُلْتَـئِمِ**) : غير مجتمع .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله :

إن من العلامات التي ظهرت في زمـان ولادتـهﷺ دلـت عـلى علـو نائرة نور الحق ، وانطفاء نار الباطـل ، وارتفـاع شـأن أهـل العـدل والإحسان ، واضمحلال أمر أهل الكفر والعصيان .

ومن هذه العلامات انصداع شرفات إيـوان كسـرى . فإنـه قـد روت الثقات من الرواة أن إيوان كسرى سقطت منه أربـع عشـرة شرفة في ليلـة ولادتـه ﷺ مـن غـير سَـبْق أمـارة تـدل عـلى التهيـؤ للانهدام ، وتَـقَدُّم علامة يُتوقع منها وقوع ذلك الانفصام .

فوقوع ذلك الأمر مـع إحكـام البنـاء ورضّ تلـك الأركـان قـد أوقع في قلوب الفرس الهول والأحزان ، وألقى في روعهم البـؤس

والخذلان ، علماً منهم بأن هذا الحدث أمر عظيم الشأن دلّ على انتهاء ملكهم .

وبتعبير آخر عنى المصنف أن يوم ولادتهﷺ يومٌ ظهر فيه للفرس أنهم أنذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم ، حيث قارِنه ما ذكره المصنف من الإرهاصات المؤسسة لنبوتهﷺ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَالنَّـارُ خَامِـدَةُ الأَنْفَـاسِ مِـنْ أَسَـفٍ
عَلَيْـهِ وَالنَّهْـرُ سَـاهِي العَـيْنِ مِـنْ سَـدَمِ



٦٢- وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

الإعراب الموجز

(**وَالنَّارُ خَامِدَةُ**) : مبتدأ وخبر .
(**الأَنْفَاسِ**) : مضاف إليه .
(**مِنْ أَسَفٍ**) بفتح الهمزة والسين جار ومجرور متعلق بـ (خَامِدَةُ) على أنه علة له .
(**عَلَيْهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَسَفٍ) ، والضمير للإيوان أو الكفر الدال عليه المقام .
(**وَالنَّهْرُ**) بفتح النون وسكون الهاء : مبتدأ .
(**سَاهِي**) : مضاف .
(**العَيْنِ**) : مضاف إليه .
(**مِنْ سَدَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (سَاهِي) على أنه علة له .

تفسير الكلمات

(**وَالنَّارُ**) : أي نار الفرس التي كانوا يعبدونها من دون الله . وكان لها خدمة يوقدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام - وفي رواية بألفي عام - .
(**خَامِدَةُ**) : منطفئة اللهب مع بقاء الجمر .
(**الأَنْفَاسِ**) : جمع نَفَس بتحريك الفاء ، وهو خروج هواء ودخول آخر لترويح القلب وإخراج ما احترق من الداخل لحرارته .

وقد جرت عادة الله تبارك وتعالى باستيفاء حياة الحيوان بدخول هذا النَّفَس وخروجه .

(**مِنْ أَسَفٍ**) : أي من أجل أسف ، والأسف شدة الحزن ، والتنوين فيه للتفخيم .

(**وَالنَّهْرُ**) : المقصود به نهر الفرات الذي كان به قُوامُهم ، وكان قد ضلّ الطريق ووقع في سماوة ، وهي بادية بين دمشق والعراق .

(**سَاهِي العَيْنِ**) : ساكن عن الجريان .

(**مِنْ سَدَمِ**) : أي من ندم وحزن .

وفي البيت استعارتان :

أولاً : شبّه المصنف النار بحيوان ، وذكر المشبَّه مع شيء من لوازم المشبَّه به وهي الأنفاس .

ثانياً : شبّه النهر بما شبه به النار ، وذكر ما هو من لوازم المشبّه به أي العين .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن نار مجوس الفرس وماء نهرهم قد لحقهما من الحيرة والدهشة والاضطراب ما يلحق ذوي العقول عند الإحساس بحلول الحوادث ، ونزول الكوارث .

فالنار قد خمد لهبها وسكن زفيرها من شدة ما لحقها من الأسف على زوال مُلك واقديها ، وحلول النقمة على مُسَعِّريها .

وماء الفرات قد ضلّ السبيل ولا يهتدي إلى مجراه ، ولا يفقه كيف مسراه ، علماً منه بما سيكون مما هو جدير بما تجري عليه دموع العين ، وتسيل مكان الماء الدماء عن الجفون .

ثم قال المصنف :

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِينَ ظَمِي



٦٣- وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْـرَتُــهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَـــا بِـــالغَيْظِ حِـــينَ ظَمِـــي

الإعراب الموجز

(**وَسَاءَ**) : فعل ماض .
(**سَاوَةَ**) بفتح الواو: مفعول به على حذف مضاف ، أي أهل ساوة.
(**أَنْ**) بفتح الهمزة وسكون النون : موصول حرفي مؤول مع صـلته لمصدر مرفوع على الفاعلية بـ (سَاءَ) .
(**غَاضَتْ**) بالغين والضاد المعجمتين : فعل ماض وتاؤه للتأنيث .
(**بُحَيْـرَتُـهَا**) بضم الباء وفتح الحـاء : فاعـل (غَاضَـتْ) ، والهـاء ضمير يعود لـ (سَاوَةَ) .
(**وَرُدَّ**) بضم الراء المهملة : فعل ماض مبني لِمـا لم يُسَمَّ فاعله .
(**وَارِدُهَا**) : نائب فاعل .
(**بِالغَيْظِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (رُدَّ) .
(**حِينَ**) : ظرف زمان منصوب بـ (رُدَّ) .
(**ظَمِي**) بفتح الظاء وكسر الميم وسكون الياء التي أُبدلت من الهمزة : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى (وَارِدُهَا) .

تفسير الكلمات

(**وَسَاءَ سَاوَةَ**) : بمعنى وأحزن أهل المدينة المـدعوة سـاوة ، وهـي بلد تقع بين همدان والري .
(**أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُها**): أي نقصت وجفت بحيث لم يبق فيهـا شيء ، حتى أن لهب النار نبع من قعرها كأنمـا طُبخت أرضها .

وكان طول هذه البركة ستة أميال وعرضها كذلك ، تسير فيها السفن في البلاد التي على ساحلها .

وقال البكري: كان طولها عشر أميال وعرضها ستة أميال.

(**وَرُدَّ وَارِدُهَا**) : كذا أحزنها أيضاً أن رجع واردها الذي يأتي إليها يستسقي من مائها .

(**بِالغَيْظِ**) : أي من الغيظ المصاحب للغضب .

(**حِينَ ظَمِي**) : حين عطش .

المعنى الكلي

يقول المصنف أن أهل بحيرة ساوة قد سيئت أحوالهم ، وانقطعت حبالهم ، إذ غاض ماء بحيرتهم التي كانوا يعيشون عليها .

فقد روي أنه كان لأهل ساوة بطيحة متسعة تتلاطم أمواجها تلاطم أمواج البحر الزاخر ، حيث التقت بها أنواع من الأنهار ، واحتفّت بها أجناس من الأشجار ، وأحاط بها من جميع جوانبها بِيَع وكنائس كانت معابد ومجامع لأهل البغي والعناد .

فلما منّ الله تبارك وتعالى على أهل الرشاد من العباد بميلاد سيد الكائنات سيدنا محمدﷺ ، غاضت تلك البحيرة ، وبادت تلك البلاد ، ويبست تلك الأشجار . وذلك بما كسبت أيديهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد .

ثم قال المصنف :

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالماءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْناً وَبِالماءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ



٦٤- كَـأَنَّ بِالنَّـارِ مَـا بِالمـاءِ مِـنْ بَلَـلٍ
حُزْنـاً وَبِالمـاءِ مَـا بِالنَّـارِ مِـنْ ضَرَمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّ**) : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .
(**بِالنَّارِ**) : جار ومجرور متعلق بخبر (كَأَنَّ) المقدم .
(**مَا**) : اسم موصول ، وهو اسم (كَأَنَّ) مؤخر .
(**بِالمَاءِ**) : جار ومجرور صلة (مَا) متعلق بفعل محذوف .
(**مِنْ بَلَلٍ**) بفتحتين : جار ومجرور بيان لـ (مَا) الموصولة متعلق بحال محذوفة من عائد الصلة .
(**حُزْناً**) بسكون الزاي : مفعول لأجله .
(**وَبِالمَاءِ**) : خبر (كَأَنَّ) المحذوفة ، مدلول عليها بـ (كَأَنَّ) المذكورة قبل .
(**مَا**) : اسمها .
(**بِالنَّارِ**) : جار ومجرور صلتها .
والألف واللام في (النَّارِ) و(المَاءِ) للعهد الذكري ، أي النار المعبودة وماء البحيرة .
(**مِنْ ضَرَمٍ**) : جار ومجرور بيان لـ (مَا) الموصولة الثانية ، والمفعول لأجله محذوف لدلالة ما قبله عليه .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّ**) : من أدوات التشبيه .
(**بِالنَّارِ**) : أي نار فارس .

(**بِالمَـاءِ**) : أي ماء بحيرة ساوة .

(**مِنْ بَلَلٍ**) : من نداوة .

(**حُزْناً**) : أي للحزن ، وهو ضد السرور .

(**وَبِالمَـاءِ**) : أي كأن بالماء المتقدم ذكره .

(**مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ**) : لحزنه ، والضرم هو الالتهاب .

المعنى الكلي

لقد عنى المصنف هنا أن الذي حدث في بحيرة ساوة وفي نار فارس ليس بأمر عادي ، إنمـا كان هو من علامة مولدهﷺ ؛ لهذا قال :

كأن الذي بالماء من برودة ومن بلل حاصل في نـار فـارس عنـد الولادة ؛ لأنها قد ذهب طبعها وانتقل إليها طبع الماء . وكأن الـذي بالنار من الحرارة قد انتقل وحصل في الماء وصار لـه ، حتـى ذهـب طبعه من البرودة والإرواء والجريان ، وانتقل إلى طبـع النـار حتـى ذهب وجف واحترق .

ولا تسـتغرب أيهـا القـارئ الكـريم فإنـه قـد كثـر مثـل هـذا الاستعمـال في لغة العرب ، حتى إنهم ليقولون : احـترق النيـل أي ماء النيل وانتقص على خلاف العادة .

ثم قال الناظم رحمه الله :

وَالجِـــنُّ تَـهْتِـــفُ وَالأَنْـــوَارُ سَـــاطِعَةٌ

وَالـــحَقُّ يَظْهَـرُ مِـن مَعْنـىً وَمِـنْ كَلِـمِ



٦٥- وَالجِـنُّ تَـهْتِــفُ وَالأَنْـوَارُ سَـاطِعَةٌ
وَالحَــقُّ يَظْهَــرُ مِــن مَعْنــىً وَمِــنْ كَلِــمِ

الإعراب الموجز

(**وَالجِنُّ تَـهْتِفُ**) : مبتدأ أول وخبره .

(**وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ**) : مبتدأ ثان وخبره .

(**وَالحَقُّ يَظْهَرُ**) : مبتدأ ثالث وخبره .

(**مِنْ مَعْنىً**) ، (**وَمِنْ كَلِمِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (**يَظْهَرُ**) .

تفسير الكلمات

(**وَالجِنُّ**) : هم أولاد إبليس كما أن البشر أولاد آدم .

وقيل : إن الجن أولاد الجان ، فإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن . والقول الأول أرجح وأقوى .

(**تَـهْتِفُ**) : أي تصوت في تلك الليلة على الجبال وفي بطون الأودية ، وترفع أصواتها بالإعلان بما أظلّ الناس من نبوته ﷺ .

(**وَالأَنْوَارُ**) : جمع نور ، وهي نقيض الظلمة .

والمقصود منها هنا الأنوار التي خرجت معه ﷺ عند ولادته.

(**سَاطِعَةٌ**) : بمعنى مرتفعة .

(**وَالحَقُّ**) : أي صدق النبوة .

(**يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً**) : أي ينكشف كالأنوار .

(**وَمِنْ كَلِمِ**) : كهتف الجن .

ولا يخفى ما في العبارة من لف ونشر مشوش .

المعنى الكلي

والمعنى هنا أن من علامات استعلاء دائرة نوره ﷺ القويم ، وأمارات استيلاء دائرة طريقه المستقيم ، وتباشير علو شأن هذا النبي الكريم الذي أُرسل رحمة للعالمين ، ومن مبشرات الرؤوف الرحيم : ارتفاع أصوات الجن في كل مكان في الإنباء عن ظهور صاحب النبوة سيدنا محمد ﷺ ، وارتفاع بنيان الإيمان ، وانخفاض ما ارتفع من الشرك والطغيان ، وسطوع أنوار الملة الغراء ، وطلوع كوكب السنة الشهباء ، وظهور بدر الحق المبين من مطالع سور الكلم ، ومكامن أسرار معاني أمور الدين .

حيث كانت الأنوار عند ولادته ﷺ ساطعة لما جاء في الحديث عن أمه ﷺ أنها قالت : ((لما ولدته خرج مني نور أضاء له قصور الشام . فولدته نظيفاً ، ولدته كما يولد السخل ما به قذر ، ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرض بيده))(١) .

وإلى ذلك يشير عمه العباس بقوله :

وأنتَ لَـمـّا وُلِدْتَ أشرقتِ الأر ... ضُ وضاءتْ بنوركَ الآفاقُ
فنحن في ذلك الضياءِ وفي النو ... رِ وسُبْلِ الرشاد نخترقُ

وبتعبير آخر يقول المصنف :

كان في مولده ﷺ أمور تخالف العادة ، منها : صياح الجن مما حصل لهم من الخوف والرعب ، وكانوا يتكلمون مع أوليائهم فيما داهمهم من ذلك مع ظهور أنواره ﷺ يوم مولده الشريف في الآفاق .

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته .

ثم قدّر المصنف أن شخصاً يسأله : إذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم ، فما بال الكفار جحدوا نبوته ﷺ ؟

فأجابه قائلاً :

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلاَنُ البَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ



٦٦- عَمُـوا وَصَـمُّوا فَـإِعْلاَنُ البَشَائِـرِ لَمْ
تُسْــــمَعْ وَبَارِقَـــةُ الإِنْــذَارِ لَمْ تُشَـــمِ

الإعراب الموجز

(**عَمُوا**) بفتح العين : فعل ماض وفاعل، والضمير يعود للفرس .

(**وَصَمُّوا**) بفتح الصاد : فعل ماض وفاعل ، والجملة معطوفة على ما قبلها .

(**فَإِعْلاَنُ**) بكسر الهمزة : مبتدأ .

(**البَشَائِـرِ**) : مضاف إليه .

(**لَـمْ تُسْمَعْ**) بالبناء للمفعول : جازم ومجزوم ، واكتسب التأنيث من المضاف إليه . والجملة خبر المبتدأ .

(**وَبَارِقَـةُ**) : مبتدأ .

(**الإِنْذَارِ**) بكسر الهمزة : مضاف إليه .

(**لَـمْ تُشَمِ**) بضم التاء : جازم ومجزوم ، والجملة خبر المبتدأ .

تفسير الكلمات

(**عَمُوا**) : العمى ذهاب البصر، وقيل : عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً .

(**وَصَمُّوا**): الصمم ذهاب القوة السمعية عما من شأنه أن يكون سميعاً .

(**فَإِعْلاَنُ**) : الإعلان هو الإظهار .

(**البَشَائِـرِ**) : جمع بشارة ، وهي الإخبار بوقوع أمر سار .

(**لَـمْ تُسْمَعْ**) : لم تُسمع سمـاع قبول .
(**وَبَارِقَـةُ**) : ولامعة ، مأخوذة من بَـرِقَ إذا لـمع .
(**الإِنْـذَارِ**) : أي بهﷺ .
(**لَـمْ تُـشَمِ**) : لم تُـنْظَر .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنـا أن أهـل فـارس عمـوا فلـم يبصـروا بارقـة الإنذار ، وصـموا فلـم يسـمعوا إعـلان البشـائر مـن بعـد إخبـار الكهان لهم بأن دينهم المائل عن الحق لا يدوم .

فإن بعضاً ممن بُشر بقدوم النبيﷺ الذي أرسـل رحمـة للعـالمين ، وشاهداً لعلامة الدلالة على ظهور الحق المبين ، لم تطرق صِمـاخَيْه طارقة النبأ العظيم ، ولم يشم نـاظراه بارقـة ذلـك النـور المتـألق في ظلمة الليل البهيم . وما ذلك إلا لأنهم لهم أعين لا يبصـرون بهـا ، وآذان لا يسمعون بها . فإنهم كالأنعـام ، وإنهـا لا تعمـى الأبصـار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ثم قال رحمه الله تعالى :

مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَخْـبَرَ الأَقْـوَامَ كَاهِنُـهُمْ
بِـأَنَّ دِينَـهُمُ الْمُعْـوَجَّ لَمْ يَقُـمِ



٦٧- مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

الإعراب الموجز

(**مِنْ بَعْدِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (صَمُّوا) في البيت السابق ، وهو مطلوب أيضاً لـ (عَمُوا) من جهة المعنى على سبيل التنازع .

(**مَا**) : موصول حرفي يُسْبَكُ مع صلته بمصدر مجرور بإضافة (بَعْدِ) إليه .

(**أَخْبَرَ**) : فعل ماض .

(**الأَقْوَامَ**) : مفعول به مقدم .

(**كَاهِنُهُمْ**) : فاعل مؤخر .

(**بِأَنَّ**) بفتح الهمزة : متعلق بـ (أَخْبَرَ) .

(**دِينَهُمُ**) : اسم (أَنَّ) .

(**الْمُعْوَجَّ**) بضم الميم وسكون العين : نعت (دِينَهُمُ) .

(**لَمْ يَقُمِ**) بفتح الياء وضم القاف : جازم ومجزوم ، والجملة خبر (أَنَّ) .

تفسير الكلمات

(**مِنْ بَعْدِ**) : أي وكان عماهم عما شاهدوا من الآيات ، وصممهم عما سمعوا منها من بعد ...

(**مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ**) : جمع قوم ، والمراد أي مِن بعد ما علم العُمْي الصُّم حقيقة الحال من كهانهم .

(**كَاهِنُـهُمْ**) : الكاهن هو الذي كانوا يصـدقونه ويتبعونـه . وجمـع الكاهن كهان ، وهم علمــاؤهم الـذين كـانوا يخـبرونهم بالغيب حسبمـا يخبرهم بذلك أصحابهم من الجن الـذين كـانوا يسـترقون السـمع ، لكـنهم يزيـدون عـلى الكلمـة الصادقة مائة كذبة .

(**بِأَنَّ دِينَـهُمُ الْمُعْوَجَّ**) : أي بأن عقائدهم المائلة عن الحق .

(**لَـمْ يَـقُمِ**) : لم يدم ، مأخوذ من قام الأمر إذا دام .

المعنى الكلي

عنى المصنف في هذا البيت أن القـوم الـذين طُبِـعَ عـلى قلـوبهم وخُتِمَ على سمعهم وأبصارهم ، لم ينفع فيهم ما ظهـر مـن الآيـات البينات ، ولم ينتفعوا بمـا سطع من الأنـوار والحجـج القاطعـات ، ولم يصـغوا إلى مـا قـرع سـمعهم مـن الزواجـر والمـواعظ ، مـع أن شياطينهم الملعونين وكهنتهم الضالين قد أنبؤوهم بأن طـريقتهم التـي أصـبحت عوجـاء بسـبب تبـديلهم وتغيـيرهم أخـذت في الاضمحلال والذهاب ، وأن صاحب الشـريعة الشـهباء والسـنة الغراء قد سطعت أنوار تباشير طلائـع دولتـه ، وطلعـت كواكـب السعد من سمـاء ملته .

ثم قال رحمه الله :

وَبَعْـدَ مَـا عَـايَنُوا فِي الأُفْـقِ مِـنْ شُـهُبٍ
مُنْــقَضَّةٍ وَفْـقَ مَـا فِي الأَرْضِ مِـنْ صَـنَمِ



٦٨- وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْـقِ مِنْ شُـهُبٍ
مُنْـقَضَّةٍ وَفْـقَ مَـا فِي الأَرْضِ مِـنْ صَـنَمِ

الإعراب الموجز

(**وَبَعْدَ**) : يجوز فيه النصب بالعطف على محل (مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَخْـبَرَ الأَقْوَامَ) في البيت السابق ، ويجوز فيه الجر بالعطف على لفظه ، والرواية وردت بالنصب دون الجر .

(**مَا**) : موصولة بمعنى الذي .

(**عَايَـنُوا**) : صلتها ، وعائدها محذوف والتقدير عاينوه .

(**فِي الأُفْـقِ**) بضم الهمزة وسكون الفاء : جار ومجرور متعلق بـ (عَايَنُوا) .

(**مِنْ شُهُبٍ**) بضم الشين والهاء : جار ومجرور بيان لـ (مَا) .

(**مُنْقَضَّةٍ**) بضم الميم وسكون النون وتشديد الضاد: نعت (شُهُبٍ).

(**وَفْقَ**) بفتح الواو وسكون الفاء : منصوب بنزع الخافض ، أي على وفق .

(**مَا**) : موصول اسمي .

(**فِي الأَرْضِ**) : جار ومجرور صلتها .

(**مِنْ صَنَمِ**) بفتح الصاد والنون : جار ومجرور بيان لـ (مَـا) ، أي من جنس الصنم الصادق بالكثير .

تفسير الكلمات

(**وَبَعْدَ مَا**) : أي بعد الذي .

(**عَايَـنُوا**) : أي عاينوه ، بمعنى شاهدوه وأبصروه .

(**فِي الأُفْـق**) : المراد بـالأفق هنـا السمــاء ، لا حقيقتـه التـي هـي أطراف السمـاء .

(**مِنْ شُهُبٍ**) : جمع شهاب ، وهو شعلة من نار ساطعة .

(**مُنْقَضَّةٍ**) : أي ساقطة من السمــاء عـلى الشـياطين الـذين كـانوا يسترقون السمع ليلة ولادتـهﷺ ، ولم يكـن للكفـار عهـد بمثل ذلك ، وإن كان لهم عهد به في الجملة .

(**وَفْـقَ مَـا فِي الأَرْضِ**) : أي مثـل مـا في الأرض في الانقضـاض ؛ لأن أصنام الدنيا أصبحت منكوسة تلك الليلة .

(**مِنْ صَنَمِ**) : الصنم هو الوثن ما كان غير مصور .

وقيل: الصنم ما كان من حجر، والوثن ما كان من غيره كنحاس .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن المشركين عموا فلم يؤمنوا بـهﷺ مـن بعـد مـا أخـبرهم كهـانهم بمـا ذكرنا سابقاً ، ومن بعد ما عاينوا في الأفـق مـن الشـهب التـي لم يشاهدوها من قبل ذلك .

وأشـار المصـنف بـذلك إلى قولـه تعـالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن] .

وذلك أن الشياطين كانوا قبل مبعث النبيﷺ يقعدون إلى سمـاء الدنيا ، ويسترقون ما يُـذكر فيهـا مـن قِبَـلِ الملائكـة . فلمـا بُعـث

النبيﷺ حُرست السمـاء بالشهب ، فعاينوا شيئاً لم يعاينوه من قبل.

وقال بعض العلمــاء : إن الـرجم كـان قبـل مبعـث النبـيﷺ ، ولكن لم يكن كثيراً كمـا هو اليوم في شدة الحراسة .

واختلف العلمـاء : هل حـدث رجـم الشـياطين بمولـده عليـه الصلاة والسلام ؟

ولقد حكى الزمخشري في تفسـير سـورة الجـن عـن ابـن عبـاس رضي الله تعـالى عنهمـــا : أن الشـياطين كـانوا لا يحتجبـون عــن السمـاوات ، فلمـا وُلد عيسىعليه السلام حُجبوا عن ثلاث سمـــاوات ، فلمـا وُلد سيدنا محمدﷺ حُجبوا من السمـاوات كلها، فمنعوا مـن سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثـرة . لكـن كـانوا مـع هـذا كلـه يقعدون في مقاعد قريبة من السمـاء بحيث يسمعون صريف أقلام الملائكة التي تكتب ما يقع في العالم ، فلمـا بعثﷺ مُنعوا من ذلـك بالشهب أيضاً كمـا قال تعـالى حكايـة عـنهم : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٩] .

ثم قال صاحب التصنيف :

حَتَّـى غَـدَا عَـنْ طَرِيـقِ الـوَحْيِ مُنْهَـزِمٌ

مِــنَ الشَّــيَاطِينِ يَقْفُــو إِثْــرَ مُنْهَــزِمِ



٦٩- حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الـوَحْيِ مُنْهَـزِمٌ
مِـــنَ الشَّـــيَاطِينِ يَقْفُـــو إِثْـــرَ مُنْهَـــزِمِ

الإعراب الموجز

(**حَتَّى**) : حرف غاية للابتداء .

(**غَدَا**) : فعل ماض .

(**عَنْ طَرِيق**) : جار ومجرور متعلق بـ (غَدَا) .

(**الوَحْيِ**) : مضاف إليه .

(**مُنْهَزِمٌ**) بضم الميم وسكون النون وكسر الزاي : فاعل (غَدَا) .

(**مِنَ الشَّيَاطِينِ**) : جار ومجرور نعت (مُنْهَزِمٌ) .

(**يَقْفُو**) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (مُنْهَزِمٌ) . والجملة نعت ثان له .

(**إِثْـرَ**) بكسر الهمزة وسكون الثاء : متعلق بـ (يَقْفُو) ، وهي مضاف .

(**مُنْـهَزِمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**حَتَّى**) : بمعنى إلى .

(**غَدَا**) : صار ، ولنا أن نقول : الغُدْوَة مقابل الرَّوْحة .

(**عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ**) : المقصود به السماء ، والوحي هو الكلام الخفي .

(**مُنْـهَزِمٌ**) : هارب .

(**مِنَ الشَّيَاطِينِ**) : بيان لـ (**مُنْـهَزِمٌ**) مَشُوب بتبعيض .
(**يَقْفُو إِثْـرَ مُنْـهَزِمِ**) : أي يتبع إثر هارب آخر .

المعنى الكلي

يقول المصنف :
ولم تزل الشهب تنقض على الشياطين التي كانت تسترق السمع من قبل المولد الشريف ، حتى صار كـل مـن الشـياطين منهزمـاً تابعـاً انهزامه إثر منهزم آخر من الشياطين .

ثم قال :
كَأَنَّـــــهُمْ هَرَبـــاً أَبْطَـــالُ أَبْرَهَـــةٍ
أَوْ عَسْكَـرٌ بِالـحَصَـى مِنْ رَاحَتَـيْـهِ رُمِي



٧٠- كَأَنَّــهُمْ هَرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْـرَهَــةٍ
أَوْ عَسْكَـرٌ بِالـحَصَى مِنْ راحَتَيْــهِ رُمِـي

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّـهُمْ**) : حرف تشبيه ونصب ينصب الاسم ويرفع الخبر ، والضمير اسمها .

(**هَرَباً**) : حال ، والعامل فيها ما في (كَأَنَّ) من معنى التشبيه ، وذو الحال اسم (كَأَنَّ) .

(**أَبْطَالُ**) : خبرها ، وهي مضاف .

(**أَبْرَهَةٍ**) بفتح الهمزة وسكون الباء : مضاف إليه ، وصُرف هنا للضرورة الشعرية .

(**أَوْ عَسْكَرٌ**) : معطوف على (أَبْطَالُ) ، ويجوز عطفه كذلك على (أَبْرَهَةٍ) .

(**بِالْحَصَى**) : جار ومجرور متعلق بـ (رُمِي) .

(**مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي**) : بالبناء للمفعول ، معطوف في المعنى على خبر (كَأَنَّ) .

وتقدير البيت : كأن الشياطين في حال كونهم هاربين أبطال أبرهة ، أو كأنهم عسكر رُمِيَ بالحصى من راحتي النبيﷺ .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّـهُمْ**) : أي الشياطين .

(**هَرَباً**) : في حال هروبهم من الشهب .

(**أَبْـطَالُ**) : أي شجعان . وسُمي البطل بطلاً لأن الشجعان تبطـل هممهم وشجاعتهم عند ملاقاته .

والمراد بالأبطال هنا الأبطال الشجعان من فرسـان أبرهـة الذين جاءوا لهدم الكعبة .

(**أَبـْرَهَةٍ**) : هو صاحب الفيـل ، ومعنـاه بلسـان الحبشـة الأبـيض الوجه .

وذلك أن ملك الـيمن بنـى فيهـا كنيسـة ليصــرف إليهـا الحجاج ، فأحدث فيها رجل من بني كنانة ولطّخ صدرها بالعَذِرة ، فلمـا علم أبرهة بذلك أقسم لَيهـدمن الكعبـة ، فجاء بالجيش العظيم والفيلـة الكثـيرة متجهـاً إلى مكـة . وحين تهيئوا للدخول وهدم الكعبة غُشـي علـيهم وولـوا هاربين ، ورُموا بحجارة مـن سـجيل كمـا أخبرنـا ربنـا تبارك وتعالى في القرآن الكريم في سورة الفيـل . فتفرّقـت عليهم وترادفت فلا تخطئ واحـداً مـنهم ، وصرخ القـوم وصار بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون . وكان الحجر لا يصيب شـيئاً إلا هشـمه ، ومـا وقـع عـلى رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقـع عـلى رأسـه خرج من دبره . وقال بعضهم : كـان إذا غـاص في دمـاغ الرجل ذهب منه السمع والبصـر ، وإذا غـاص في جوفـه قطّع أمعاءه ، نعوذ بالله تعالى من مقتـه وعذابه .

(**أَوْ عَسْكَـرٌ**) : العسكر هو الجيش العظيم .

(**بِالحَصَى**) : جمع حصاة ، وهي حجارة صغار صلبة .

(مِنْ رَاحَتَـيْـهِ) : أي من بطن كفيهﷺ .

(رُمِي) : تنبيهاً على أن ذلك الرمي وإن باشرتـه كفـاه الشـريفتان ﷺ ، فالرامي في الحقيقة هو الله تعالى .

قال تبـارك اسـمه في كتابـه العزيـز : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كأن الشياطين الذين رُموا بالشهب في شدة هـربهم أمثـال أبرهـة في حال كونهم هاربين هرباً شديداً .

ولقد أشـار المصـنف هنـا بقولـه : (**أَوْ عَسْكَـرٌ بِالْـحَصَى مِـنْ راحَتَيْـهِ رُمِي**) إلى ما روي عن محمد بن قـيس ومحمـد بـن كعـب القرظي في يوم بدر قالا : ((لمـا دنا القوم بعضهم مـن بعـض أخـذ رسول اللهﷺ قبضة من تراب ، فرمى بهـا في وجـوه القـوم وقـال : شـاهت الوجـوه ، فـدخلت في أعيـنهم كلهـم ، وأقبـل أصـحاب رسـول اللهﷺ يقتلـونهم ويـأسرونهم ، وكانـت هـزيمتهم في رميـة رسول اللهﷺ)) [1] .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال : ((رفـع رسول اللهﷺ يده يوم بدر فقـال : يـا رب إن تهلـك هـذه العصـابة فلن تعبد في الأرض أبداً ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم ، فمـا من المشـركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريـه وفمـه تـراب مـن تلـك القبضـة ،

فولوا مدبرين)) [2] .

وقال قتادة رحمه الله : أخبر ابن وهب عن ابن زيد قال : ((هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات ، فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه ، فانهزموا . وذلك قول الله ﷻ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧])) [3] .

والتفسير : أي وما أَوْصَلْتَ الحصى إلى أعينهم بعد أن رَمَيْتَه من يدك يا محمد ، ولكن الله أوصله إليهم .

ثم قال المصنف :

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ



(١) ، (٢) ، (٣) : هذه الروايات ذكرها الطبري في تفسيره .

٧١- نَبْـذاً بِـهِ بَعْـدَ تَسْـبِيحٍ بِبَطْنِـهِمَـا
نَبْـذَ الْمُسَـبِّحِ مِـنْ أَحْشَـاءِ مُلْتَـقِمِ

الإعراب الموجز

(**نَـبْذاً**) : مفعول مطلق والناصب لـه (رُمِـي) ؛ لأنـه يلاقيـه في المعنى ، حيث المعنى هو النبذ على حد وقعتُ جُلُساً .

(**بِـهِ**) ، (**بَعْدَ**) : متعلقان بـ (رُمِي) .

(**تَسْبيحٍ**) : مضاف إليه .

(**بِبَطْنِـهِمَـا**) : نعت (تَسْبيحٍ) .

(**نَـبْـذَ**) : مفعول مطلق .

(**الـمُسَبِّحِ**) بضم الميم وكسر الباء المشددة : مضاف إليه .

(**مِنْ أَحْشَاءِ**) : جار ومجرور حال من (الـمُسَبِّحِ) .

(**مُلْتَـقِمِ**) بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**نَـبْـذاً**) : بمعنى رمياً .

(**بِـهِ**) : أي بالحصى .

(**بَعْدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِـهِمَـا**) : أي بعد تسبيح الحصى لله ﷻ في كفـه ﷺ . والتسبيح هنا تنزيه الله تبارك وتعالى عن النقائص .

(**نَـبْـذَ الْمُسَبِّحِ**) : أي كنبذ المسبح ، والمقصود به هنا سـيدنا يـونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

(**مِنْ أَحْشَاءِ**) : جمع حشى ، وهو ما حوته الضلوع من الحيوان .

(**مُلْتَـقِمٍ**) : المراد به الحوت الذي التقم سيدنا يونس عليه السلام ، حيث قـال الله تعـالى : ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الصافات] . أي فابتلع الحوت سيدنا يونس عندما ألقي من السفينة ، حيث سار في البحر وركبه بدون إذن من الله تبارك وتعالى . فلولا أنه كان من الذاكرين لله كثيراً في بطن الحوت لصار له قبراً إلى يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، فببركة تسبيحه خرج من بطن الحوت وأُلقي على وجه الأرض بالساحل بعد فترة اختلف فيها وهو عليل ، وبقي على الشاطئ بعد أن أنبت له الله عزّ وجلّ شجرة من يقطين ، وسخر له غزالة ترضعه من لبنها حتى قوي عوده وعاد إلى نشاطه ، وأرسله الله بذلك إلى قومه .

وفي كلام المصنف من المحسنات البديعية ما هو واضح ؛ لأنه بعد أن تكلم على انقضاض الشهب على الشياطين ، وتشبيههم في حال هربهم بأبطال أبرهة ، أو عسكر رُمِيَ بالحصى من راحتيه الشريفتين ، استتبع الكلام على تسبيح الحصى بكفيه ﷺ .

وحقيقة الاستتباع أن يضمن كلامٌ سيق لمعنىً معنىً آخر .

وقد شبّه المصنف هنا نبذ النبي ﷺ بنبذ الحوتِ الحوتَ ، كما شبّه تسبيح الحصى بتسبيح يونس عليه السلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى هنا :

لقد طرح رسول الله ﷺ الحصى بعد ما سبح في كفيه طرحاً في وجوههم مثل طرح يونس بعد ما سبح في بطن الحوت .

وحديث تسبيح الحصى في كفيه ﷺ روي عن أنس رضي الله عنه حيث قال : ((تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات فسبّحن في يده ، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن في يده ، ثم ناولهن النبيُّ ﷺ عمرَ فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر ، ثم ناولهن عثمان فسبحن في يده كما سبحن في يد عمر)) [1] .

وفي العبارة رد على من اعترض على المصنف بأنه لم يثبت أن الحصى الذي رمى به النبي ﷺ يوم بدر أو يوم حنين سبح في كفه قبل أن يرمي به .

والحاصل أن المصنف قصد الإخبار بخرق العادة في كون حصى الكفين أصاب الجمع العظيم .

ثم كأنه يقول : وهذا الإخبار الغريب كان بعد إخبار آخر غريب وقع له في الحصى وكان خارقاً للعادة كذلك ، وهو كونه سبّح في كفه الشريفة ﷺ .

ثم قال رحمه الله :

جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً
تَـمْشِـي إِلَيْـهِ عَـلَى سَـاقٍ بِـلاَ قَـدَمِ



(١) رواه الطبراني في الأوسط وابن سعد بإسناد حسن ، كما روى البزار نحوه عن أبي ذر.

٧٢- جَاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً
تَـمْشِـــي إِلَيْــهِ عَــلَى سَــاقٍ بِــلاَ قَــدَمِ

الإعراب الموجز

(جَاءَتْ) : فعل ماض ، والتاء علامة التأنيث .

(لِدَعْوَتِـهِ) : جار ومجرور متعلق بـ (جَاءَتْ) .

(الأَشْجَارُ) : فاعل (جَاءَتْ) .

(سَاجِدَةً) : حال من (الأَشْجَارُ) .

(تَمْشِي): فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي.
والجملة حال ثان من (الأَشْجَارُ) ، أو من فاعل (سَاجِدَةً) المستتر فيه . فهي على الأول من الأحوال المترادفة ، وعلى الثاني من الأحوال المتداخلة .

(إِلَيْـهِ) ، (عَلَى سَاقٍ) : جار ومجرور متعلقان بـ (تَـمْشِـي) .

(بِلاَ قَدَمِ) بكسر الباء وفتح القاف : في موضع النعت لـ (سَاقٍ) ، أو متعلق بـ (تَـمْشِـي) .

تفسير الكلمات

(جَاءَتْ) : أتت .

(لِدَعْوَتِـهِ) : أي لندائه ﷺ .
ولم يقل المصنف لدعائه ؛ تنبيهاً على أنها بأول دعوة واحدة بادرت إلى امتثال أمره ﷺ .

(الأَشْجَارُ) : جمع شجرة ، وهي ما له ساق من النبات . والألف واللام فيها للجنس .

(سَاجِدَةً): خاشعة، فالمراد بالسجود هنا معناه اللغوي وهو الخضوع.
(تَـمْشِي إِلَيْـهِ) : الضمير يعود للنبيﷺ .
(عَلَى سَاقٍ) : الساق ما تحت الفروع من الشجرة .
(بِلاَ قَـدَمِ) : القـدم هـو طـرف الرجـل ، والمـراد هنـا أي لا قـدم يعينها على المشي .

المعنى الكلي

إن المصنف أشار بهذا البيت إلى الحديث الـذي رُوي عـن جـابر ابن عبداللهﷺ قال: « سرنا مع رسول اللهﷺ حتى نزلنا وادياً أفـيح ، فذهب رسول اللهﷺ يقضي حاجته فاتبعته بـإداوة مـن مـاء ، فنظـر رسول اللهﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الـوادي . فانطلق رسول اللهﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عـليّ بـإذن الله ، فانقـادت معـه كـالبعير المخشـوش الـذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كـذلك ، حتـى إذا كـان بالمنصف مما بينهمـا لأَمَ بينهمـا – يعني جمعهمـا – فقـال : التئمـا عليّ بإذن الله ، فالتأمتا . قال جابر : فخرجت مخافة أن يحس رسـول اللهﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحـدث نفسي فحانـت منـي لفتـة ، فإذا أنا برسول اللهﷺ مقبلاً ، وإذا الشـجرتان قـد افترقتـا ، فقامـت كل واحدة منهمـا على سـاق ، فرأيـت رسـول اللهﷺ وقـف وقفـة فقال برأسه هكذا – وأشار برأسه يميناً وشمـالاً – » [1] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل ، والطبراني في الأوسط والكبـير عـن ابـن مسعود ، والبزار بنحوه . كمـا أخرجه الدارمي وعبد بن حميد .

كمـا أشار إلى الحديث الذي رواه بريدة قال : « جـاء أعـرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت فأرني شيئاً أزد بـه يقيناً . قال: ما الذي تريده ؟ قال: ادعُ تلك الشجرة فلتأتك ، قـال: اذهب فادعها . قال : فأتاها الأعـرابي فقـال : أجيبـي رسـول الله ، فمـالت على جانب من جوانبها فقطّعت عروقها ، ثـم مالـت عـلى الجانب الآخر فقطّعت عروقها ، ثم أقبلت عن عروقهـا وفروعهـا مغبرة فقالت : عليك السلام يا رسول الله . قال : فقـال الأعـرابي : حسبي حسبي يا رسول الله ، فقال لها : ارجعي ، فرجعت فحامـت على عروقها وفروعها كما كانت ، فقال الأعرابي : ائـذن لي أن أقبـل رأسك ورجلك ، فأذن له. ثم قال: يا رسول الله ائذن لي أن أسـجد لك . فقال : لا يسجد أحـد لأحـد ، ولـو أمـرتُ أحـداً أن يسـجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لعظم حقه عليها »[1] .

ولقد اتضح لـدينا كيـف أتـت لدعوتـه الأشـجار حـال كونهـا خاضعة حين دعاها لتأتيه لحاجته بها ، أو دعائه إياهـا للإيمـــان بـه حال كونها تمشي على ساق بلا قدم .

وإنمـا ذلك معجزة له ﷺ ، وتأييد إلهي لا يكون إلا لمثله .

ثم أكد المصنف اعتدال مشيتها وسلوكها بقوله :

كَأَنَّـمَـا سَطَـرَتْ سَـطْراً لِـمَـا كَتَـبَتْ
فُـرُوعُهَـا مِـنْ بَـدِيعِ الـخَطِّ بِاللَّـقَمِ



(١) رواه أبو بكر المقري في تقبيـل اليـد ج١ ص٦٤ . وروى نحـوه البـزار بسـند آخـر ، وأبو بكر الروياني في مسنده ج١ ص٧٨ .

٧٣- كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ بِاللَّقَمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّمَا**) : حرف تشبيه مهمل .
(**سَطَرَتْ**) بفتح السين والطاء : فعل ماض ، والتاء للتأنيث ، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود على (الأَشْجَارُ) في البيت السابق .
(**سَطْراً**) : مفعول به .
(**لِمَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (سَطَرَتْ) ، و(مَا) موصول اسمي .
(**كَتَبَتْ**) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .
(**فُرُوعُها**) : فاعل لـ (كَتَبَتْ) .
والجملة صلة (مَا) ، والعائد محذوف أي كتبته .
(**مِنْ بَدِيعِ**) : جار ومجرور بيان لـ (مَا) متعلق بـ (كَتَبَتْ) .
(**الخَطِّ**) بفتح الخاء : مضاف إليه .
(**بِاللَّقَمِ**) بفتح اللام والقاف : جار ومجرور متعلق بـ (كَتَبَتْ) .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً**) : أي كأن الشجرة بمشيها إليه ﷺ أو بسجودها .
(**لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا**) : أي خطّت فروعها .

(**مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ**) : أي المبتدع إما لحسنه تتميم للاستعارة ، وإما لأنه خط لا يُعهد مثله من مثلها .

(**بِاللَّـقَمِ**) : وهو وسط الطريق ، والباء هنا بمعنى في .

وفي (اللَّـقَمِ) تتميم ، أي لم تنحرف عما كتبته عن وسط الطريق .

المعنى الكلي

هنا شبّه المصنف فروع تلك الشجرة عند مشيها في الأرض بالأقلام ، وشبّه أثر مشيها على الأرض بالحروف المكتوبة ، وشُبهت الأرض وهي (**اللَّـقَم**) باللوح ، فقال : كأن الأشجار في مشيها قد سطرت فروعها سطراً على الأرض ، وكتبت كتابة بديعة حسنة على اللَّـقَمِ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

مِثْـلَ الغَمَـامَـةِ أَنَّـى سَـارَ سَائِـرَةً
تَـقِيـهِ حَـرَّ وَطِـيسٍ لِلْهَجِـيرِ حَمِـي



٧٤- مِثْلَ الغَمَـامَــةِ أَنــَّى سَـارَ سَائِــرَةً
تَقِيــهِ حَــرَّ وَطِــيسٍ لِلْهَجِــيرِ حَمِــي

الإعراب الموجز

(**مِثْلَ**) : بالنصب على الحال من فاعل (تَمْشِـي) .

وتعـرب كـذلك بـالرفع (مِثْــلُ) عـلى أنهـا خـبر مبتـدأ محذوف ، أي هي مثل الغمـامة .

(**الغَمَـامَةِ**) : مضاف إليها .

(**أَنـَّى**) بفتح الهمزة والنون المشـددة : ظـرف زمـان ، وفيـه معنـى الشرط .

(**سَارَ**) : فعل ماض على أنه فعل الشرط .

(**سَائِـرَةً**) : بالنصـب حـال مـن (الغَمَــامَةِ) ، ويجـوز أن تكـون حالاً مـن المضـاف إليـه ؛ لأن المضـاف (مِثْــلَ) بمعنـى مماثل ، فهو عامل في الحال .

وجواب الشرط محذوف ، أي فهي سائرة معه .

(**تَقِيـهِ حَرَّ**) بفتح التاء وكسر القاف : فعل مضارع متعـد لاثنـين ، أولهمـا الهاء ، وثانيهما (حَرَّ) بفتح الحاء والراء المشددة .

والجملة إما صفة لـ(سائِرَةً)، وإما حال من (الغَمَـامَةِ).

(**وَطِيسٍ**) بفتح الواو وكسر الطاء : مضاف إليه .

(**لِلْهَجِيـرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَـمِي) .

(**حَمِـي**) بفتح الحاء وكسر الميم وسكون الياء : فعل ماض، وفاعلـه ضمير (وَطِيسٍ) المستتر فيه ، والجملة نعت (وَطِيسٍ) .

تفسير الكلمات

(**مِثْلَ الغَمَامَةِ**) : الغمامة سحاب يعم الأفق ، أي وهذه الآية هي مثل آية الغمامة في التسخير .

(**أَنَّى**) : بمعنى كيف .

(**سَارَ سَائِرَةً**) : السير هو الحركة الشديدة الكثيرة .

(**تَقِيهِ**) : أي تحفظه ﷺ بظليلها له .

(**حَرَّ وَطِيسٍ**) : أي حر الشمس الشبيهة في الحرارة بالوطيس .

والوطيس هنا في كلام المصنف مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية ، وإن كان في الأصل هو التنور .

(**لِلْهَجِيرِ**) : اللام بمعنى عند ، أي عند الهجير .

(**حَمِي**) : بمعنى اشتدّ ، يقال : حمي الوطيس إذا اشتد الحر .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنا أن تسخير الله ﷻ الأشجار له ﷺ كتسخير الغمام ليسير معه كالمظلة فوق رأسه ﷺ ؛ ليحفظ بدنه المطهر وجسمه الشريف من حر سموم الهجير ، والله تبارك وتعالى على كل شيء قدير .

وكما حفظ الله تبارك وتعالى باطنه ﷺ من الشَّيْن والرَّيْن ، حفظ كذلك ظاهره من أذى ما يؤذي . وكما سخّر له العالم السفلي من المياه والجبال والأحجار ، فكذلك سخر له العالم العلوي من الشمس والقمر والغمام والأمطار . فهو ﷺ النبي المطاع ، والرسول الواجب الاتباع .

واعلم أيها القارئ أن تظليل الغمام لهﷺ في سفره جاء في كثير من الروايات ، من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفاء أن خديجة ونساءها رأينه حين قدم من سفره لبُصرى ومَلَكان يظلانه ، فذكرتْ ذلك لميسرة غلامها ، فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره .

وكذلك روي أن حليمة السعدية رضي الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها ، وأن أخاه من الرضاع شاهد مثل ذلك .

كما أشار المصنف في هذا البيت إلى ما رواه ابن إسحاق معضلاً أنه لما خرجﷺ مع عمه في جماعة ، نزلوا قريباً من صومعة بَحيرا [1] وصنع لهم طعاماً كثيراً ؛ لأنه فيما يزعمون رأى رسول اللهﷺ حين أقبل وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلته الشجرة ، وتهصرت أغصانها على رسول اللهﷺ حين استظل تحتها .

وفي رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري قال : « خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبيﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرا - هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول اللهﷺ وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من

(١) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصوراً ، واسمه جرجيس بكسر الجيمين .

قريش : وما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة . فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .... » إلى آخر الحديث [1] .

ثم قال الناظم :

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ



(١) رواه الترمذي في سننه وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق أبي نوح قراد ، واسمه عبدالرحمن بن غزوان ، وهو ممن خرّج له البخاري ، ووثقه جماعة من الحفاظ. وقد سمعه منه أحمد وابن معين وأبو موسى ، إما أن يكون تلقاه من النبيﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة ، أو كان مشهوراً فأخذه بطريق الاستفاضة .
كما رواه الحاكم وصححه ، وابن أبي شيبة ، وأبو نعيم الأصبهاني ، والخرائطي في الهواتف ، وابن عساكر ، والبيهقي وقال : هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي .
وقال الحافظ ابن حجر : الحديث رجاله ثقات ، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى أن للقصة شواهد .

٧٥- أَقْسَـمْتُ بِـالقَمَرِ الـمُنْشَـقِّ إِنَّ لَـهُ
مِـــنْ قَلْبِـــهِ نِسْبَـــةً مَـــبْرُورَةَ القَسَـــمِ

الإعراب الموجز

(**أَقْسَمْتُ**) بضم التاء : فعل وفاعل .

(**بِالقَمَرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَقْسَمْتُ) على تقدير مضاف بين الجار والمجرور ، أي برب القمر .

(**الـمُنْشَقِّ**) : نعت (القَمَرِ) .

(**إِنَّ**) : حرف توكيد ونصب .

(**لَـهُ**) : جار ومجرور متعلق بخبر (إِنَّ) مقدم ، والضمير يعود لـ (القَمَرِ) .

(**مِنْ قَلْبِـهِ**): جار ومجرور متعلق بـ(نِسْبَـةً)، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(**نِسْبَـةً**) بكسر النون وسكون السين وفتح الباء : اسم (إِنَّ) مؤخر. وجملة (إِنَّ) ومعموليها جواب (أَقْسَمْتُ) لا محل لها من الإعراب .

(**مَبْـرُورَةَ**) : نعت لمحذوف .

(**القَسَمِ**) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**أَقْسَمْتُ**) : القسم هو اليمين .

(**بِالقَمَرِ**) : أي برب القمر ؛ لأن أهل الشرع يمنعون الحلف لغير الله تعالى وإنْ عليه ألسُن العوام ، حيث لا يجوز

للمخلوق أن يقسم بغير الخالق ، كما ورد عن النبيﷺ أنه قال : ((مَن حلف بغير الله فقد أشرك)) [1] .

وأما ربنا تبارك وتعالى فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره ، والشاهد في القرآن كثير .

وقد سُمي القمر قمراً لبياضه ولاستنارته ، أو لأنه يَغلب العيون بنوره. حيث يسمى في الليالي البيض بذلك، وهي ليلة الثالث عشرة ، والرابع عشرة ، والخامس عشرة .

(**الـمُنْشَقِّ**) : أي الذي انشق معجزة لسيدنا محمدﷺ .

(**إِنَّ لَـهُ**) : أي للقمر المنشق .

(**مِنْ قَلْبِـهِ**) : أي قلب النبيﷺ .

(**نِسْبَـةً**) : أي شبهاً . ونسبة القمر من قلبهﷺ أن قلبه الشريف إنما شُقَّ ، وكذلك القمر .

(**مَبْرُورَةَ القَسَمِ**) : مِن بَـرَّ في يمينه ، أي أمضاها على الصدق .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

أقسمتُ برب القمر يميناً مبرورة أن للقمر المنشق شبهاً لقلبهﷺ في انشقاق كل منهما . ووجه الشبه هنا بين الانشقاقين جَرْيُهُما على خلاف العادة في الانشقاق والالتئام من غير تأثير ولا إخلال .

أما انشقاق القمر لهﷺ فكان معجزة له ، وذلك حينما سأله

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه من رواية ابن عمر . وأخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي .

أهل مكة أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر فلقتين كما ورد عن ابن مسعودﷺ قال: « بينما نحن مع رسول اللهﷺ بمنى انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول اللهﷺ : اشهدوا »[1] .

وعنه كذلك قال : « انشق القمر على عهد رسول اللهﷺ فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السفار فقالوا ذلك »[2] .

وأما انشقاق صدره وقلبه الشريف عليه الصلاة والسلام ، فقد وقع أربع مرات جمعها بعضهم بقوله :

وشُقَّ صدرُ المصطفى وهو في دار بني سعدٍ بلا مِرْية
كشَقِّه وهو ابن عشرٍ ثم في ليلة معراجٍ وعند البعثة

وقيل بأن صدرهﷺ شُقَّ أيضاً وهو ابن عشرين عاماً .

ثم قال المصنف :

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي



(١) رواه مسلم وغيره بألفاظ أخرى .

(٢) رواه البيهقي ، وابن جرير بزيادة: فأنزل الله ﷻ : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر : ١].

٧٦- وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

الإعراب الموجز

(**وَمَا**) : موصول اسمي في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف .

(**حَوَى**) : فعل ماض .

(**الغَارُ**) : فاعل .

والجملة صلة (مَا) ، والعائد محذوف أي حواه .

(**مِنْ خَيْرٍ**) ، (**وَمِنْ كَرَمٍ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (حَوَى) .

و(مِنْ) فيهما للبيان لـ (مَا) على تقدير مضاف ، أي من صاحب خير ومن صاحب كرم .

(**وَكُلُّ طَرْفٍ**) بفتح الطاء وسكون الراء : مبتدأ ومضاف إليه .

(**مِنَ الكُفَّارِ**) : جار ومجرور متعلق بنعت (طَرْفٍ) .

(**عَنْهُ**) : جار ومجرور متعلق بـ (عَمِي) ، والضمير للمحوي المستفاد من (حَوَى) الشامل له ﷺ ولصاحبه رضي الله عنه .

(**عَمِي**) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود على (كُلُّ طَرْفٍ) ، والجملة خبر المبتدأ .

تفسير الكلمات

(**وَمَا حَوَى**) : أي وما جمع .

وتكون (مَا) هنا واقعة على صفات مَن يعقل ، وهو أحد مواضعها نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء : ٣]، أي الطيب .

(**الغَارُ**) : هو اسم المكان الذي اختفى فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو ثقب في جبل ثور في أسفل مكة .

(**مِنْ خَيْرٍ**) : يُفَسَّرُ الخير هنا بالأخلاق الحميدة التي كان يتصف بها النبي ﷺ .

(**وَمِنْ كَرَمٍ**) : الكرم هو ما يتصف به ، أي من صفاته ﷺ وصفات أبي بكر رضي الله عنه .

(**وكُلُّ طَرْفٍ**) : الطرف هو البصر .

(**عَنْهُ**) : أي عن الـمَحْوِيِّ .

(**عَمِي**) : بمعنى لم يبصروا ما فيه مع قربهم منه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ومن معجزاته ﷺ أنه دخل هو وأبو بكر الغار هرباً من الكفار ، فطلبوهما حتى وقفوا على فم الغار ، فأعماهم الله تعالى عنهما ببركة النبي ﷺ .

قال الله ﷻ : ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة : ٤٠].

وقصة الغار أكبر دليل على أن الله تبارك وتعالى قادر على أن يحفظ أحبابه ، وأن يعمي عيون أعدائهم في وضح النهار .

فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر قال : « نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه . فقال : يا أبا بكر ،

ما ظنك باثنين الله ثالثهمـا ؟)) [1] .

ومما ورد كذلك في قصة الغار ما رُوي عن عمر بـن الخطـاب رضي الله عنه وقد ذُكر عنده أبو بكر فقال : ((وددتُ لو أنَّ عملي كلـه مـن عملـه يوماً واحداً من أيامه وليلة من لياليه . وأمـا الليلـة فليلـة سـار مـع رسول الله ﷺ إلى الغار ، فلمـا انتهيا إليه قال : والله لا تدخلـه حتـى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونـك . فدخلـه فكسـحه ووجد في جوانبه ثقباً ، فشق إزاره وسـد بهـا تلـك الثقـب ، وبقـي منا اثنان فألقمهمـا رجله ، ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخـل . فـدخل رسول الله ﷺ فوضع رأسه في حجره فنام ، فلُدغ أبو بكـر في رجلـه من الجحر ، فلـم يتحـرك مخافـة أن ينبـه رسـول الله ﷺ ، فسـقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال : مـا لـك يـا أبـا بكـر ؟ قـال : لُدغت فداك أبي وأمي ، فتفل عليـه رسـول الله ﷺ فـذهب مـا كـان يجده ...)) [2] .

ثم قال المصنف :

فَالصِّـــدْقُ فِي الغَـــارِ وَالصِّـــدِّيقُ لَمْ يَرِمَـــا
وَهُـــمْ يَقُولُـــونَ مَـــا بِالغَـــارِ مِـــنْ أَرِمِ



(١) رواه مسلم ، والبخاري بسند آخر ، والترمـذي ، و أحمـد ، وابـن حبـان ، والبـزار ، وغيرهم بإسناد حسن .
(٢) خرّجه النسائي ، ورواه الطبري في الرياض النضرة .

٧٧- فَالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّـدِّيقُ لَمْ يَرِمَـا
وَهُـــمْ يَقُولُــونَ مَــا بِالغَــارِ مِــنْ أَرِمِ

الإعراب الموجز

(**فَالصِّدْقُ**) : مبتدأ على تقدير مضاف ، أي ذو الصدق .

(**فِي الغَارِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَرِمَا) .

(**وَالصِّدِّيقُ**) : معطوف على (الصِّدْقُ) .

(**لَمْ يَرِمَا**) بفتح الياء : جازم ومجزوم .

وأصل (يَرِمَا) يريمان ، وحذفت النون للجزم والياء للضرورة .

والجملة خبر المبتدأ وما عُطف عليه .

(**وَهُمْ**) : مبتدأ ، والضمير للكفار .

(**يَقُولُونَ**) : خبره .

(**مَا**) : حرف نفي .

(**بِالغَارِ**) : جار ومجرور خبر لمبتدأ مؤخر .

(**مِنْ**) : حرف جر زائد .

(**أَرِمِ**) بفتح الهمزة وكسر الراء : مبتدأ مؤخر .

والجملة مقول (يَقُولُونَ) .

تفسير الكلمات

(**فَالصِّـدْقُ**) : أي ذو الصـدق وهـو النبـيﷺ ، ويصـح أن يكـون بمعنى الصادق .

(**فِي الغَارِ**) : هو الثقب في الجبل ، وقد تقدّم شرحه وذكره .
(**وَالصِّدِّيقُ**) : هو أبو بكر رضي الله عنه في الغار .
(**لَمْ يَرِمَا**) : لم يبرحا منه .
(**وَهُمْ يَقُولُونَ**) : أي والحال أن الكفار حين نظروهم وهما فيه يقولون ...
(**مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ**) : أي ليس في الغار من أحد .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنا أن النبي ﷺ وصاحبه حلاّ في الغار ولم يبرحا منه والكفار محدقون ببابه ، وذلك نزولاً عند القضاء والقدر. فعند ذلك أعمى الله تبارك وتعالى عنهما الأبصار مع كثرة الأنوار ، فصار الكفار المشركون ينظرون في الغار ويقولون : ما بالغار من أحد ، حيث وقاهما الله سبحانه وتعالى من أذى المشركين .

وقد أشار الناظم هنا إلى الحديث الذي رواه مصعب المكي حيث قال : « أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يحدثون أن النبي ﷺ قال : أمر الله شجرة ليلة الغار فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار . فأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر أربعين ذراعاً ، فعجل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه

فقالوا له : ما لـك لم تنظـر في الغـار ؟ فقـال : رأيـت حمـامتين بفـم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد)) [1] .

وهـذا مـا أشـار إليـه المصـنف كـذلك في البيـت الـذي بعـده ، فقال :

ظَـنُّوا الحَـمَـامَ وَظَنُّـوا العَنْكَــبُوتَ عَـلَى

خَيْـرِ البَـرِيَّـةِ لَـمْ تَـنْسُـجْ وَلَــمْ تَـحُــمِ



(١) رواه البزار والطبراني في الكبير .

٧٨- ظَنُّوا الحَمَامَ وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

الإعراب الموجز

(**ظَنُّوا الحَمَامَ**) : فعل وفاعل ومفعول أول ، والضمير راجع للكفار .

(**وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ**) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(**عَلَى خَيْرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَنْسُجْ) .

(**البَرِيَّةِ**) : مضاف إليه .

(**لَمْ تَنْسُجْ**) بفتح التاء وضم السين ويجوز كسرها : جازم ومجزوم ، والفاعل ضمير مستتر يعود على (العَنْكَبُوتَ) .

والجملة في موضع المفعول الثاني لـ (ظَنُّوا) الثانية .

(**وَلَمْ تَحُمِ**) بفتح التاء وضم الحاء : جازم ومجزوم ، والفاعل ضمير يعود على (الحَمَامَ) ، ومتعلقه محذوف .

والجملة في موضع المفعول الثاني لـ (ظَنُّوا) الأولى .

تفسير الكلمات

(**ظَنُّوا**): أي أن الكفار لما أعمى الله أبصارهم وبصائرهم حسبوا.

(**الحَمَامَ**) : أي لما رأوا حومه حول الغار .

(**وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ**) : أي الناسجة .

(**على خَيْرِ البَرِيَّةِ**): البرية هي الخليقة ، والمقصود هنا نبينا محمدﷺ .

(**لَمْ تَنْسُجْ**) : النسج هو الحياكة .

(**وَلَمْ تَحُمِ**) : الحوم هو الطواف .

وكما هو ظاهر ومشاهد فإن البديع في البيت هنا في اللف والنشر المشوش على خلاف الترتيب ، فـ (**تَنْسُجْ**) راجع للعنكبوت ، و(**تَحُمِ**) راجع للحمام . والتقدير : ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية ، وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية .

كما أن البديع في التكرير في قوله (**ظَنُّوا... وظَنُّوا**) .

وفيه كذلك رد العجز على الصدر في قوله (**الحَمَامَ**) و(**تَحُمِ**).

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الكفرة لما رأوا الحمامة حامت حول الغار ، والعنكبوت نسجت عليه في ساعة واحدة ، ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا في الغار ؛ لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار ، واستبعاد نسج العنكبوت عليه في وقت لا يسع ذلك ، ولأن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً ، فإذا أحسّا بالإنسان فرّا منه كما هو معهود .

وفي هذا البيت إشارة إلى ما رواه ابن سعد في طبقاته أن قريشاً طلبت رسول الله ﷺ أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا .

وكذلك إلى الحديث الذي مرّ معنا آنفاً في شرح البيت السابق .

ثم قال المصنف :

وِقَايَــةُ اللهِ أَغْنَــتْ عَــنْ مُضَــاعَفَةٍ
مِــنَ الــدُّرُوعِ وَعَــنْ عَــالٍ مِــنَ الأُطُــمِ



٧٩- وِقَايَـــةُ اللهِ أَغْنَـتْ عَـنْ مُضَـاعَفَةٍ
مِـنَ الـدُّرُوعِ وَعَـنْ عَـالٍ مِـنَ الأُطُـمِ

الإعراب الموجز

(وِقَايَـةُ) بكسر الواو : مبتدأ .

(اللهِ) : مضاف إليه .

(أَغْنَتْ) : فعل وفاعل ، والجملة خبر المبتدأ .

(عَنْ مُضَاعَفَةٍ) : جار ومجرور متعلق بـ (أَغْنَتْ) .

(مِنَ الدُّرُوعِ) : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت (مُضَاعَفَةٍ) .

(وَعَنْ عَالٍ) : جار ومجرور معطوف على (عَنْ مُضَاعَفَةٍ) .

(مِنَ الأُطُمِ) بضم الهمزة والطاء : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت (عَالٍ) .

تفسير الكلمات

(وِقَايَـةُ اللهِ) : أي حماية الله وصيانته .

(أَغْنَتْ) : أي أجزأت عنه ﷺ في التحصين .

(عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ) : أي عن كثافة الحديد .

والدروع هي التي تُنسج حلقتين حلقتين من الحديد ، وتُلْبَسُ تحصيناً من العدو .

(وَعَنْ عَالٍ) : أي وأغنت النبي ﷺ وأبا بكر عن مرتفع .

(مِـنَ الأُطُـمِ) : جمع أطمة وهي الحصن ، أي الحصون التي يُتَحَصَّن فيها من العدو .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنا أن الله ﷻ حفظ النبي ﷺ وصاحبه عن أن تنالهما أيدي المشركين في الغار بهذين الضعيفين جداً ، وهما : بيض الحمام ، ونسج العنكبوت . ونصرهما من أعداد المشركين وأمدادهم بهما ؛ حيث كان نسج العنكبوت وبيض الحمام أقوى من الحصون والقلاع التي يُتَحَفَّظُ بها من الأعداء .

وكما يلاحظ القارئ بأن هذه المعجزة تشير إلى أنَّ الله ﷻ ينصر أحبابه بأمور قد لا تخطر على بالٍ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ



٨٠- مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

الإعراب الموجز

(**مَا**) : حرف نفي .
(**سَامَنِـي**) : فعل ماض متعد لاثنين ، أولهما ياء المتكلم المتصلة به .
(**الدَّهْرُ**) : فاعل (سَامَنِـي) .
(**ضَيْماً**) : المفعول الثاني لـ (سَامَنِـي) .
(**وَاسْتَجَرْتُ**) : فعل وفاعل معطوف على (سَامَنِـي) .
(**بِهِ**): جار ومجرور متعلق بـ(اسْتَجَرْتُ) ، والضمير يعود للنبيﷺ .
(**إِلاَّ**) : حرف إيجاب .
(**وَنِلْتُ**) بكسر النون وضم التاء : فعل وفاعل في موضع الحال من ضمير المتكلم ، وقد أجاز ذلك غير ابن مالك .
(**جِوَاراً**) بكسر الجيم أفصح من ضمها : مفعول (نِلْتُ) .
(**مِنْهُ**): جار ومجرور نعت لـ (جِوَاراً) ، والضمير يعود للنبيﷺ .
(**لَمْ يُضَمِ**) بالبناء للمجهول بضم الياء وفتح الضاد : جازم ومجزوم ، والجملة نعت (جِوَاراً) .

تفسير الكلمات

(**مَا سَامَنِـي**) : أي ما أرادني وقصدني الدهر بظلم .
وقد جاء في بعض النسخ (مَا ضَامَنِـي) بمعنى : ما ظلمني الدهر في يوم .

وعلى كلا الوجهين لا بد من تقدير مضاف أي أهل الدهر ، وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد ظلماً ، لكن جرت عادة العرب بِنَسْبِ الظلم إليه لوقوعه فيه .

(**الدَّهْرُ**) : أي الزمان ، والمراد به هنا أهله للسبب الذي تقدم ذكره .

(**ضَيْماً**) : أي ظلماً أو ذلاً .

(**وَاسْتَجَرْتُ بِهِ**) : بمعنى طلبت من النبيﷺ أن يجيرني في ذلك ، حيث السين والتاء هنا للطلب .

(**إِلاَّ وَنِلْتُ**) : أي حَصَّلْتُ .

(**جِوَاراً مِنْهُ**) : أي قرباً منهﷺ ، والمراد به هنا للرعاية .

(**لَمْ يُضَمِ**) : أي لم يُحتقر بل يُحترم .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا :

إنه ما نالني ضيم واستجرت بالنبيﷺ إلا وكنت نائلاً جواراً محترماً ، وقُضِيَت حاجتي ، وبلغتُ مقصدي ببركة جوارهﷺ .

ثم قال :

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ



٨١- وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِـنْ يَـدِهِ
إِلاَّ اسْـتَلَمْتُ النَّـدَى مِـنْ خَـيْرِ مُسْـتَلَمِ

الإعراب الموجز

(وَلاَ) : نافية .

(الْـتَمَسْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(غِنَى) بكسر الغين والقصر مع عدم التنوين : مفعول (الْتَمَسْتُ) ، وهو مضاف .

(الدَّارَيْنِ) : مضاف إليهمـا .

(مِنْ يَدِهِ): جار ومجرور متعلق بــ (الْتَمَسْـتُ) ، والضـمير يعـود للنبيﷺ .

(إِلاَّ) : حرف إيجاب .

(اسْتَلَمْتُ) : فعل وفاعل في موضع الحال لضمير المتكلم .

(النَّـدَى) بفتح النون والقصر : مفعول (اسْتَلَمْتُ) .

(مِنْ خَيْـرِ) : جار ومجرور متعلق بـ (اسْتَلَمْتُ) .

(مُسْتَلَمِ) بفتح التاء واللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَلاَ الْتَمَسْـتُ) : الالتمـاس هـو الطلـب بخضـوع وذلـة ، أي ولا طلبت من فضلهﷺ .

(غِنَى) : أي سعادة .

(الدَّارَيْنِ) : أي داري الدنيا والآخرة .

(**مِنْ يَدِهِ**) : المراد باليد هنا النعمة ، وقيل : الذات الكريمة .
(**إِلاَّ اسْتَلَمْتُ**) : بمعنى أخذت .
(**النَّـدَى**) : الجود والكرم .
(**مِنْ خَيْـرِ مُسْتَـلَمِ**) : أي من خير مطلوب منه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ما وقعتُ بمأزق ، ولا طلبتُ الغنى في الدنيا والآخرة – في الكفاية في الأولى والسلامة من العذاب في الثانية – من نعمتهﷺ إلا أخذت العطاء من خير مستلم منه ، أي حاصل لي مطلوب منه ؛ لأنهﷺ لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة ، والله المعطي ، والنبي هو القاسم وهو أبو القاسم .

فأما نيل غنى الدنيا منهﷺ فهو محسوس ومشاهد في الحس ، وأما نيل غنى الآخرة منهﷺ فإنه مشاهد بقوة يقين الإيمان .

وفي هذا البيت والذي قبله براعة الطلب .

واللهَ نسأل ببركة سيدنا محمدﷺ أن ينيلنا شفاعته في أمور دنيانا وآخرتنا .

ثم قال الناظم رحمه الله :

لاَ تُنْكِـــرِ الــوَحْيَ مِــنْ رُؤْيَــاهُ إِنَّ لَــهُ
قَلْبـــاً إِذَا نَامَـــتِ العَيْنَـــانِ لَمْ يَـــنَمِ



٨٢- لاَ تُنْكِـرِ الـوَحْيَ مِـنْ رُؤْيَـاهُ إِنَّ لَـهُ
قَلْبــاً إِذَا نَامَــتِ العَيْنَــانِ لَمْ يَــنَمِ

الإعراب الموجز

(**لاَ**) : ناهية .

(**تُنْكِـرِ**) بضم التاء وكسر الكاف : فعل مضارع مجـزوم بــ (لاَ) الناهية ، وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت .

(**الوَحْيَ**) : مفعول به .

(**مِنْ رُؤْيَـاهُ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُنْكِـرِ) .

(**إِنَّ**) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب ، وحرف مشبَّه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(**لَـهُ**) : جار ومجرور خبر مقدم لـ (إِنَّ) .

(**قَلْباً**) : اسم (إِنَّ) مؤخر منصوب بالفتحة .

(**إِذَا**) : ظرف للمستقبل فيه معنى الشرط منصوب بـ (يَنَمِ) .

(**نَامَتِ العَيْنَـانِ**) : فعل وفاعل ، والجملة مجـرورة المحـل بإضـافة (إِذَا) إليها .

(**لَمْ يَنَمِ**) : جملة فعلية مـن فعـل مضـارع وفاعـل مسـتتر يعـود إلى (قَلْباً) لا محـل لهـا مـن الإعـراب ؛ لأنهـا جـواب (إِذَا) وهو شرط غير جازم .

تفسير الكلمات

(**لاَ تُنْكِـرِ**) : أي لا تجحد .

(**الوَحْيَ**) : أي وقوعه ، والوحي هو ما يُلقى إليهﷺ من الأحكام .

(**مِنْ رُؤْيَـاهُ**) : أي في رؤياه ، والضمير يعود للنبيﷺ .

والرؤيا هنا ما يراه في نومه .

وكان بدء وحيه عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة في النوم ، فكانت كل رؤيا يراهاﷺ تجيء مثل فلق الصبح .

(**إِنَّ لَهُ قَلْباً إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ**) : أي لهﷺ قلب إذا نامت عيناه لا ينام ، لا كسائر القلوب التي تنام حين تنام أعينها .

والمراد أن لهﷺ اليقظة الدائمة ، وهو مستعد للخطاب وتلقي الوحي يقظة ومناماً .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا يخاطب المعاند وينهاه عن إنكار وقوع الوحي إليهﷺ في منامه ؛ لأن لهﷺ قلباً إذا نامت العينان منه عليه الصلاة والسلام لم ينم منه قلبه ؛ وذلك لأنه مهبط الوحي .

ويدل على ذلك ما ورد عن السيدة عائشة مرفوعاً عن النبيﷺ قال : ((إن عَيْنَيَّ تنامان ولا ينام قلبي)) [1] .

وقد شُقَّ قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام ، وطُهِّرَ من التعلق بغير ذات الله سبحانه ، ومُلِئ حكمة وإيماناً ، فصارت اليقظة الدائمة من صفاته ، فحَسُنَ أن يخاطب ويتعلق به الوحي .

ثم قال المصنف :

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِن نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ



(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الحلية ، ومالك في الموطأ ، وكذا النسائي إلا أنه قال : تنام بدل تنامان .

٨٣- وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِن نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

الإعراب الموجز

(**وَذَاكَ**): ذا اسم إشارة مبتدأ راجع للوحي من رؤياه ﷺ في النوم ، والكاف حرف خطاب .

(**حِينَ**) : منصوب باستقرار محذوف خبر المبتدأ .

(**بُلُوغٍ**) : مضاف إليه .

(**مِن نُبُوَّتِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (بُلُوغٍ) .

(**فَلَيْسَ**) : فعل ماض ناقص .

(**يُنْكَرُ**) : بالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود إلى (حَالُ) .

(**فِيهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يُنْكَرُ) ، والضمير راجع إلى (حِينَ) . والجملة خبر (لَيْسَ) مقدم على اسمها .

(**حَالُ**) : اسم (لَيْسَ) مؤخر .

(**مُحْتَلِمِ**) بكسر اللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَذَاكَ**) : أي رؤياه للوحي في المنام .

وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة المَلَك في النوم ؛ ليطيق ملاقاته بعد ذلك يقظة .

(**حِينَ بُلُوغٍ**) : حين وصول .

(**مِن نُبُـوَّتِـهِ**) : أي إلى نبوته .
(**فَلَيْسَ**) : تفريع على قوله (وَذَاكَ ...) .
(**يُنْـكَـرُ فِيـهِ حالُ مُحْـتَـلِمِ**) : المحتلم هو النائم ، وحاله هـو رؤيـاه الوحي في النوم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :
وذاك الوحي الثابت من رؤياهﷺ حال النوم كان أثبت حين وصول من نبوته إليهﷺ ، فليس ينكر منه عليه الصلاة والسلام هذا .

واعلم أنهﷺ قد نُـبِّئ على رأس الأربعين من عمـره ، وهـي حـد مبدأ النبوة . وأنه أقام ستة أشـهر في ابتـداء النبـوة يـرى الـوحي في المنام فقط تأنيساً لهﷺ ، وبعد ذلك أصبح الـوحي يأتيـه يقظـة عـلى صورة رجل اسمه دحية الكلبي .

وإذا كان الأمر كـذلك فـلا يُنكَـر الـوحي مـن رؤيـاهﷺ حينئـذ وإن كانت مرتبته أعلى المراتب ، وكان مقتضـى ذلـك أن لا يكـون الوحي إليه في النوم ؛ لأن الوحي في النوم أدنى منه في اليقظة .

ثم قال المصنف :

تَـبَـــارَكَ اللهُ مَـــا وَحْـــيٌ بِمُكْتَسَـــبٍ
وَلاَ نَبِـــيٌّ عَـــلَى غَيْـــبٍ بِمُـــتَّهَمِ



٨٤- تَبَــارَكَ اللهُ مَـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ
وَلاَ نَبِــيٌّ عَــلَى غَيْــبٍ بِمُــتَّهَمِ

الإعراب الموجز

(**تَـبَـارَكَ**) : فعل ماض .

(**اللهُ**) : اسم الجلالة فاعله .

(**مَا**) : حرف نفي .

(**وَحْيٌ**) : اسم (مَا) .

(**بِمُكْتَسَبٍ**) بفتح السين : خبرها ، والباء زائدة .

(**وَلاَ**) : حرف نفي بمعنى ليس .

(**نَبِيٌّ**) : اسمها .

(**عَلَى غَيْبٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُتَّـهَمِ) .

(**بِمُتَّـهَمِ**) بفتح التاء : خبرها ، والباء زائدة .

تفسير الكلمات

(**تَـبَـارَكَ اللهُ**) : أي تعاظم وتعالى .

(**مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ**) : أي بمكتسب لأحـد بسـعيه فيـه ، بـل هـو يختص به الله مَن يشاء مِن عباده .

(**وَلاَ نَبِـيٌّ**) : أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(**عَلَى غَيْبٍ**) : أي على الإخبار بأمر غاب .

والغيب هـو مـا لا يسـتبد العقـل بإدراكـه ، ولا الحس ، ولا كلاهما .

(**بِمُتَّـهَمِ**): أي بمتهم على ذلك الإخبار لكذبٍ فيه ، وذلك لعصمته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٤]، أي بمتهم .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

ليس الوحي مكتسباً لنبي من الأنبياء ، فالنبوة لا تكون بالاكتساب ، إنما هي عطاء من الله لمن شاء من عباده .

لهذا قال صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكتسبة   ولو رقى في الخير أعلى عقبة

حيث جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ، ومن جميع المعاصي الصغائر والكبائر والرذائل ، قبل النبوة وبعدها . وما وقع من بعضهم يوهم خلاف ذلك فإنه مؤول ، والواجب علينا الأدب مع الأنبياء والتسليم بما جرى به القضاء ، والله يختص برحمته من يشاء .

ثم قال المصنف رحمه الله :

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ



٨٥- كَمْ أَبْـرَأَتْ وَصِباً بِـاللَّمْسِ رَاحَتُـهُ
وَأَطْلَقَــتْ أَرِبــاً مِــنْ رِبْقَــةِ اللَّمَــمِ

الإعراب الموجز

(**كَمْ**) : خبرية في موضع نصب على أنها مفعول فيه أو مطلق ، أي كم وقتاً أو مرةً .

(**أَبْـرَأَتْ**) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(**وَصِباً**) : بكسر الصاد مفعول به ، وبفتحها على تقدير مضاف ، أي ذا وَصَبٍ .

(**بِاللَّمْسِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَبْـرَأَتْ) .

(**رَاحَتُـهُ**) : فاعل (أَبْـرَأَتْ) ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(**وَأَطْلَقَتْ**) : معطوف على (أَبْـرَأَتْ) ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى (رَاحَتُهُ) .

(**أَرِباً**) : بفتح الهمزة وكسر الراء مفعول (أَطْلَقَتْ) ، وبفتح الراء على تقدير مضاف ، أي ذا أَرَبٍ .

(**مِنْ رِبْقَةِ**) بكسر الراء وسكون الباء وفتح القاف : جار ومجرور متعلق بـ (أَطْلَقَتْ) .

(**اللَّمَمِ**) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**كَمْ**) : أي كثيراً من المرات .

(**أَبْـرَأَتْ**) : أي شفت .

(**وَصِباً**) : بكسر الصاد مريضاً ، وبفتحها المرض .
(**بِاللَّمْسِ**) : أي بسبب اللمس ، والمس يكون باليد .
(**رَاحَتُـهُ**) : الراحة هي بطن الكف .
(**وَأَطْلَقَتْ**) : أي وكثيراً ما خَلَّصَت راحتهﷺ .
(**أَرِباً**) : بكسر الـراء أي محتاجـاً لعطـاء أو لشـفاء أو غـير ذلـك ، وبفتحها الأرَب هو الحاجة .
(**مِنْ رِبْقَـةِ**) : الربقة هي العقدة .
(**اللَّمَمِ**) : صغار الذنوب . والمراد به الجنـون هنـا ، أي مـن عقـدة الجنون .

فيروى عن ابن عباس رضي الله عنهمـا أن امـرأة جـاءت بابن لها إلى رسول اللهﷺ فقالت : يا رسـول الله ، إن ابنـي به جنون ، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا . فمسح رسول اللهﷺ صدره ودعـا ، فثـعّ ثعـة [1] ، فخـرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي [2] .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إنهﷺ ما مسـح بيـده الشريـفة عـلى مـريض إلا عُـوفي بفضـل الله ، ولا على من علق به داء إلا خلّصه الله تبـارك وتعـالى منـه ، وذلـك من معجزاتهﷺ .

---

(١) أي قاء قيأة .

(٢) رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والدارمي .

فقد روي عن شرحبيل الجعفي قال : « أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة فقلت : يا رسول الله ، هذه السلعة قد آذتني ، تحول بيني وبين قائمة السيف أن أقبض عليه ، وعن عنان الدابة . فقال رسول الله ﷺ : ادنُ مني ، فدنوت منه فقال : افتح يدك ، ففتحتها ثم قال : اقبضها ، فقبضتها . ثم قال : ادن مني ، فدنوت منه فقال : افتحها ، ففتحتها . فنفث في كفي ثم وضع يده على السلعة ، فما زال يطحنها بكفه حتى رفع عنها وما أرى أثرها » [1] .

وكذلك ما روي عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : « أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد، فأتى النبيَّ ﷺ وهي في يده ، فقال ﷺ : ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله . قال : إن شئتَ صبرتَ ولك الجنة ، وإن شئتَ رددتُها ودعوتُ الله لك فلم تفتقد منها شيئاً . فقال : والله يا رسول الله إن الجنة لجَزاء جزيل وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن : أعور فلا يردنني ، ولكن تردها لي وتسأل الله لي الجنة . فقال : أفعل يا قتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ بيده فأعادها إلى موضعها فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا اللهَ له بالجنة » [2].

وكذلك ما روي عن محمد بن حاطب عن أمه أم جليل بنت المجلل قالت له : «أقبلتُ بك من أرض الحبشة ، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلة أو ليلتين طبختُ لك طبخة ، ففني الحطب

(١) رواه الطبراني في الكبير ، وذكره البغوي وابن حجر .

(٢) ذكره أبو الفرج في صفوة الصفوة ج١ ص٤٦٣ ، ورواه آخرون بألفاظ عدة .

فخرجتُ أطلبه ، فتناولتَ القدر فانكفأت على ذراعك ، فأتيتُ بك النبيﷺ فقلت : يا رسول الله ، هذا محمد بن حاطب ، وهو أول مَن سُمِّيَ بك . قالت : فتفل رسول اللهﷺ في فيك ، ومسح على رأسك ، ودعا لك وقال : أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . قالت : فما قمتُ بك من عنده إلا وقد برئت يدك)) [1] .

ثم قال المصنف :

وَأَحْيَـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ
حَتَّى حَكَتْ غُـرَّةً فِي الأَعْصُـرِ الـدُّهُمِ

****

(١) أخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحه ، ورواه أحمد والطبراني والنسائي بلفظ آخر .

٨٦- وَأَحْيَـتِ السَّنَـةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ
حَتَّـى حَكَـتْ غُـرَّةً فِي الأَعْصُـرِ الـدُّهُمِ

الإعراب الموجز

(**وَأَحْيَتِ**) : معطوف على (أَبْـرَأَتْ) في البيت الذي قبله .

(**السَّنَـةَ**) بفتح السين والنون : مفعول (أَحْيَتِ) .

(**الشَّهْبَاءَ**) بفتح الشين والباء : نعت (السَّنَةَ) .

(**دَعْوَتُهُ**) : فاعل (أَحْيَتِ) .

(**حَتَّى**) : حرف ابتداء .

(**حَكَتْ**) بفتح الحاء والكاف : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (السَّنَةَ) .

(**غُرَّةً**) بضم الغين وفتح الراء : مفعول (حَكَتْ) .

(**فِي الأَعْصُرِ**) بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصاد : جار ومجرور متعلق بـ (حَكَتْ) .

(**الدُّهُمِ**) بضمتين : نعت (الأَعْصُرِ) .

تفسير الكلمات

(**وَأَحْيَتِ**) : بمعنى أخصبت .

(**السَّنَـةَ**) : واحدة السنين .

(**الشَّهْبَاءَ**) : المجدبة بسبب قلة المطر ، وسُمِّيَت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهباء ، وهي التي يغلب بياضها على سوادها ، وإنما أشبهتها لغلبة بياض الأرض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات .

(**دَعْوَتُــهُ**) : أي طلبـه السـقيا وتضرعه إلى الله تعـالى في أن يُحيـي تلك السنة بالمطر ، فاستجاب الله ﷻ دعاءه وأنزل المطر .

(**حَتَّى حَكَتْ**) : أي شابهت .

(**غُـرَّةً**) : الغرة تكـون في الجبهـة ، وهـي بيـاض فـوق الـدرهم . والأغر الأرض ، وغرة الشيء خياره وأحسنه .

(**فِي الأَعْصُرِ**) : جمع عصر ، وهو الزمان .

(**الدُّهُمِ**) : جمع أدهم ، وهو الأسود .

قــال تعــالى : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٤] ، أي ناعمتــان ســوداوتان لشـدة الخضــرة ؛ لأن الخضــرة إذا اشـتدت ضربت للسواد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

وكم مرة أحيت دعوته ﷺ السنة المجدبة حتى شـابهت تلـك السـنة بياضاً في الأزمنة السود ؛ لشدة خضرة الزرع فيهـا حتـى يُـرى أنـه أسود ، وهي السنون التي أحياها الله تعالى بدعوة نبيه ﷺ .

وكمـا هو ملاحظ فإن في هذا البيت المجاز في استعمــال الحيـاة للنبات .

ولقد أشار المصنف هنا إلى الحـديث الصـحيح الـذي روي عـن شريك بن عبـدالله بـن أبي العـز عـن أنـس رضي الله عنه : « أن رجـلاً دخـل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قـائم يخطب ، فاستقبل رسـولَ الله ﷺ قائمــاً ثـم قـال : يـا رسـول الله ،

هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يُغثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزْعَة [1] ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسّطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادعُ الله يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام ، والظراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر . قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : سألتُ أنس بن مالك : أهو الرجل الأول ؟ قال : ما أدري)) [2] .

ثم قال المصنف :

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ البِطَاحَ بِهَا
سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ



(١) أي قطعة سحاب .

(٢) رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم ، والنسائي ، وابن حبان ، والبيهقي .

٨٧- بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْـتُ البِطَـاحَ بِهَـا
سَــيْبٌ مِــنَ الــيَمِّ أَوْ سَــيْلٌ مِــنَ العَــرِمِ

الإعراب الموجز

(**بِعَارِضٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَكَتْ) من البيت السابق .

(**جَادَ**) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (عَارِضٍ) . والجملة نعت (عَارِضٍ) .

(**أَوْ**) : حرف عطف وغاية .

(**خِلْتُ**) بكسر الخاء : فعل وفاعل .

(**البِطَاحَ**) : مفعول أول .

(**بِهَا**) : جار ومجرور خبر مقدم .

(**سَيْبٌ**) : مبتدأ مؤخر .

والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب مفعول ثان لـ (خِلْتُ) .

(**مِنَ اليَمِّ**) بفتح الياء وتشديد الميم : جار ومجرور نعت (سَيْبٌ) .

(**أَوْ سَيْلٌ**) بفتح السين : معطوف على (سَيْبٌ) .

(**مِنَ العَرِمِ**) بفتح العين وكسر الراء : جار ومجرور في موضع النعت لـ (سَيْلٌ) .

تفسير الكلمات

(**بِعَارِضٍ**) : أي بسحاب ، والمراد به هنا السحاب الذي أرسله الله تعالى بسبب دعوة النبي ﷺ .

(**جَادَ**) : أي جاد هذا العارض بالمطر الكثير .

(**خِلْتُ**) : ظننتُ .
(**البِطَاحَ**): جمع أبطح ، وهو الوادي المتسع الذي فيه دِقاق الحصى.
(**سَيْبٌ**) : الماء الجاري .
(**مِنَ اليَمِّ**) : من البحر .
(**العَرِمِ**) : الوادي .

وكما يلاحظ القارئ فإن في هذا البيت من المحسنات البديعية الجناس الناقص في قوله : (سَيْبٌ) و(سَيْلٌ) .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا ذكر أن هذا الإحياء للأرض إنما هو بسبب دعوته ﷺ بعارض أرسله الله تعالى فيها ، حتى جاد وكثر مطر هذا العارض إلى أن ظننتُ الوادي المتسع ماء جارياً من البحر ، أو سائلاً من الوادي .

فالمصنف هنا يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض : هل هو سيب من البحر، أو سيل من السد؟ والقارئ مخير بينهما ، فإما أن يشبهه بسيب البحر ، وإما أن يشبهه بسيل السد .

ثم قال رحمه الله :

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ



٨٨- دَعْنِـي وَوَصْـفِيَ آيـاتٍ لَـهُ ظَهَـرَتْ
ظُـهُــورَ نَــارِ القِــرَى لَــيْلاً عَــلَى عَلَــمِ

الإعراب الموجز

(دَعْنِـي) : فعل أمر وفاعل ومفعول به .

(وَوَصْفِيَ) : مفعول معه ، وهو مصدر مضاف إلى فاعله وهو ياء المتكلم .

(آيـَاتٍ) بمد الهمزة وكسر التاء : مفعول لـ (وَصْفِيَ) .

(لَـهُ) : جار ومجرور متعلق بنعت (آيـَاتٍ) .

(ظَهَرَتْ) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(ظُـهُورَ) : مفعول مطلق مبين للنوع .

(نَارِ) : مضاف إليه ، وهي أيضاً مضافة .

(القِـرَى) بكسر القاف وفتح الراء : مضاف إليه .

(لَيْلاً) : مفعول فيه .

(عَلَى عَلَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ (ظُهُورَ) .

تفسير الكلمات

(دَعْنِـي) : أي اتركني .

(وَوَصْـفِيَ) : الـواو بمعنـى مـع ، والمـراد بالوصـف هنـا نظـم الأوصاف في الكلام المخيَّـل الموزون .

(آيــَاتٍ) : المـراد بهـا المعجـزات البـاهرة بالكلمــات الظـاهرة والآيات القرآنية .

(**ظَـهَرَتْ**) : تبيّنت .
(**ظُـهُورَ**) : أي مثل ظهور .
(**نَارِ القِـرَى**) : أي الضيافة .

ونار القرى هي التي يوقدها العبيد بأمر من أسيادهم مـن العرب الذين اشتهروا بالكرم عـلى رؤوس الجبـال لـيلاً ؛ ليشاهدها الضيفان فيهتدوا بها إلى منازلهم .

(**عَلَى عَلَمِ**) : أي على جبل من الجبال المرتفعة التي يُهتدى بها .

المعنى الكلي

يقول المصنف للمعاند العاذل :

اتركني أصف آياتٍ ومعجزاتٍ لهﷺ ظهـرت واتضـحت وضـوحاً وظهوراً ، مثل ظهور نار القرى التي توقد في ليل مظلم عـلى مكـان مرتفع ليهتدي بها الغريب .

ثم قال :

فَالـــدُّرُّ يَـــزْدَادُ حُسْـــناً وَهـــوَ مُنْـــتَظِمٌ
وَلَـــيْسَ يَـــنْقُصُ قَـــدْراً غَـــيْرَ مُنْـــتَظِمِ



٨٩- فَالـدُّرُّ يَـزْدَادُ حُسْـناً وَهـوَ مُنْـتَظِمٌ
وَلَــيْسَ يَــنْقُصُ قَــدْراً غَــيْرَ مُنْــتَظِمِ

الإعراب الموجز

(**فَالدُّرُّ**) بضم الدال والراء : مبتدأ .

(**يَزْدَادُ**) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه .

(**حُسْناً**) بضم الحاء : مفعول به لـ (يَزْدَادُ) .

والجملة خبر المبتدأ ، والرابط بينهما الضمير المستتر في (يَزْدَادُ) .

(**وَهوَ مُنْتَظِمٌ**) : مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من فاعل (يَزْدَادُ) .

(**وَلَيْسَ**) : فعل ماض ناقص ، واسمه مستتر فيه جوازاً .

(**يَنْقُصُ**) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً .

(**قَدْراً**) : مفعول به . والجملة في موضع نصب خبر (لَيْسَ) .

(**غَيْرَ**) : حال من فاعل (يَنْقُصُ) .

(**مُنْتَظِمِ**) بضم الميم وكسر الظاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**فَالدُّرُّ**) : اللؤلؤ المعروف في لألأته .

(**يَزْدَادُ حُسْناً**) : يزداد بهاء وجمالاً .

(**وَهوَ**) : أي والحال أنه .

(**مُنْتَظِمٌ**) : أي مجتمع في سلك لترتيبه وتنزيله في منازله المتناسبة .

(**وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ**) : أي حال كونه غير منتظم ؛ لأن حسنه ذاتي له فلا يفارقه .

المعنى الكلي

إن المصنف رحمه الله تعالى قال :

إذا كانت آياته ﷺ ومعجزاته ظهرت ظهور نار القرى ليلاً على علم كما هو مبين في البيت السابق ، فما فائدة وصفك له بهذا النظم ؟ قال : فأجيب : وإنها وإن كانت آياته ومعجزاته ﷺ ظاهرة ظهوراً تاماً ، فإن ظهورها يزداد بذكرها كما أن حسنها يزداد بنظمها . وإن عدم نظمها لا ينقص من قدرها شيئاً ، فحُسنها ذاتي لها لا يفارقها سواء كان نثراً أو نظماً ، مع أن ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة يَنقص مع الإخبار بها منثورة ؛ حيث ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف . فاللؤلؤ يزداد حسناً والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة ، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم ؛ لأنه في الأصل حَسَن لذاته ، ولا يفارقه سواء كان منظوماً أو غير منظوم .

وخلاصة المعنى أن معجزات النبي ﷺ شُبِّهَت هنا باللؤلؤ الثمين البهي والجوهر النفيس في أطواق وأعناق الحسناوات ، فهو وإن كان في حالة كونه منثوراً غير بخس ولا مهين ، فهو في حالة كونه منظوماً في عقد جيد الحِسان أحسن صورة وأبهى سمة في المنظر والعيان .

ثم قال المصنف :

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَدِيحِ إِلَى
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ



٩٠- فَمَــا تَطَــاوُلُ آمَــالِ المَــدِيحِ إِلَى
مَــا فِيــهِ مِــنْ كَــرَمِ الأَخْــلاَقِ وَالشِّــيَمِ

الإعراب الموجز

لنا في الشطر الأول من هذا البيت ثلاثة أوجه للإعراب :

الأول :

(**مَا**) : نافية .

(**تَطَاوَلَ**) : فعل ماض .

(**آمَالِي**) بمد الهمزة : فاعل .

(**المَدِيحَ**) : منصوب بنزع الخافض .

ويكون المعنى على هذا : فلِمَ تَطَاوَلَ آمالي بالمديح الصادر مني لعلمي باليأس على ذلك والعجز عما هنالك .

الثاني :

(**مَا**) : للاستفهام الإنكاري وهي مبتدأ .

(**تَطَاوُلُ**) : مصدر مرفوع على أنه خبر (مَا) الاستفهامية .

(**آمَالِي**) : مضاف إليه .

(**المَدِيحَ**) : منصوب بنزع الخافض .

ويكون المعنى على هذا : فما فائدة تَطَاوُل آمالي بالمديح إلى تمام ما فيه ﷺ من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تتناهى .

الثالث :

فقد شرح القسطلاني (آمَالِ) بلا ياء ، وجعل (المَدِيحَ)

مجروراً لأنه مضاف إليه لكن على تقدير مضاف ، أي آمالِ صاحب المديحِ .

وهذا الذي اعتمدناه هنا في كتابة البيت .

(**إِلَى مَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَطَاوُلُ) .

(**فِيـهِ**) : جار ومجرور صلة (مَا) ، والضمير يعود للنبيﷺ .

(**مِنْ كَرَمِ**) : جار ومجرور بيان لـ (مَا) متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(**الأَخْلاَقِ**) بفتح الهمزة : مضاف إليه .

(**وَالشِّيَمِ**) بكسر الشين وفتح الياء : معطوف على (الأَخْلاَقِ) .

تفسير الكلمات

(**فَمَا تَطَاوُلُ**) : التطاول إلى الشيء طلب الوصول إليه ، وفي الأصل مد العنق .

(**آمَالِ**) : جمع أمل وهو الرجاء .

(**المَدِيحِ**) : أي صاحب المديح ، والمديح هو الثناء الحسن .

(**إِلَى**) : أي إلى استقصاء .

(**مَا فِيـهِ**) : الضمير يعود للنبيﷺ .

(**مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ**) : أي التي جبله الله عليها . والأخلاق جمع خُلُق بضمتين ، وهو ما جُبل عليه الشخص .

(**وَالشِّيَمِ**) : جمع شيمة ، وهي الغريزة والطبيعة .

والمعنى وكرم الشيم .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إذا كانت صفاته ﷺ لا يُدرَك لها ، فكيف تصل آمال المادحين إلى تمام ما فيه ﷺ من استقصاء مكارم الأخلاق والطباع التي جُبل عليها ؟!

ثم قال :

آيـاتُ حَـقٍّ مِـنَ الـرَّحْـمَنِ مُـحْدَثَـةٌ

قَدِيمَـةٌ صِـفَةُ الـمَوْصُـوفِ بِالقِـدَمِ



٩١- آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ

الإعراب الموجز

(**آيَاتُ حَقٍّ**) : مبتدأ ومضاف إليه .

(**مِنَ الرَّحْمَنِ**) : جار ومجرور خبر أول .

(**مُحْدَثَةٌ**) : خبر ثانٍ .

(**قَدِيمَةٌ**) : خبر ثالث .

وتمييزهما محذوف ، أي محدثةٌ إنزالاً وقديمةٌ معنىً .

(**صِفَةُ**) : خبر رابع .

ومَن منع تعداد الخبر قدّر لكل خبر ما عدا الأول مبتدأ محذوفاً .

(**المَوْصُوفِ**) : مضاف إليه .

(**بِالقِدَمِ**) بكسر القاف وفتح الدال : جار ومجرور متعلق بـ (المَوْصُوفِ) .

تفسير الكلمات

(**آيَاتُ**) : جمع آية من القرآن .

(**حَقٍّ**) : أي من معجزاتهﷺ آيات موصوفة بأنها حق .

(**مِنَ الرَّحْمَنِ**) : أي من عند الرحمن .

(**مُحْدَثَةٌ**) : أي إنزالها ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ [الشعراء : ٥] ، أي كتاب منزل .

(**قَدِيمَةٌ**) : أي قائمة بذاته تعالى ، والقِدَم ضد الحدوث .
(**صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ**) : هو اللهﷻ ؛ لأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

المعنى الكلي

يقول الناظم رحمه الله تعالى :

ومن معجزاتهﷺ آيات حق من عند الرحمن ، وهي القرآن الكريم .

والحاصل أن الألفاظ التي نقرؤها من كتاب الله لها دلالتان :

١- دلالة بالوضع : وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم ، فإنَّ المدلول بهذه الدلالة مساوٍ للمدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة .

٢- ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي : وهي التي اعتبرها الإمام السنوسي وغيره من المتقدمين ، فإن المدلول بهذه الدلالة هي الصفة القديمة .

فكل من المَسْلَكَيْن صحيح كما في الحواشي الكبرى .

ثم قال رحمه الله تعالى :

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ



٩٢- لَمْ تَقْـتَرِنْ بِزَمَـانٍ وَهـيَ تُـخْبِـرُنَـا
عَـنِ المَعَـادِ وَعَـنْ عَـادٍ وَعَـنْ إِرَمِ

الإعراب الموجز

(لَمْ) : حرف جزم .

(تَقْـتَرِنْ) : فعل مضارع مجزوم بـ (لَمْ) ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود إلى (آياتُ حَقٍّ) على تقدير حال محذوفة .

(بِزَمَانٍ) : جار ومجرور متعلق بـ (تَقْـتَرِنْ) ، والتقدير : لم تقترن الآيات حال كونها قديمة بزمان .

(وَهيَ تُـخْبِرُنَـا) : مبتدأ وخبره .

(عَنِ المَعَادِ)، (وَعَنْ عَادٍ)، (وَعَنْ إِرَمِ) بكسر الهمزة وفتح الراء: كلها جار ومجرور متعلقات بـ (تُخْبِرُنَـا) .

تفسير الكلمات

(لَمْ تَقْـتَرِنْ) : أي مدلولاتها ، والاقتران هو المصاحبة .

(بِزَمَانٍ) : أي لأنها قديمة من حيث معناها ، والزمان حادث ، والقديم لا يقترن بالحادث لأنه لو اقترن به لكان حادثاً .

(وَهيَ تُخْبِرُنَا) : أي الآيات ألفاظ دالة على مدلول قديم .

(عَنِ المَعَادِ): أي عن عود الخَلْق بعد انعدامهم ، وهو الرجوع إلى الله تعالى في الدار الآخرة بعد موتنا وانتقالنا من دار الدنيا .

(وَعَنْ عَادٍ) : أي وتخبرنا أيضاً عن قبيلة عاد التي بعث الله ﷻ إليها نبيه هوداً عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

وسُميت بعاد نسبة لاسم أب لها وهو عاد بن عوس بن

إرم بن سام بن نوح ، وكان كافراً يعبد القمر . يروى أنه عاش ألف سنة ومائتين ، وتزوج ألف امرأة ، وقبل أن يموت رأى من صلبه أربعة آلاف .

(**وَعَنْ إِرَمِ**) : أي وتخبرنا تلك الآيات أيضاً عن مدينة إِرَم التي بناها شداد بن عاد الذي كان قد وَلِيَ المُلك عن أبيه ، فسمع بذكر الجنة وما فيها ، فعزم أن يبني مثلها ، فبنى مدينة إرم في ثلاثمائة سنة ، وجعل قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها (١) من الزمرجد والياقوت ، وجعل فيها أنهاراً مطردة ، وأصنافاً من الشجر ، وبسط أرضها بتربة من المسك الخالص ، وجعل حصباءها من اللؤلؤ . وعند كمالها رحل إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً .

وقد أطنب المؤرخون كثيراً في شرح إرم وشرح صفاتها ، وهذا مختصر ذلك .

واعلم أن الإخبار عن المعاد قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم : ٢٧] .

والإخبار عن عاد قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف : ٦٥].

والإخبار عن إِرَم قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾ [الفجر].

(١) أي عمدانها .

ولقد كرّر المصنف (عَنْ) في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة ، فلا يحسن جمعها في واحد . ولأن لكلٍ أخباراً تخصه ، ولأن الأول زمان ، والثالث مكان ، والأوسط ذات . فتنبّه أيها القارئ لذلك .

المعنى الكلي

ذكر المصنف أن هذه الآيات البينات لم تختص بزمان دون زمان ، ولا بوقت دون وقت كسائر الكتب ، بل كانت في جميع الأزمنة الغابرة والأعصر الماضية .

وإن حكمها متحقق ثابت مع كل زمان مستقبل ، وهي منورة لقلوبنا بنور الإيمان ، مفيضة علينا معارف الحقائق والعرفان ، جالية أرواحنا بتجلّي اليقين والإيقان . تخبرنا عما وقع في الأزمنة الماضية ، وعما يقع في الأزمنة الآتية من أمر المعاد وأمارات الحشر يوم التناد . فقد أفادتنا علماً يتعلق به سعادة الدارين الدنيا والآخرة .

ثم قال رحمه الله تعالى :

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ



٩٣- دَامَـتْ لَـدَيْنَا فَفَاقَـتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ
مِـــنَ النَّبِيِّـــينَ إِذْ جَـــاءَتْ وَلَمْ تَـــدُمِ

الإعراب الموجز

(**دَامَتْ**) : فعل ماض والتاء للتأنيث ، وفاعله ضمير مستتر يعود على (آيَاتُ) .

(**لَدَيْنَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (دَامَتْ) .

(**فَفَاقَتْ**) : معطوف على (دَامَتْ) .

(**كُلَّ**) : مفعول (فَاقَتْ) .

(**مُعْجِزَةٍ**) : مضاف إليه .

(**مِنَ النَّبِيِّينَ**) : جار ومجرور نعت (مُعْجِزَةٍ) .

(**إِذْ**) بكسر الهمزة وسكون الذال : علة لـ (فَاقَتْ) ، ويجوز أن تكون حرفاً أو ظرفاً .

(**جَاءَتْ**): فعل ماض، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (كُلَّ مُعْجِزَةٍ).

(**وَلَمْ تَدُمِ**) : جملة فعلية حال من فاعل (جَاءَتْ) المستتر فيه .

تفسير الكلمات

(**دَامَتْ**) : بقيت واستمرت .

(**لَدَيْنَا**) : أي عندنا ، فتسبب ذلك أنها فاقت .

(**فَفَاقَتْ**) : غلبت .

(**كُلَّ مُعْجِزَةٍ**): أي كل معجزة صدرت من النبيين غير نبينا محمدﷺ.

والمعجزة مأخوذة من الإعجاز ؛ لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا بمثلها . وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، وهو دعوة النبوة أو الرسالة .

(**مِنَ النَّبِيِّنَ**) : أي مضت وسلفت من النبيين .
(**إِذْ جَاءَتْ**) : أي أتت منهم .
(**وَلَمْ تَـدُمِ**) : أي لم تبق ولم تستمر معجزاتهم ، بل انقضت بانقضاء أوقاتهم فلم يبق إلا خبرها .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن هذه الآيات التي وقع إليها الإعجاز باقية عندنا ، ففاقت بالشرف والدوام كل معجزة ظهرت على أيدي النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك .

فمعجزاتهم انقضت بانقضائهم ، وظهرت على أيديهم مرة واحدة في مدة حياتهم ، وذلك حين وقوع التحدي بها ثم لم تعد تظهر . أما القرآن الكريم صاحب الآيات الظاهرة والباهرة ، فإنه معجزة متكررة باقية إلى يوم القيامة ؛ وذلك لأنه لّما كان ﷺ خاتم النبيين ، جعل الله تبارك وتعالى معجزته مستمرة إلى يوم الدين .

وأما وجوه إعجازه فهي كونه آية باقية لا تعدم ولا تنتهي ما بقيت الدنيا ، فقد تكفّل الله تبارك وتعالى بحفظه وهو القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ثم قال الناظم :

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ



٩٤- مُحَـكَّمَـاتٌ فَمَـا تُبْقِـينَ مِـنْ شُـبَهٍ
لِـذِي شِـقَاقٍ وَمَـا تَبْغِـينَ مِـنْ حَكَـمِ

الإعراب الموجز

(**مُحَـكَّمَـاتٌ**) : صفة (آيَـاتُ حَقٍّ) في البيت الواحد والتسعين .

(**فَمَـا**) : حرف نفي .

(**تُـبْقِينَ**) بضم التاء وكسر القاف : فعل وفاعل ، والضـمير يعـود لـ(آيَاتُ) .

(**مِنْ**) : زائدة لا تتعلق بشيء .

(**شُبَـهٍ**) بضم الشين وفتح الباء : مفعول (تُـبْقِينَ) .

(**لِذِي**) بكسر اللام والذال : جار ومجرور متعلق بـ (شُبَـهٍ) .

(**شِقَاقٍ**) : مضاف إليه .

(**وَمَا**) : نافية .

(**تَبْغِينَ**) بفتح التاء وسكون الباء وكسر الغين: معطوف على (تُبْقِينَ).

(**مِنْ**) : زائدة لا تتعلق بشيء .

(**حَكَمِ**) بفتح الحاء والكاف : مفعول (تَبْغِينَ) .

تفسير الكلمات

(**مُحَـكَّمَـاتٌ**) : أي هـذه الآيـات المـذكورة محكمـات ألفاظهـا ، متقنات الـنظم في البلاغـة ونهايـة الوصـف مما لا يقـدر البشر على الإتيان بمثلها .

ويدل عـلى ذلـك قولـه تبـارك وتعـالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

(**فَمَـا تُـبْقِينَ**) : فمـا تتركن تلك الآيات المحكمـات .
(**مِنْ شُبَـهٍ**) : جمع شبهة ، وهي ما يُظَنُّ دليلاً وليست بدليل .
(**لِذِي شِقَاقٍ**) : أي لصاحب خلاف .
والمراد به هنا الكافر ؛ لأنه شـاقٌ للـدين ، إذ هـو في شـق والإسلام في شق آخر .
(**وَمَا تَبْغِينَ**) : أي ولا تطلبن .
(**مِنْ حَكَمِ**) : أي حاكم يحكم بها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :
إن هـذه الآيـات متقنـات الـنظم في البلاغـة والفصـاحة بحيـث لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ، وهذا دليل واضح على أنهـا مـن عند الله تبارك وتعالى ، كمـا قال جل جلاله في محكم كتابـه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣].

ومـع هـذا فإنهـا محفوظـة مـن التحريـف والتبـديل والتغيـير ، وستبقى ناصرة لأهل الحق ، ومزيلة لشـبه أهـل الضـلال والزيـغ والعناد ، فمـا تبقى بها شبهة لصاحب خلاف ، وما تطلب حاكمـاً يحكم على خلاف ما أتت به لظهور براهينها عليه .
قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١].

ثم قال المصنف :
مَـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إِلاَّ عَـادَ مِـنْ حَـرَبٍ
أَعْـدَى الأَعَـادِي إِلَيْهَـا مُلْقِـيَ السَّـلَمِ



٩٥- مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَـادَ مِـنْ حَـرَبٍ
أَعْـدَى الأَعَـادِي إِلَيْهَـا مُلْقِـيَ السَّـلَمِ

الإعراب الموجز

(**مَا**) : نافية .

(**حُورِبَتْ**) بضم الحاء وكسر الراء : فعل ماض مبني لما لم يُسَمَّ فاعله، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود إلى (آيَاتُ).

(**قَطُّ**) بفتح القاف وضم الطاء المشددة : ظرف زمان ماض متعلق بـ (حُورِبَتْ) .

(**إِلاَّ**) : حرف إيجاد .

(**عَادَ**) : فعل ماض .

(**مِنْ حَرَبٍ**) بفتح الحاء والراء : جار ومجرور متعلق بـ (عَادَ) ، و(مِنْ) تعليلية .

(**أَعْدَى**) بالقصر : فاعل (عَادَ) .

(**الأَعَادِي**) : مضاف إليه .

(**إِلَيْهَا**): جار ومجرور متعلق بـ(عَادَ)، والضمير يعود لـ(آيَاتُ).

(**مُلْقِيَ**) بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف: حال من فاعل (عَادَ).

(**السَّلَمِ**) بفتح السين واللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**مَا حُورِبَتْ**) : أي ما حارب النبيَّ ﷺ أحدٌ أو خاصمه في النبوة جحداً له وحاربه النبيُّ ﷺ بالقرآن إلا كان هو الغالب عليه الصلاة والسلام .

(**قَطُّ**) : ظرف بمعنى الزمن الماضي .

(**عَادَ**) : رجع .
(**مِنْ حَرَبٍ**) : المقصود به السلب ، مأخوذ من قولهم : حَرَبتُ الرجل حرباً أي سلبته . والمراد هنا الشدة .
(**أَعْدَى**) : أي أشد حرصاً على العداوة التي هي ضد الصداقة .
(**الأَعَادِي**): جمع أعداء ، وأعداء جمع عدو. إذاً فالأعادي جمع الجمع .
(**إِلَيْهَا**) : أي إلى الآيات .
(**مُلْقِيَ**) : اسم فاعل من الإلقاء ، والمقصود به الطرح .
(**السَّلَمِ**) : السلاح ، وهو كناية عن الصلح .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ما حارب أحدٌ النبيَّ ﷺ إلا كان عليه الصلاة والسلام هو الغالب ، ورجع أشد الأعادي عداوة إليها – أي الآيات – ملقي السلاح ، وسلّم للنبيﷺ إما بدخوله للإسلام ، وإما بتركه المحاربة لشدة بلاغة هذه الآيات .

وإسناد المحاربة إليها مجاز هنا ؛ لأن المحارب هو الذي أتى بها لا هي .

ثم قال :

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ



٩٦- رَدَّتْ بَلاَغَتُــهَا دَعْــوَى مُعَارِضِــهَا
رَدَّ الغَيُــورِ يَــدَ الجَــانِي عَــنِ الحُــرَمِ

الإعراب الموجز

(**رَدَّتْ بَلاَغَتُـهَا**) : فعل وفاعل ، والتاء للتأنيث .

(**دَعْوَى**) : مفعول به ، وهي مضاف .

(**مُعَارِضِهَا**) : مضاف إليه .

(**رَدَّ**) : مفعول مطلق تشبيهي ، أي رداً مثل رد .

(**الغَـيُورِ**) بفتح الغين وضم الياء : مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله .

(**يَدَ**) : مفعول لـ (رَدَّ) .

(**الجَانِي**) بالجيم والنون : مضاف إليه .

(**عَنِ الحُرَمِ**) بضم الحاء وفتح الراء: جار ومجرور متعلق بـ (رَدَّ) .

تفسير الكلمات

(**رَدَّتْ**) : بمعنى صرفت .

(**بَلاَغَتُها**) : أي بلاغة هذه الآيات .

والبلاغة في كلام العرب مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، والفصاحة هي خلو الكلام من الحشو والتعقيد والغرابة .

(**دَعْوَى مُعَارِضِهَا**) : على أن يأتي بمثلها .

(**رَدَّ الغَيُورِ**): أي رداً مثل رد الشخص الشديد الغيرة على النساء .

(**الجَانِـي**) : مأخوذ من الجناية ، يقال : جنى عليـه جنايـة أي فعـل به مكروهاً .

(**عَنِ الحُرَمِ**) : أي عن أهل وعرض الرجل .

المعنى الكلي

لمـا كانت آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة ، ووقـف الخلائـق أمامها عـاجزين عـن معارضـتها وعـن الإتيـان بمثلهـا ، صرفـت وأبطلـت فصـاحتها مـع مطابقتهـا لمقتضـيات الأحـوال دعـوى معارضها ردّ الغيور على النساء يد الجاني عن نسائه الحرم. فإن مِـن كونه غيوراً يقتضي أن لا يسامح في ترك الجنايـة لالتمـاس النسـاء وإن لم تكن من محارمه ، بل يرد أيدي الجناة عنهن بمقتضى طبعـه ، فكيف بِرَدِّهِ يد الجاني عن حُرَمِه ؟

وهنا أشار المصنف إلى مسيلمة الكـذاب حـين عـارض القـرآن لما ادعى النبـوة ، وأراد أن يتشـبّه بـالقرآن الكـريم فقـال معارضـاً سـورة النازعـات : (والطاحنـات طحنـاً ، والعاجنـات عجنـاً ، والخابزات خبزاً) . فافتُضح بذلك لا بارك الله فيه ، ولا بمن اتبعـه ومات على طريقه .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

لَـهَـــا مَعَـــانٍ كَمَـــوْجِ البَحْـــرِ فِي مَـــدَدٍ
وَفَـــوْقَ جَـــوْهَرِهِ فِي الـحُسْـــنِ وَالقِـــيَمِ



٩٧- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ وَالقِيَمِ

الإعراب الموجز

(**لَهَا**): جار ومجرور متعلق بخبر مقدم، والضمير يعود لـ(آيَاتُ).

(**مَعَانٍ**) : مبتدأ مؤخر .

(**كَمَوْجِ**) : جار ومجرور نعت لـ (مَعَانٍ) .

(**البَحْرِ**) : مضاف إليه .

(**فِي مَدَدٍ**) بفتحتين : جار ومجرور متعلق بالكاف لِمَا فيه من معنى التشبيه .

(**وَفَوْقَ**) : معطوف على نعت (مَعَانٍ) ، وهي مضاف .

(**جَوْهَرِهِ**) : مضاف إليه ، والضمير يعود لـ (البَحْرِ) .

(**فِي الحُسْنِ**) بضم الحاء وسكون السين : جار ومجرور متعلق بمحل الظرف .

(**وَالقِيَمِ**) بكسر القاف وفتح الياء : معطوف على (الحُسْنِ) .

تفسير الكلمات

(**لَهَا**) : أي لهذه الآيات والمعجزات .

(**مَعَانٍ**) : جمع معنىً ، وهو المراد من اللفظ .

(**كَمَوْجِ البَحْرِ**) : أي مثل موج البحر ، والموج هو المضطرب من الماء .

(**فِي مَدَدٍ**) : أي في كونه يمد بعضه بعضاً ، إذْ ما مِن موجة

إلا وبعدها موجة . والمراد بالمدد هنا الزيادة .

(**وَفَوْقَ**) : معطوف على قوله (كَمَوْجِ) .

(**جَوْهَرِهِ**) : المراد الدر المستخرج من البحر .

(**فِي الحُسْنِ**) : هو ضد القبح .

(**وَالقِيَمِ**) : جمع قيمة ، والمراد بها هنا القدر والشرف .

المعنى الكلي

أراد المصنف هنا أن يقول للآخرين بأن هذه الآيات المذكورة لها معان كثيرة لا نهاية لها ، فهي في كثرتها وإمداد بعضها بعضاً كموج البحر في مدد ، وفي حسنها البديع وما لها من القدر والشرف الرفيع فائقة حُسن جوهر البحر .

ثم بَيَّنَ أن مع كثرتها فإنها لا توصف بالملالة ، وعجائبها لا تعد ولا تحصى ، فقال :

فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ



٩٨- فَمَـــا تُعَـدُّ وَلاَ تُــحْصَى عَجَائِبُـــهَا
وَلاَ تُسَــــامُ عَـــلَى الإِكْثَــارِ بِالسَّــــأَمِ

الإعراب الموجز

(**فَمَـا**) : حرف نفي .

(**تُعَـدُّ**) بضم التاء وفتح العين : فعل مضارع مبني للمفعول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود على المتنازع منه وهو (عَجَائِبُهَا) .

(**وَلاَ تُحْـصَى**) : بالبناء للمفعول معطوف على (تُعَـدُّ) .

(**عَجَائِبُـهَا**) : نائب فاعل (تُحْـصَى) .

(**وَلاَ تُسَامُ**) بضم التاء وفتح السين : معطوف على (تُعَـدُّ) ، ونائب فاعله مستتر فيه يعود إلى (آيَـاتُ) .

(**عَلَى الإِكْثَارِ**) بكسر الهمزة : جار ومجرور .

(**بِالسَّأَمِ**) بفتح السين المشددة والهمزة المخففة : متعلق مع ما قبله بـ (تُسَامُ) .

تفسير الكلمات

(**فَمَـا تُعَـدُّ**) : أي من كثرتها .

(**وَلاَ تُـحْصَى**) : من غزارتها .

(**عَجَائِبُـهَا**) : أي معانيها العجيبة .

والعجائب جمع عجيبة ، وهي الشيء الذي لا نظير له .

(**وَلاَ تُسَامُ**) : أي لا توصف .

(**عَلَى الإِكْثَارِ**) : على هنا بمعنى مع ، أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له .

(**بِالسَّأَمِ**) : بالملل .

وهنا البيت مفرّع على البيت الذي قبله ، فالشطر الأول فيه مفرع على الشطر الأول ، والشطر الثاني على الشطر الثاني .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن هذه الآيات إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها ، وفوق جوهره في الحُسن والقدر والشرف ، ترتّب على ذلك أنها لا تُحصى معانيها العجيبة ، ولا تُعَدُّ لعدم تناهيها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها .

أما غيرها من الكلام ولو بلغ الغاية مما يليق به من الحُسن والبلاغة ، فإنه يوصف بالملل مع الإكثار منه وترديده ، بخلاف آيات القرآن الكريم ، فقارئها لا يملها ، وسامعها لا يمجها ، بل الإكباب على تلاوتها يزيدها حلاوة ، ويوجب لها محبة وطلاوة .

وكما ورد في الحديث الشريف أن النبيﷺ وصف القرآن فقال: « إنه لا يَخْلَقُ على كثرة الرد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تفنى عجائبه ، هو الفصل ليس بالهزل ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ منه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ... »[1] .

ثم قال صاحب التصنيف :

قَــرَّتْ بِهَــا عَــيْنُ قَارِيهَــا فَقُلْــتُ لَــهُ

لَقَــدْ ظَفِــرْتَ بِحَبْــلِ اللهِ فَاعْتَصِــمِ



(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء .

٩٩- قَـرَّتْ بِهَـا عَـيْنُ قَارِيهَـا فَقُلْـتُ لَـهُ
لَقَـــدْ ظَفِـــرْتَ بِحَبْـــلِ الله فَاعْتَصِـــمِ

الإعراب الموجز

(**قَـرَّتْ**) بفتح القاف وتشديد الراء : فعل ماض والتاء للتأنيث .

(**بِهَا**): جار ومجرور متعلق بـ(قَـرَّتْ)، والضمير يعود لـ(آيَاتُ).

(**عَيْنُ**) : فاعل (قَـرَّتْ) ، وهي مضاف .

(**قَارِيهَا**) : مضاف إليه .

(**فَقُلْتُ**) بضم التاء : فعل وفاعل .

(**لَـهُ**): جار ومجرور متعلق بـ(قُلْتُ) ، والضمير يعود لـ(قَارِيهَا).

(**لَقَدْ**) : حرف تحقيق .

(**ظَفِرْتَ**) بفتح التاء : فعل وفاعل ، والجملة جواب لقسم محذوف .

(**بِحَبْلِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (ظَفِرْتَ) .

(**الله**) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(**فَاعْتَصِمِ**) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

تفسير الكلمات

(**قَـرَّتْ**) : سكنت واطمأنت .

(**بِهَا**) : الضمير راجع للآيات .

(**عَيْنُ**) : بمعنى ذات .

(**قَارِيهَا**) : أي تاليها لحصول السرور له .

(**فَقُلْتُ لَـهُ**) : أي فلما قرّت عين قاريها لقراءة ألفاظها العذبة قلتُ له حينئذ ...

(**لَقَدْ**) : أي والله لقد .
(**ظَفِرْتَ**) : فزت أيها القارئ .
(**بِحَبْلِ الله**) : بسببٍ أوصلك أو يوصلك إلى الله .
(**فَاعْتَصِمِ**) : فاستمسك به .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :
إن هذا الآيات قرّت عين تاليها بسببها وأَنِسَت بقراءتها ، فقلتُ له : والله لقد فزتَ من الله تعالى بما يوصلك إلى دار كرامته ، فامتنِع ببركة قراءتك لها من عذاب الله ، أو امتنِع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة التي تؤدي إلى عقاب الله .
نسأل الله تعالى النجاة من النار ومسبباتها .

ثم قال رحمه الله :
إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى
أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ



١٠٠- إِنْ تَـتْلُـهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَـارِ لَظَـى
أَطْفَـأْتَ حَـرَّ لَظَـى مِـنْ وِرْدِهَـا الشَّـبِمِ

الإعراب الموجز

(**إِنْ**) : حرف شرط جازم .

(**تَـتْلُـهَا**) : فعل الشرط ، وهـو مجـزوم بــ (إِنْ) وعلامـة جزمـه حذف الواو .

(**خِيفَـةً**) بكسر الخاء : مفعول لأجله .

(**مِنْ حَرِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (خِيفَـةً) .

(**نَارِ**) : مضاف إليها ومضافة .

(**لَظَى**) : مضاف إليها .

(**أَطْفَأْتَ**) بفتح التاء: فعل ماض وفاعل، والجملة جواب الشرط.

(**حَرَّ**) : مفعول (أَطْفَـأْتَ) .

(**لَظَى**) : مضاف إليها ، وهي من إقامة الظاهر مكان المضمر .

(**مِنْ وِرْدِهَا**) بكسر الـواو وسـكون الـراء : جـار ومجـرور متعلـق بـ (أَطْفَـأْتَ) .

(**الشَّبِمِ**) بفتح الشين المشددة وكسر الباء : صفة (وِرْدِهَا) .

تفسير الكلمات

(**إِنْ تَـتْلُـهَا**) : إن تقرأها .

(**خِيفَـةً**) : أي خوفاً .

(**مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى**) : أي جهنم ، وهو اسم من أسمـاء النار .

(**أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى**) : أي أطفأتَ أنت حرها .
(**مِنْ وِرْدِهَا**) : أي من موردها ، وهو المحل الذي يرد منه الماء .
(**الشَّبِمِ**) : العذب البارد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

إنك إن تقرأها أيها القارئ خوفاً من عذاب جهنم ، أطفأتَ عنك بقراءتك حر جهنم من أجل وِردها البارد ، إذ الماء به حياة الأشباح ، والآيات بها حياة الأرواح .

واستعارة الوِرد للآيات ترشيحية ؛ لأن (الشَّبِمِ) مما يلائم المستعار منه . ووجه التشبيه أن الماء يطفئ ورودُه حرارةَ العطش ، وورود الآيات الكريمة يطفئ حرارة جهنم ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منها ومن مقدماتها .

ثم قال :

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمِ



١٠١ - كَأَنَّـــهَا الحَوْضُ تَبْـيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ
مِـــنَ العُصَـــاةِ وَقَـــدْ جَـــاءُوهُ كَـــالحُمَمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّـــهَا**) : حرف تشبيه ، والهاء اسمها وهو يعود لـ (آيَـاتُ) .
(**الحَوْضُ**) : خبرها .
(**تَبْيَضُّ الوُجُوهُ**) : فعل وفاعل ، والجملة حال من (الحَوْضُ) .
(**بِهِ**): جار ومجرور متعلق بـ(تَبْيَضُّ)، وهو رابط الحال بصاحبها.
(**مِنَ العُصَاةِ**) : جار ومجرور حال من (الوُجُوهُ) .
(**وَقَدْ**) : حرف تحقيق .
(**جَاءُوهُ**) : فعل وفاعل ومفعول به .
والجملة حال من (العُصَاةِ) ، والرابط الواو والهاء .
(**كَالحُمَمِ**) بضم الحاء وفتح الميم الأولى : جار ومجرور متعلق بموضع الحال من (جَاءُوهُ) ، فالجملة حال متداخلة .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّـــهَا**) : أي كأن الآيات المذكورة .
(**الحَوْضُ**) : أي الكوثر .
(**تَبْـيَضُّ الوُجُوهُ**) : أي الذوات ، من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل .
(**بِـهِ**) : أي الحوض .
(**مِنَ العُصَاةِ**) : جمع عاص ، وهو ضد المطيع .

والمراد هنا الذين يخرجون من النار بشفاعتهﷺ .

(**وَقَدْ جَاءُوهُ**) : أي والحال أنهم جاءوه .

فالواو هنا حالية ، والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض .

(**كَالْحُمَمِ**): أي حال كونهم كالحُمَم ، وهي جمع حُمّة بمعنى فحمة.

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كأن الآيات في تبييض وجوه القارئين لها كحوض الكوثر في تبييض وجوه العصاة إذا جاءوه كالفحم الأسود .

ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مُسْوَدَّ الوجه من المعاصي ، فيَبْيَض بشفاعتها . كما أن الحوض تَبْيَض به وجوه العصاة حين يُصَب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضاً كالقراطيس ثم يدخلون الجنة .

ثم قال المصنف :

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُقِمِ



١٠٢ - وَكَالصِّــرَاطِ وَكَالمِــيزَانِ مَعْدِلَـةً
فَالقِسْـطُ مِـنْ غَيْــرِهَا فِي النَّـاسِ لَمْ يُــقِمِ

الإعراب الموجز

(**وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ**) : كلمتان عُطِفتا على خبر (آيـاتُ حَـقٍّ) أول البيت الواحد والتسعين .

(**مَعْدِلَـةً**) : تمييز منصوب .

(**فَالقِسْطُ**) بكسر القاف : مبتدأ .

(**مِنْ غَيْـرِهَا**) ، (**فِي النَّاسِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (يُـقِمِ) .

(**لَمْ يُـقِمِ**) بضم الياء وكسر القاف : خبر (القِسْطُ) .

تفسير الكلمات

(**وَكَالصِّرَاطِ**) : أي وهذه الآيات كالصراط في الاستقامة ، وإنمـا حذف ذلك لدلالة المعنى عليها .

والمراد بالصراط الدين الحق الذي لا اعوجاج فيه .

أو الجسر الممـدود عـلى ظهـر جهـنم الـذي هـو أدق مـن الشعرة ، يسير الناس عليه إلى الجنة على قدر أعمـالهم .

فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيـه ، وهمـا متلازمـان فإنـه لا يسير على مـتن جهـنم سـيراً مستقيمــاً مـن غـير ميـل إلا منَ كان على طريق الاستقامة في الدنيا .

(**وَكَالمِـيزَانِ**) : أي وهذه الآيات المذكورة مثل الميزان الـذي تـوزن فيه أعمـال المكلفين .

وكمـا قيل : فإن الذي يزن الأعمال من الملائكة سيدنا جبريل عليه السلام .

(**مَعْدِلَـةً**) : بمعنى عدلاً ، أي كالميزان من جهة العدل .

ووجه التشبيه بين الآيات وبين كل من الصراط والميزان ، أن الآيـات في أحكامهـا وأخبارهـا كلهـا ذات عـدل واستقامة كاستقامة الطريق والميزان .

(**فَالقِسْطُ**) : أي العدل .

(**مِنْ غَيْـرِهَا**) : أي المأخوذ من غيرها وغـير مـا يُرجـع إليهـا مـن السنة ونحوها .

(**فِي النَّاسِ**) : المراد بهم هنا الخصـوص ، وإلا لـزم أنْ لا يكـون في أهل التوراة وغيرهم من أهـل الكتـب السمـاوية عـدل وهو باطل .

(**لَمْ يُـقِمِ**) : الإقامة هنا الدوام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن آيات القرآن العزيز هي آيات حق ، وهي مستقيمة كالصـراط ، وعادلة كالميزان عدلاً دائمـاً ، حيـث العـدل مـن غيرهـا لم يـدم في الناس بل يزول وينقطع على مَـرِّ الدهور .

ثم قال :

لاَ تَعْجَـبَنْ لِـحَسُـودٍ رَاحَ يُنْـكِرُهَـا
تَـجَـاهُلاً وَهْـوَ عَـيْنُ الـحَـاذِقِ الفَهِـمِ



١٠٣- **لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا**
تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

الإعراب الموجز

(**لاَ**) : حرف نفي .

(**تَعْجَبَنْ**) بسكون النون الخفيفة : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنت .

(**لِحَسُودٍ**) بكسر اللام : جار ومجرور متعلق بـ (تَعْجَبَنْ) .

(**رَاحَ**) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه تقديره هو ، والجملة نعت (حَسُودٍ) .

(**يُنْكِرُهَا**) : فعل مضارع ، والهاء مفعول به ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو .

والجملة حال من فاعل (رَاحَ) المستتر فيه .

(**تَجَاهُلاً**) : مفعول لأجله .

(**وَهْوَ**) بسكون الهاء : مبتدأ .

(**عَيْنُ**) : خبرها .

(**الحَاذِقِ**) بكسر الذال : مضاف إليه .

(**الفَهِمِ**) بفتح الفاء وكسر الهاء : نعت (الحَاذِقِ) .

وجملة المبتدأ والخبر حال من فاعل (يُنْكِرُ) المستتر فيه .

تفسير الكلمات

(**لاَ تَعْجَبَنْ**) : العُجْب انفعال النفس من أمر غريب .

(لَحِسُودٍ) : هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره سواء وصلت إليه أم لا .
(رَاحَ يُنْكِرُهَا) : ذهب يجحدها .
(تَجَاهُلاً) : أي أظهر الجهل من نفسه وتكلّفه لا حقيقةً .
(وَهْوَ عَيْنٌ) : أي وهو نفس .
(الحَاذِقِ) : الحاذق هو الماهر في صنعته ، فهو اسم فاعل مأخوذ من الحَذَقة ، وهي كمال الدراية في الصناعة .
(الفَهِمِ) : هو شدة الإدراك .

المعنى الكلي

قال المصنف :

لا تعجبن أيها المؤمن بهذه الآيات من حساد النبيﷺ ، وقد حملهم حسدهم على إنكارها تجاهلاً منهم . فالحال أنهم عالمون وليسوا بجهال ، وإنما فعلهم فعل الحاذق الكثير الفهم الذي لا يخفى عليه تمييز الحق من الباطل .

ثم قال :

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ



١٠٤ – **قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ**
وَيُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

الإعراب الموجز

(**قَدْ**) : حرف تحقيق .
(**تُنْكِرُ العَيْنُ**) : فعل وفاعل .
(**ضَوْءَ**) : مفعول به .
(**الشَّمْسِ**) : مضاف إليه .
(**مِنْ رَمَدٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُنْكِرُ) على أنه علة له .
(**وَيُنْكِرُ الفَمُّ**) بالتشديد : فعل وفاعل ، والجملة معطوفة على (تُنْكِرُ العَيْنُ) .
(**طَعْمَ**) : مفعول به .
(**المَاءِ**) : مضاف إليه .
(**مِنْ سَقَمِ**) بفتح السين والقاف : جار ومجرور متعلق بـ (يُنْكِرُ) على أنه علة له .

تفسير الكلمات

(**قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ**): أي العين الباصرة، والمقصود بها هنا صاحبها.
(**مِنْ رَمَدٍ**): أي من أجل الرمد القائم بها ، والرمد داء يصيب العين .
(**وَيُنْكِرُ الفَمُّ**) : أي صاحب الفم .
(**طَعْمَ المَاءِ**) : أي طعم الماء العذب .
(**مِنْ سَقَمِ**) : من أجل المرض القائم به .

فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل ، وكلامه على حذف مضاف منهما ، والتقدير : قد ينكر ذو العين ضوء الشمس من رمد ، وقد ينكر ذو الفم طعم الماء من سقم ؛ لأن الـمُنْكِر في الحقيقة صاحب كل منهما .

المعنى الكلي

لقد أشار المصنف هنا أنه لمّا ادعى إنكار معجزاته ﷺ المذكورة ، أثبت ذلك بأمرين محسوسين :

الأول : إنكار العين ضوء الشمس من أجل المرض القائم بها .

والثاني : إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به .

وكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالـمُنْكِر .

فيقول رحمه الله تعالى في معنى هذا البيت :

قد تنكر العين ضوء الشمس من أجل ما قام بها من مانع رمد يمنع من النظر إليه ، فذلك الإنكار نفور من النظر إلى الضوء مع العلم بوجوده . وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم ، وليس هو إلا محض نفور من استعماله مع العلم بما هو عليه من حقيقة الطعم المحسوس في نفس الأمر .

ثم قال :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ



١٠٥- **يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ**
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

الإعراب الموجز

(**يَا**) : حرف نداء .

(**خَيْرَ مَنْ**) بفتح الخاء : منادى منصوب مضاف إلى (مَنْ) الموصولة .

(**يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ**) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة صلة (مَنْ) والرابط بينهما الهاء مِن (سَاحَتَهُ) .

(**سَعْياً**) : حال من (العَافُونَ) .

(**وَفَوْقَ**) : ظرف متعلق بحال محذوفة ، أي ركباناً فوق متون .

(**مُتُونِ**) بضم الميم والتاء : مضاف إليه ، وهي مضاف أيضاً .

(**الأَيْنُق**) : مضاف إليها .

(**الرُّسُمِ**) بضم الراء المشددة وضم السين : نعت (الأَيْنُق) .

تفسير الكلمات

(**يَا خَيْرَ مَنْ**) : خطاب للنبي ﷺ .

(**يَمَّمَ**) : قصد .

(**العَافُونَ**) : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(**سَاحَتَهُ**) : المراد بها هنا حريم الدار الواسع .

(**سَعْياً**): السعي هو المشي السريع ، أي بمعنى ساعين ومسرعين .

(**وَفَوْقَ مُتُونِ**) : المتون جمع متن ، وهو الظهر .

(**الأَيْنُق**) : جمع ناقة ، وهو مقلوب وأصله أنوق ، وجمعها أيانق .
(**الرُّسُمِ**) : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء عليها .

المعنى الكلي

لما مدح المصنف النبيﷺ بما مدحه به مخبراً عنه على سبيل الغيبة ، أقبل عليه بالخطاب فقال واصفاً النبيﷺ :
يا خير كريم قصد طلاب المعروف ساحته ؛ لتحقيق ما تعوّدوا منهﷺ من الظفر بالمطلوب حال كونهم ساعين سعياً ومُجِدِّين في المشي استعجالاً ، ومِن أمن الخيفة حال كونهم راكبين فوق ظهور النوق الشديدة الوطء لقوتها ، حتى أنها ترسم في الأرض بمشيها آثاراً ظاهرة . وكل ذلك لحصول البغية سريعاً ، وللرجوع إلى مضاربهم في أقرب وقت ممكن .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَمَــنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُــبْرَى لِـمُعْتَبِــرٍ
وَمَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِـمُغْـتَـنِـمِ



١٠٦- وَمَنْ هُوَ الآيـةُ الكُـبْرَى لِـمُعْتَبِـرٍ
وَمَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِـمُغْـتَنِـمِ

الإعراب الموجز

(**وَمَنْ**) بفتح الميم : اسم موصول معطوف على (مَـنْ) المجـرورة بإضافة (خَيْـرَ) إليها في البيت السابق .

(**هُوَ الآيَـةُ**) : مبتدأ وخبر صلة (مَنْ) .

(**الكُـبْرَى**) : نعت (الآيَـةُ) .

(**لِـمُعْتَبِرٍ**) بفتح التاء وكسر الباء: جار ومجرور متعلق بـ (الآيَةُ) .

(**وَمَنْ**) بفتح الميم : موصول اسمي معطوف على مثله .

(**هُوَ النِّعْمَةُ**) : مبتدأ وخبر صلة (مَنْ) .

(**العُظْمَى**) : نعت (النِّعْمَةُ) .

(**لِـمُغْـتَنِمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (النِّعْمَةُ) .

تفسير الكلمات

(**وَمَنْ هُوَ**) : أي ويا من هو ، فهو معطوف عـلى المنـادى في البيـت الذي قبله ، و(مَنْ) واقعة عليهﷺ كمـا هو ظاهر .

(**الآيَـةُ**) : العلامة .

(**الكُبْرَى**) : التي هي أكبر الآيات .

(**لِـمُعْتَبِـرٍ**): المراد به الذي يُصَيِّر فكره في معرفة الحق من الباطل.

(**وَمَنْ هُوَ**) : أي ويا من هو كمـا أسلفنا .

(**النِّعْمَةُ**) : هي واحدة النِّعم ، وهي شدة رغد العيش .

(**العُظْمَى**) : بمعنى الكبرى ، وهي تأنيث الأعظم .
(**لِمُغْتَنِمِ**) : مأخوذ من الغنيمة ، أي أيا من اغتنمتَ الشيء وأخذته غنيمة .

المعنى الكلي

يتابع المصنف وصف النبيﷺ فيقول :
ويا من هو الآية الكبرى لمعتبر يتفكّر ويَذَّكَّر ، فإنه مع توفيق الله تعالى يعلم بأول نظرة ينظرها أنهﷺ خير خلق الله ، وأن الله تبارك وتعالى بعثه رحمة إلى الخلائق . حيث الأرض كانت قبل بعثتهﷺ مغمورة بالضلال ، فلما جاء عليه الصلاة والسلام دلّ على الله وعرّف بوحدانيته ، وأتى بما لا يُنال بتعليمٍ واكتساب بل بتخصيصٍ من الوهاب .
وحقيقٌ لمن بلغ في الآية إلى هذه المنزلة الدالة على الله أن يكون نعمة عظمى لا أعظم منها ، كما قال : ويا مَن هو النعمة العظمى لمغتنمٍ لما عند الله تعالى من السعادة الأبدية ، ومن الخلود في جنات الله سبحانه وتعالى .

ثم قال رحمه الله :
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمِ
كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ



١٠٧- سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الإعراب الموجز

(**سَرَيْتَ**) بفتح التاء : فعل وفاعل .
(**مِنْ حَرَمٍ**) : جار ومجرور .
(**لَيْلاً**) ، (**إِلَى حَرَمٍ**) : متعلقان بـ (سَرَيْتَ) .
(**كَمَا**) : جار ومجرور ، و(مَا) مصدرية .
(**سَرَى البَدْرُ**) : فعل وفاعل ، والجملة صلة (مَا) .
(**فِي دَاجٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (سَرَى) .
(**مِنَ الظُّلَمِ**) بضم الظاء وفتح اللام : جار ومجرور متعلق بنعت (دَاجٍ) .

تفسير الكلمات

(**سَرَيْتَ**) : الخطاب لرسول الله ﷺ ، أي يا رسول الله .
(**مِنْ حَرَمٍ**) : أي من مكان محترم ، والمراد به المسجد الحرام .
(**لَيْلاً**) : دلت هذه على سرعة الإسراء وعلى تأكيده ، حيث الإسراء لا يكون إلا بالليل .
(**إِلَى حَرَمٍ**): المقصود به هنا حرم بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى.
(**كَمَا سَرَى البَدْرُ**) : أي مثل سير القمر ليلة كماله ، وهي ليلة الرابع عشرة .
ووجه التشبيه هنا أنه ﷺ نور مبين كالبدر، بل أتم وأعظم.

(فِي دَاجٍ) : الداجي اسم للّيل المظلم ، يقال : دجا الليل أي أظلم ، فهو داج أي مظلم .

(مِنَ الظُّـلَمِ) : أي من ذي الظُّـلَم الذي هو جمع ظُلْمة .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً النبيﷺ :

ومِن آياتك يا رسول الله الكبرى ومعجزاتك العظمى أنك سريت من حرم مكة في جزء قليل من الليل إلى حرم بيت المقدس ، وقطعت مسافة عظيمة في ليل مظلم كما سرى البدر الكامل التام النور في داج من الظُّـلَم .

وقد أشار المصنف بهذا البيت إلى قصة الإسراء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لنا بقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١].

والقصة مشهورة ومعلومة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، إنما أحببت هنا أن أذكر بأن الإسراء حصل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لأمور كثيرة وفوائد جمة ، منها الربط المقدس بين المسجدين الشريفين ، وليعلم المسلمون كذلك أن حرمة المسجد الأقصى كحرمة المسجد الحرام ، حيث هو قبلة المسلمين الأولى ، وقبلة الأنبياء من قبل نبيناﷺ .

وإنما خُصّ الإسراء بالليل دون النهار ؛ لأنه وقت تفريغ البال ، وقطع العلائق .

وقيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل ، فجُبِرَ بأن أُسْرِيَ فيه بسيدنا محمدﷺ . ولذلك قيل : افتخر النهار على الليل بالشمس ، فقيل : لا تفتخر ، فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك ، فسيُعْرَجُ بشمس الأرض في الليل إلى السماء .

وقيل : لأنهﷺ سراج كما وصفه الله تبارك وتعالى ، والسراج إنما يُوقَدُ في الليل .

وقيل : لأنه سُمي بِدارٌ في قوله تعالى : ﴿ طه ﴾ [طه : ١] ، فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة ، وذلك أربعة عشر ، فكأنه تعالى قال : يا بدر . وهذا يناسب قول الناظم : (كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ) .

ولله در القائل حيث قال :

قلتُ يا سيدي وَلِمَ تؤثر الليـ	ـلَ على بهجةِ النهارِ المنيرِ
قال لا أستطيع تغيير رسمي	هكذا الرسْمُ في طلوع البدورِ
إنما زرتُ في الظلام لِكَيْما	يُشْرِقُ الليل مِن أشعةِ نوري

ثم قال المصنف :

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَن نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ



١٠٨ - وَبِــتَّ تَرْقَــى إِلَى أَن نِلْــتَ مَنْزِلَــةً
مِــنْ قَــابِ قَوْسَــيْنِ لَمْ تُــدْرَكْ وَلَمْ تُــرَمِ

الإعراب الموجز

(**وَبِتَّ**) بكسر الباء وفتح التاء المشددة : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها .

(**تَـرْقَى**) بفتح التاء والقاف : خبرها .

(**إِلَى**) : حرف جر .

(**أَنْ**) بفتح الهمزة : موصول حرفي .

(**نِلْتَ**) بكسر النون وفتح التاء: فعل وفاعل صلة (أَنْ) المصدرية. و(أَنْ) وصلتها في تأويل مصدر مجرور بـ (إِلَى) .

(**مَنْزِلَـةً**) : مفعول به لـ (نِلْتَ) .

(**مِنْ قَابِ**) : جار ومجرور نعت (مَنْزِلَـةً) .

(**قَوْسَيْنِ**) بفتح السين : مضاف إليه .

(**لَمْ تُدْرَكْ**) : بالتاء وبالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود إلى (مَنْزِلَـةً) .

(**وَلَمْ تُـرَمِ**) بضم التاء وفتح الراء : معطوف على (لَمْ تُدْرَكْ) .

تفسير الكلمات

(**وَبِتَّ**) : أي يا محمد ليلة أُسري بك من مكة إلى بيت المقدس بعد وصولك إلى المسجد الأقصى .

(**تَـرْقَى**) : تصعد .

فقد نُصب له ﷺ معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من

ذهـب ، تعـرج عليـه أرواح المـؤمنين . فصـعد عليهـا إلى سمـاء الدنيا ، فاستفتح جبريل الباب فقيل : مَن بالباب؟ قال : جبريل ، قيل : ومَـن معـك ؟ قـال : محمـد ، قيـل : أوَ قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيـل : مرحبـاً بـه وأهـلاً ، ونِعْمَ المجيء جاء . فلمـا جـاوز السمـاء الأولى دُلِّيَـت المرقاة الثانية ، فصعد عليها إلى السمـاء الثانيـة ، وهكـذا إلى السمـاء السابعة ، ثم إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى مستوى سَمِعَ فيه صريـف الأقـلام ، ثـم دُلِّـيَ الرفـرف - وهـو سحابة خضراء - فصعد عليها إلى مـا شـاء الله سـبحانه ، وهو المكان الذي أعدّه الله للخطاب وفرض الصـلوات ، وإلا فالله تبارك وتعالى منزه عن المكان .

(إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَـةً) : غاية لِما قبلـه ، أي إلى أن أُعطيـت مرتبـة في القرب .

(مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ): هذه العبارة بيان للمنزلة، أي مقدار قاب قوسين.

والمـراد أن ذلـك غايـة القـرب مـن الحضـرة القدسـية ، والقرب المراد به هنا المعنوي لا الحسي .

(لَمْ تُدْرَكْ) : أي لم يدركها غيرك .

(وَلَمْ تُـرَمِ) : أي لم يرمها غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

وصرتَ يا محمد في ليلـة الإسراء ترقـى مـن درجـة إلى درجـة مـن

درجات الكمال ، وتقطع حجاباً بعد حجاب من حُجُب الكبرياء والجلال ، وتصعد من سماء إلى سماء من سماوات الله ﷻ ، حتى انتهيت إلى مقام تقصر عنه الهمم العوالي ، ويقف دونه أشراف الملائكة المقربين ومنهم الروح الأمين . وصرت من القرب في المقام القدسي بعد التجرد عن المنزل الإنسي إلى المرتبة اللاهوتية ، والحضرة الجبروتية ، والمنزلة الملكوتية كقاب قوسين أو أدنى . وهو ذلك المشرب الأصفى ، والمنزل الأسنى الذي لم يدانيه ﷺ فيه مَلَك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وهذا هو مقام فناء الفناء الذي اختُصّ به نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ



١٠٩ - وَقَــدَّمَتْكَ جَمِيــعُ الأَنْبِيَــاءِ بِهَــا
وَالرُّسْــلِ تَقْــدِيمَ مَخْــدُومٍ عَــلَى خَــدَمِ

الإعراب الموجز

(**وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ**) : فعل ومفعول به وفاعل ، معطوف على قوله (سَرَيْتَ) في البيت الذي قبل السابق .

(**الأَنْبِيَاءِ**) : مضاف إليها .

(**بِهَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (قَدَّمَتْكَ) ، والباء للظرفية ، والهاء للمنزلة .

(**وَالرُّسْلِ**) : معطوف على (الأَنْبِيَاءِ) من عطف الخاص على العام ، والمعطوف على المجرور مجرور .

ويجوز أن نقول : (وَالرُّسْلُ) عطف على (جَمِيعُ) .

ويجوز أن نقول كذلك: (وَالرُّسْلَ) عطف على المفعول معه.

(**تَقْدِيمَ**) : مفعول مطلق .

(**مَخْدُومٍ**) : مضاف إليه .

(**عَلَى خَدَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَقْدِيمَ) .

تفسير الكلمات

(**وَقَدَّمَتْكَ**) : يحتمل أن يكون التقديم في الرتبة والمكانة ، ويحتمل أن يكون في الحس .

(**جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ**) : أي جماعة .

(**بِهَا**) : الضمير يعود لتلك المنزلة ، أو إلى الليلة المفهومة من قوله : (لَيْلاً) .

(**وَالرُّسْلِ**) : أي وجميع الرسل .

(**تَقْدِيمَ**) : مصدر مشبه به ، أي تقديمـاً مثل تقديم .

(**مَـخْدُومٍ**) : هو الرئيس .

(**عَلَى خَدَمٍ**) : أي بتقديم المخدوم على الخادم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

وصيّرتك يا رسول الله جميع الأنبياء والرسل مقدماً بين يديها ، أو مقدماً في الرتبة والمكانة مثل تقديم مخدوم على خدم .

وإذا علمتَ ذلك أيها القارئ علمتَ أن المقدم في مرتبة المخدوم ، والمتأخر في مرتبة الخادم .

ثم قال :

وَأَنْتَ تَـخْتَـرِقُ السَّبْعَ الطِّبَـاقَ بِـهِمْ
فِي مَوْكِـبٍ كُنْـتَ فيـهِ صَـاحِبَ العَلَـمِ



١١٠- وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

الإعراب الموجز

(**وَأَنْتَ**) : مبتدأ .

(**تَخْتَرِقُ السَّبْعَ**) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة خبر المبتدأ .

(**الطِّبَاقَ**) بكسر الطاء : نعت (السَّبْعَ) .

(**بِهِمْ**) : جار ومجرور متعلق بحال محذوفة ، أي ماراً بهم .

(**فِي مَوْكِبٍ**) بفتح الميم وكسر الكاف : جار ومجرور متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(**كُنْتَ**) بفتح التاء : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمه .

(**فِيهِ**): جار ومجرور متعلق بكان ، والضمير يرجع لـ (مَوْكِبٍ) .

(**صَاحِبَ**) : خبر كان .

(**العَلَمِ**) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ**) : أي وقدّمتك جميع الأنبياء والرسل والحال أنك تخترق ، بمعنى تقطع السماوات .

(**السَّبْعَ الطِّبَاقَ**) : أي طبقة فوق طبقة ، وقد وصفها المصنف بالطباق أخذاً من قوله تعالى: ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك : ٣].

(**بِهِمْ**) : أي حال كونك ماراً بالذي لَقِيَك منهم .

ولقد ورد في حديث الإسراء كما في صحيح مسلم أنه ﷺ مرّ في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعيسى ويحيى ،

وفي الثالثة بيوسف ، وفي الرابعة بـإدريس ، وفي الخامسـة بهارون ، وفي السادسـة بموسـى ، وفي السـابعة بـإبراهيم صلوات الله تبارك وتعالى وسلامه عليهم أجمعين .

ومَن أراد نص الحديث كاملاً فليرجع إليه .

(**فِي مَوْكِـبٍ**) : أي في جمـع مـن الملائكـة الكـرام يحفّـون حولـك يا رسول الله .

(**كُنْتَ فيـهِ**) : أي في ذلك الموكب .

(**صَاحِبَ العَلَمِ**) : أي صاحب التحية والإكرام .

والعَلَم رمح في رأسه راية يحمله دائمـاً قائد الجيش .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

وقدّمتك جميع الأنبياء والرسل ، والحـال أنـك تقطـع السمــاوات السبع الطباق التـي بعضـها فـوق بعـض طبقـة بعـد أخـرى حـال كونك ماراً بالأنبياء الذين قدّموك .

والحال أيضاً أنك في موكب من الملائكة كنت فيـه مقـدّم القـوم وكبـيرهم ، وكيـف لا وكـان جبريـل في مقدمـة الموكـب يسـتفتح لرسول الله ﷺ في كل سمـاء ؟

ثم قال :

حَتَّـــى إِذَا لَمْ تَـــدَعْ شَـــأْواً لِـمُسْتَبِـــقٍ
مِـــنَ الدُّنُـــوِّ وَلاَ مَرْقــىً لِـمُسْتَنِـــمِ



١١١ - حَتَّـى إِذَا لَمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُسْـتَبِقٍ
مِـنَ الـدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقـىً لِمُسْـتَنِمِ

الإعراب الموجز

(**حَتَّى**) : حرف غاية .

(**إِذَا**) : ظرف زمان مجرد عن معنى الشرط .

(**لَمْ تَدَعْ**) : جازم ومجزوم .

(**شَأْواً**) بفتح الشين وسكون الهمزة : مفعول (تَدَعْ) .

(**لِـمُسْتَبِق**) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء ، و(**مِنَ الدُّنُوِّ**): جار ومجرور متعلقان بـ (تَدَعْ) .

(**وَلاَ مَرْقىً**) : معطوف على (شَأْواً) .

(**لِـمُسْتَنِمِ**) بضم الميم الأولى وسكون السين وكسر النون : جار ومجرور متعلق بـ (تَدَعْ) .

تفسير الكلمات

(**حَتَّى**) : غاية لقوله (وَأَنْتَ تَخْـتَرِقُ) .

(**لَمْ تَدَعْ**) : لم تترك .

(**شَأْواً**) : بمعنى غاية .

(**لِـمُسْتَبِق**) : لطالبِ سَبْق .

(**مِنَ الدُّنُـوِّ**) : بيان لـ (شَأْواً) ، أي من القرب .

(**وَلاَ مَرْقىً**) : المرقى محل الرقي ، وهو الدرجة .

(**لِـمُسْتَنِمِ**) : المستنم طالب الرفعة ، وهو الساعي ليرتفع .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إنه ﷺ لم يزل يصعد إلى مقام القرب ، فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ، ولم يترك درجة لطالب رفعةٍ .

وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب ، وهو المعبر عنه فيما تقدم بـ (**قَابِ قَوْسَيْنِ**) .

ثم قال رحمه الله :

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ العَلَمِ



١١٢ - خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ العَلَمِ

الإعراب الموجز

(خَفَضْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل .
(كُلَّ) : مفعول به .
(مَقَام) بفتح الميم : مضاف إليه .
(بِالإِضَافَةِ) : جار ومجرور متعلق بـ (خَفَضْتَ) .
(إِذْ) : ظرف للماضي متعلق بـ (خَفَضْتَ) .
(نُودِيتَ) بضم النون وكسر الدال وفتح التاء : فعل ماض مبني للمفعول ، ونائب الفاعل تاء المخاطب .
(بِالرَّفْعِ) : جار ومجرور متعلق بـ (نُودِيتَ) .
(مِثْلَ) : صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق .
(الـمُفْرَدِ) : مضاف إليه .
(العَلَمِ) بفتحتين : صفة (الـمُفْرَدِ) .

تفسير الكلمات

(خَفَضْتَ) : الخفض هو ضد الرفع ، والمراد هنا انحطاط الرتبة.
(كُلَّ مَقَام) : كل رتبة ومنزلة لغيرك .
(بِالإِضَافَةِ) : أي بالنسبة إلى مقامك يا رسول الله لا مطلقاً .
(إِذْ نُودِيتَ) : النداء هو طلب الإقبال .
(بِالرَّفْعِ): أي من قِبَل الله تبارك وتعالى إلى مقام (قَابِ قَوْسَيْنِ).

(**مِثْلَ الـمُفْرَدِ العَلَمِ**) : العَلَم هو المشهور العالي القدر .

أي حال كونك مماثلاً للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودي نداء مصحوباً برفع لفظه .

فكما أن المفرد العلم خُصَّ بكونه نودي نداء مصحوباً بالرفع من بين أقسام المنادى ، كذلك خُصَّ نبينا ﷺ بكونه نودي نداء مصحوباً بالرفع من بين سائر الأنبياء ، فإن ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه عليه الصلاة والسلام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

خفضتَ يا رسول الله كل مقام لغيرك بالنسبة إلى مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء مثل نداء المفرد العلم .

ثم قال :

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرِ
عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ



١١٣ - كَيْمَـا تَـفُوزَ بِوَصْـلٍ أَيِّ مُسْتَـتِـرٍ
عَــــنِ العُيُــــونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَـــــتَمِ

الإعراب الموجز

(كَيْمَـا) : (كَيْ) حرف جر وتعليل ، و(مَا) زائدة .
(تَفُوزَ) : فعل مضارع منصوب بأَنْ مقدرة بعد (كَيْ) .
(بِوَصْلٍ) : جار ومجرور متعلق بـ (تَفُوزَ) .
(أَيِّ) بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة : صفة لـ (وَصْلٍ) .
(مُسْتَـتِـرٍ) : مضاف إليه .
(عَنِ العُيُونِ) : جار ومجرور متعلق بـ (مُسْتَـتِـرٍ) .
(وَسِرٍّ) بكسر السين : معطوف على (وَصْلٍ) .
(أَيِّ) : نعت لـ (سِرٍّ) .
(مُكْتَـتَمِ) بضم الميم وفتح التاءين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(كَيْمَـا تَفُوزَ) : أي تظفر .
(بِوَصْلٍ) : الوصل ضد القطع .
(أَيِّ مُسْتَـتِـرٍ) : هو دال على معنى الكمال ، أي وصل كامل في الاستتار .
(عَنِ العُيُونِ) : جمع عين .
(وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَـتَمِ) : هو دال على معنى الكمال ، أي سر تام في الاكتتام عن الخلق .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

خفضتَ يا رسول الله كل مقام إذ نوديت بالرفع كيما تفوز وتظفر بوصل من الله تبارك وتعالى ، وهو المقام الذي رفعك الله إليه ، والمنزلة التي أَحَلَّك فيها وناداك إلى الصعود إليها ، وذلك الوصل مستتر عن العيون أيَّ استتار كما قال: (أَيِّ مُسْتَتِرٍ). وكي تفوز بسر من أسرار إلهك العظيم الذي أوحى إليك في ذلك المقام .

أما استتار ذلك الوصل عن أعين مَن عاصرهﷺ ؛ فلأنه إنما أُسري بهﷺ بالليل وقد نامت العيون وهدأت الأصوات . وأما استتاره عن أعين سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ؛ فلأنه مقام لا ينبغي لغيرهﷺ الوصول إليه .

ولعل هذا السر المكتتم لم يُبَيِّنْه ﷺ إذ لا يستطيع غيره أن يحمله ، وهو الوحيد الذي وصل إليه .

ولما كانت هذه الرتبة العظيمة لهﷺ قد بلغت الغاية القصوى في الجلال ، والنهاية العظمى في الكمال ، أردفها المصنف في قوله مخاطباً لهﷺ :

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ



١١٤- فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَـيْرَ مُشْـتَرَكٍ
وَجُــزْتَ كُــلَّ مَقَــامٍ غَــيْرَ مُــزْدَحَمِ

الإعراب الموجز

(**فَحُزْتَ**) بضم الحاء وسكون الزاي وفتح التاء : فعل وفاعل .
(**كُلَّ**) : مفعول به .
(**فَخَارٍ**) بفتح الخاء والراء : مضاف إليه .
(**غَيْرَ**) : نعت (كُلَّ) .
(**مُشْتَرَكٍ**) بضم الميم وسكون الشين وفتح الراء : مضاف إليه .
(**وَجُزْتَ**) بضم الجيم وسكون الزاي : فعل وفاعل .
(**كُلَّ**) : مفعول به .
(**مَقَامٍ**) بفتح الميم : مضاف إليه .
(**غَيْرَ**) : صفة (كُلَّ) .
(**مُزْدَحَمِ**) بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**فَحُزْتَ**) : من الحيازة بمعنى الجمع ، أي فسبب ما نلتَ من تلك الرتبة أنك جمعتَ كل فخار ...
(**كُلَّ فَخَارٍ**) : أي كل ما يُفتخر به من الفضائل .
(**غَيْرَ مُشْتَرَكٍ**) : المشترك هو المختص .
(**وَجُزْتَ**) : عبَرت .
(**كُلَّ مَقَامٍ**) : كل مكان ، ومنزلة ، ورتبة .

(**غَيْرَ مُزْدَحَمِ**) : بمفردك ، أي لم يشاركّ أحد بذلك ولم يزاحمك .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً النبيﷺ :

فحزتَ بسبب ما نلت من تلك المراتب كل فخار وتعظيم يليق بالمخلوق ، غير مشترك بينك وبين غيرك بل هو مختص بك . وقطعتَ يا رسول الله وتجاوزت كل مقام مزدحم فيه ، حيث لا يصل إلى المقام الذي وصلت إليه غيرك .

ثم قال :

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِن نِعَمِ



١١٥- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْراكُ مَا أُولِيتَ مِن نِعَمِ

الإعراب الموجز

(**وَجَلَّ**) بفتح الجيم : فعل ماض .

(**مِقْدَارُ**) : فاعل .

(**مَا**) : اسم موصول في محل جر بالإضافة .

(**وُلِّيتَ**) بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون الياء وفتح التاء: فعل ماض مبني للمفعول ، والتاء نائب الفاعل .
والجملة صلة (مَا) ، والعائد محذوف أي وُلِّيتَه .

(**مِنْ رُتَبٍ**) بضم الراء وفتح التاء : جار ومجرور بيان لـ (مَا) متعلق بـ (وُلِّيتَ) .

(**وَعَزَّ**) بفتح العين والزاي المشددة: فعل ماض معطوف على (جَلَّ).

(**إِدْرَاكُ**) بكسر الهمزة : فاعل (عَزَّ) .

(**مَا**) : اسم موصول في محل جر بالإضافة .

(**أُولِيتَ**) بضم الهمزة وسكون الواو وكسر اللام : فعل ماض مبني لما لم يُسَمَّ فاعله ، وهو صلة (مَا) والعائد بينهما محذوف ، أي أُولِيتَه .

(**مِن نِعَمِ**) بكسر النون وفتح العين : جار ومجرور بيان لـ (مَا) متعلق بـ (أُولِيتَ) .

تفسير الكلمات

(**وَجَلَّ**) : أي عظم ذلك فلا يحاط به .

(**مِقْدارُ**) : أي قدر .
(**مَا وُلِّيتَ**) : ما ولاّك الله .
(**مِنْ رُتَبٍ**) : جمع رتبة ، وهي الدرجة العالية .
(**وَعَزَّ**) : امتنع ذلك فلا يحصل لأحد غيرك .
(**إِدْرَاكُ**) : الإدراك هو الوجدان .
(**مَا أُوِلِيتَ**) : ما أولاك الله .
(**مِن نِعَمِ**) : جمع نعمة ، أي بمعنى مُنَعَّمٌ به .

وكما يلاحظ في البيت فإن الجناس واضح في قوله (وُلِّيتَ) و(أُوِلِيتَ) .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

فجمعتَ يا رسول الله كل فخر مستقر بك غير مشترك بينك وبين غيرك ، وعبرت كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك ، وعَظُمَ ما وُلِّيتَ من المناصب الشريفة ، وامتنع الوصول إلى كمال ما أُعطيتَ من الفضائل المنيفة . فأنت الأوحد الذي ليس له نظير ، والواحد الذي هو على سُدّة التوحيد وسرير التفريد سلطان وأمير .

وعنى المصنف بذلك بأنهﷺ اليتيمة العصماء .

ولما مدح المصنف النبيﷺ بما يتضمنه تفضيله على سائر الأنبياء ، ذكر كذلك بأن أمته مفضلة على سائر الأمم ، فقال :

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَنَا
مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ



١١٦- بُشْرَى لَـنَـا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَـنَـا
مِـــنَ العِنَايَــــةِ رُكْنـــاً غَـــيْرَ مُنْهَـــدِمِ

الإعراب الموجز

(**بُشْرَى**) : مبتدأ . وصفتها محذوفة ، أي بشرى عظيمة .

(**لَنـَا**) : خبره .

(**مَعْشَرَ**): منصوب على الاختصاص لفعل محذوف تقديره أخصُّ.

(**الإِسْلاَمِ**) : مضاف إليه .

(**إِنَّ**) بكسر الهمزة : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(**لَنـَا**) : خبر (إِنَّ) مقدم .

(**مِنَ العِنَايَــةِ**) : جار ومجرور حال من الضمير في (لَـنَـا) .

(**رُكْناً**) : اسم (إِنَّ) مؤخر .

(**غَيْرَ**) : نعت (رُكْناً) .

(**مُنْهَدِمِ**) : مضاف إليه .

وهذه الجملة تعليليـة عـلى أنَّ (إِنَّ) مكسـورة مسـتأنفة ، وإنْ فتحنا الهمزة (أَنَّ) فعلى تقدير لام الصلة .

تفسير الكلمات

(**بُشْرَى**) : مأخوذة من البشارة ، وهي الخبر السار .

(**مَعْشَرَ**) : المعشر هم الجمـاعة الذين يشملهم وصف واحد .

(**الإِسْلاَمَ**) : أي الذين اعتقدوا عقيدة الإسلام .

(**إِنَّ لَـنَـا**) : جميع المسلمين .

(**مِنَ العِنَايَــةِ**) : أي من أجل العناية بنا في الأزل .
(**رُكْناً**) : شريعة ، وركن الشيء ما يُعتمد عليه .
(**غَيْرَ مُنْـهَدِمِ**) : المقصود به أنه لا يتغير .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخبراً عن أمة سيدنا محمدﷺ باختصاصها بالبشرى على وجه يتضمن دخوله بهذا الوصف :
بشرى لنا معشر الإسلام باتباع النبيﷺ لِما أعد الله لنا معشر المسلمين من العناية في أن جعلنا سبحانه من أمة هذا النبي الكريم ، ركناً قوي الأساس والبنيان غير منهدم ، لا يُهان مَن لاذ به ، ولا يُضام من اعتصم به ، حيث الإسلام حصن حصين ، وعز مكين .
أحيانا الله على دينه ، وأماتنا متمسكين بما جاء به من القرآن ، والسنة ، والشرائع .

ثم قال رحمه الله تعالى :
لَـمَّــــا دَعَــــا اللهُ دَاعِينَــــا لِطَاعَتِــــهِ
بِــأَكْرَمِ الرُّسْــلِ كُنَّــا أَكْــرَمَ الأُمَــمِ



١١٧ - لَـمَّــا دَعَــا اللهُ دَاعِينَــا لِطَاعَتِــهِ
بِــأَكْرَمِ الرُّسْــلِ كُنَّــا أَكْــرَمَ الأُمَــمِ

الإعراب الموجز

(**لَـمَّـا**) بفتح اللام وتشديد الميم : حرف وجود لوجود .
وتعرب كذلك بأنها ظرف بمعنى حين .

(**دَعَا اللهُ**) : فعل وفاعل .

(**دَاعِينَا**) : مفعول بـه ، وسـكون اليـاء هنـا عـلى لغـة مَـن يعـرب المنقوص في الأحوال الثلاثة بحركات مقدرة .

(**لِطاَعَتِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (دَاعِينَا) .

(**بِأَكْرَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (دَعَا) .

(**الرُّسْلِ**) بسكون السين : مضاف إليه .

(**كُنَّا**) : كان واسمها .

(**أَكْرَمَ**) : خبرها ، وهي مضاف .

(**الأُمَمِ**) : مضاف إليها .

والجملة جواب (لَـمَّـا) .

تفسير الكلمات

(**لَـمَّـا دَعَا اللهُ**) : أي لما سمّى اللهُ .

(**دَاعِينَا**) : أي النبيﷺ .

(**لِطاعَتِهِ**) : أي لطاعته تبارك وتعالى ، والطاعة ضد المعصية .

(**بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ**) : بأفضل الرسل .

(كُنَّا) : معشر الأمة الإسلامية .

(أَكْرَمَ الأُمَمِ) : الأمم جمع أمة ، وهي الجماعة .

أي كنا أكرم الأمم السالفة قبل مجيء الإسلام ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، أي أنتم خير أمة .

وإنما كانت أمته ﷺ خير الأمم ؛ لأنه هو خير الرسل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لمّا سمّى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ الذي هو داعينا لطاعته جلّ وعلا بأكرم الرسل ، لَزِمَ من ذلك أنْ كنا معشر المسلمين أكرم الأمم عنده تبارك وتعالى ؛ لأن إكرام الرسل لا يَبعثُ إلا إلى إكرام الأمم.

فجميع من بُعث إليهم ﷺ خير الأمم ، فمؤمنهم خير المؤمنين ، وكافرهم خير الكافرين. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ولهذا ارتفع عن هذه الأمة ببركته ﷺ الخسف والمسخ ، والعذاب الشديد مما حلّ بالأمم السابقة .

ثم قال المصنف :

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ



١١٨- رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْـبَـاءُ بِعْثَتِـهِ
كَـنَبْـــأَةٍ أَجْفَلَـــتْ غُفْــلاً مِـــنَ الغَـــنَمِ

الإعراب الموجز

(**رَاعَتْ**) بفتح الراء والعين : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(**قُلُوبَ**) : مفعول به مقدم .

(**العِدَا**) بكسر العين وضمها : مضاف إليه .

(**أَنْـبَـاءُ**) بفتح الهمزة الأولى وسكون النون وفتح الباء : فاعل (رَاعَتْ) مؤخر .

(**بِعْثَـتِـهِ**) بكسر الباء وفتح الثاء : مضاف إليه .

(**كَـنَـبْـأَةٍ**) بفتح النون وسكون الباء وفتح الهمزة : جار ومجرور في موضع الحال من (أَنْـبَـاءُ) .

(**أَجْفَلَتْ**) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (نَـبْــأَةٍ) ، والجملة صفتها .

(**غُفْلاً**) بضم الغين وسكون الفاء : مفعول به لـ (أَجْفَلَتْ) .

(**مِنَ الغَـنَمِ**) : جار ومجرور نعت (غُفْلاً) ، و(مِنَ) هنا للبيان .

تفسير الكلمات

(**رَاعَتْ**) : خافت وأفزعت .

(**قُلُوبَ**) : أي أصحاب قلوب على تقدير مضاف .

(**العِدَا**) : جمع عدو ، والمراد به هنا الأعداء من الكفار .

(**أَنْـبَـاءُ بِعْثَـتِـهِ**) : أخبار رسالته ﷺ .

وإسناد (رَاعَتْ) إلى (أَنْـبَـاءُ) من المجاز العقـلي ؛ لأنـه من إسناد الفعل إلى سببه ، فإن خـالق الـروع في القلـوب هو الله ﷻ .

(كَـنَـبْـأَةٍ) : أي مثل نبأة ، والمقصود بها هنا صرخة الأسد .

(أَجْفَلَتْ) : أفزعت .

(غُفْلاً): جمع غافل، وهو البليد الذي لا يحس بالأمارات الواضحة.

(مِنَ الغَـنَمِ) : اسم جنس .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

لقد أَفْـزَعَتْ قلوبَ العدا وفَـرَّقَتْ شملهم أخبـارُ رسـالة النبـي ﷺ التي صدرت قبل بعثته من الكهان والمنجمـين وبعـدها ، لّمـا كـانوا يسمعون أن دينه سيظهر على كل دين ، وأنه يُذِلُّ كل جبار عنيد .

وهذه الأخبار التي روّعت قلوب العـدا والحـال أنهـم غـافلون عن دين الإسلام لكون دعوته ﷺ أتتهم على حـين غفلـة ، كصـوت الأسـد وَرَدَ عـلى غُفْـلٍ مِـنَ الغـنم لكونهـا مشـتغلة في طعامهـا وشهواتها ، فأجفلها ذلك الصوت وفرّقها .

ثم قال :

مَـــا زَالَ يَلْقَـــاهُمُ فِي كُـــلِّ مُعْـــتَرَك
حَتَّـى حَكَـوْا بِالقَنَـا لَـحْمـاً عَـلَى وَضَـمِ



١١٩ - مَـا زَالَ يَلْقَـاهُمُ فِي كُـلِّ مُعْـتَرَك
حَتَّى حَكَوْا بِالقَـنَـا لَـحْمـاً عَـلَى وَضَـمِ

الإعراب الموجز

(مَا) : حرف نفي .

(زَالَ) : فعل ماض ناقص ، واسمه مستتر فيه جوازاً يعود إلى النبيﷺ .

(يَلْقَاهُمُ) بضم الميم : فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، والجملة في موضع نصب خبر (زَالَ) ، وضمير الجمع للأعداء من الكفار .

(فِي كُلِّ) : جار ومجرور متعلق بـ (يَلْقَاهُمُ) .

(مُعْتَرَكٍ) بضم الميم وسكون العين وفتح التاء والراء: مضاف إليه.

(حَتَّى) : حرف ابتداء .

(حَكَوْا) بفتح الحاء والكاف : فعل ماض وفاعل ، والضمير للأعداء .

(بِالقَـنَا) بفتح القاف والنون : جار ومجرور متعلق بـ (حَكَوْا) .

(لَـحْمـاً) بفتح اللام وسكون الحاء : مفعول به لـ (حَكَوْا) .

(عَلَى وَضَمِ) بفتح الواو والضاد : جار ومجرور نعت (لَـحْمـاً) .

تفسير الكلمات

(مَا زَالَ) : أي لم ينفكﷺ عن كونه ...

(يَلْقَاهُمُ) : أي يلقى الأعداء تارة بنفسه ، وتارة أخرى بخيله ورَجْلِه .

(**فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ**) : في كل وقعة بينهﷺ وبينهم .

والمعترك محل الاعتراك ، أي الازدحام في الحرب .

(**حَتَّى حَكَوْا**) : حتى شابهوا .

(**بِالقَـنَـا**) : جمع قناة وهي الرمح .

والمراد أي بطعن القنا ، فهو على تقدير مضاف .

(**لَـحْمـاً عَلَى وَضَمِ**) : الوضم هو كل ما وُضع عليه اللحم من خشبة أو نحوها ليقيه الأرض .

والمراد أي وما زال النبي ﷺ يجاهد الكفار حتى تركهم قتلى مُعَدِّين لأكل السباع والطيور .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ما زال النبيﷺ يلقى الكفار ويطاعنهم إما بنفسه أو بخيله ورَجْلِه من بعوثه ، حتى حكوا من كثرة ما أوقع بهم من القتل والجراحة بالقنا طعناً ، وبالسيوف ضرباً ، وبالنبل رمياً ، لحماً مطروحاً على وضم .

ثم قال :

وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ
أَشْـلاَءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبَـانِ وَالـرَّخَمِ



١٢٠ – وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ
أَشْــلاَءَ شَــالَتْ مَــعَ العِقْبَــانِ وَالــرَّخَمِ

الإعراب الموجز

(**وَدُّوا**) بفتح الواو وضم الدال : فعل مـاض وفاعـل ، والضـمير يعود للأعداء .

(**الفِرَارَ**) بكسر الفاء : مفعول (وَدُّوا) .

(**فَـكَادُوا**) : فعل ماض ناقص ، والواو اسمها .

(**يَغْبِطُونَ**) بفتح الياء وسكون الغين وكسـر البـاء وضـم الطـاء : فعل مضارع مرفوع وفاعل ، والجملـة في موضـع نصـب خبر كاد .

(**بِـهِ**) : جار ومجرور متعلق بــ (يَغْبِطُـونَ) ، والضـمير يعـود لــ (الفِرَارَ) .

(**أَشْلاَءَ**) بهمزتين مفتوحتين بينهمـا شين وبغير تنوين للضـرورة: مفعول (يَغْبِطُونَ) .

(**شَـالَتْ**) : فعـل مـاض ، وفاعلـه مسـتتر يعـود إلى (أَشْـلاَءَ) . والجملة صفتها .

(**مَعَ**) بفتح العين : متعلق بـ (شَالَتْ) .

(**العِقْبَـانِ**) بكسر العين : مضاف إليها .

(**وَالرَّخَمِ**) بفتح الراء والخاء : معطوف على (العِقْبَانِ) .

تفسير الكلمات

(**وَدُّوا**) : تمنوا .

(**الفِرَارَ**) : الهرب من النبيﷺ لمـّا وقع فيهم القتل ، وكثـرت فـيهم الجراح .

(**فَـكَادُوا**) : بمعنى قربوا ، أي لتمنيهم الفرار .

(**يَغْبِطُونَ بِهِ**) : أي يغبطون ذلك الفرار .

والغبطة هي تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره.

(**أَشْلاَءَ**) : جمع شِلْو بكسر الشين وسكون اللام ، وهو العضو مـن اللحم .

(**شَالَتْ**) : ارتفعت في الجو .

(**مَعَ العِقْبَانِ**) : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .

(**وَالرَّخَمِ**) : جمع رخمة ، وهو طائر يشبه النسر يقع على الميتات .

وإنمـا خصّ المصنف هذين النوعين من الطـير لإبعادهمـا في الطيران والارتفاع .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن المشركين والكفار الـذين بـارزوا النبـيﷺ قـد اسـود في بيـاض أعينهم ضوء النهار ، وتمنوا من شدة الضر وغاية الاضـطرار حـين سُلبوا القرار أن يتيسر لهم الفرار ، وكادوا أن يغبطـوا أعضـاء قـتلى قد رفعها جارحة الطير فارتفعت بها من معارك القتال .

وفي هذا البيان يصور المصنف شدة رغبة الكفـار في الفـرار مـن المعركة على ألطف وجه وأحسنه ، فكأنهم كانوا يقولـون : يـا ليـت لنا من الارتفاع في الجو مـا لأعضـاء اللحـم التـي رفعتهـا العقبـان

والرخم ، فارتفعت معها إلى منازلها .

وإنما غبطوا أعضاء اللحم دون العقبان والرخم ؛ لِما حصل بينهم وبين تلك الأعضاء من المشابهة من طعن القنا وغيره ، فحالتهم كحالة تلك الأعضاء لا حركة لها إلا أن يحملها غيرها .

والحاصل أنهم اختاروا تلك الحالة على الحال التي هم فيها ، ورغبوا في الفرار ولو على هذه الصورة التي لا يختارها إلا مَن اشتد به كثير البلاء .

ثم قال المصنف :

تَـمْضِـي اللَّـيَـالِي وَلاَ يَـدْرُونَ عِدَّتَـهَا
مَا لَـمْ تَـكُنْ مِـنْ لَيَـالِي الأَشْـهُرِ الـحُـرُمِ



١٢١- تَـمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَــهَا
مَـا لَمْ تَــكُنْ مِـنْ لَيَـالِي الأَشْـهُرِ الـحُــرُمِ

الإعراب الموجز

(**تَمْضِي اللَّيَالِي**) : فعل وفاعل ، والمعطوف محذوف أي والأيام .
(**وَلاَ**) : حرف نفي .
(**يَدْرُونَ**) : فعل مضارع وفاعل .
(**عِدَّتَهَا**) بكسر العين : مفعول به لـ (يَدْرُونَ) .
(**مَا**) : ظرفية مصدرية .
(**لَمْ تَـكُنْ**): صلة (مَا)، واسم (تَكُنْ) مستتر فيها يعود إلى (اللَّيَالِي).
(**مِنْ لَيَـالِي**) : جار ومجرور متعلق بخبر (تَـكُنْ) .
(**الأَشْهُرِ**) : مضاف إليها .
(**الـحُرُمِ**) بضم الحاء والراء : صفة (الأَشْهُرِ) .

تفسير الكلمات

(**تَمْضِي**) : تمر عليهم .
(**اللَّيالِي**) : جمع ليلة ، والمراد الليالي والأيام على حد قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، أي والبرد .
وإنمـا خصّ المصنف الليالي بالذكر ؛ لأن مقاسـاة الهمـوم فيها تكون أشد .
(**وَلاَ يَدْرُونَ**) : ولا يعلمون .
(**عِدَّتَهَا**) : عددها .
(**مَا لَمْ تَـكُنْ**) : أي تلك الليالي .

(**مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الـحُرُمِ**) : الـحُرُم جمع حرام ، والأشـهر الحـرم أربعة : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الكفار من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع ، وخامر بـواطنهم من الهلع ، تمضي الليالي عليهم وكذا تمضي أيامها ولا يدرون عـدتها لِـا هم فيه من الكـرب مـا لم تكـن تلـك الليـالي بأيامهـا مـن ليـالي الأشهر الحرم ، فإنهم يعلمون ما مضـى منهـا ، ويـأمنون فيهـا مـن طلب المـؤمنين إيـاهم . فكـأنهم يسـتفيقون مـن سـكرة الخـوف ، وترجع إليهم عقولهم ، ويعود إليهم تمييزهم ، فحينئذ يتفطّنـون لِـا مضى من الليالي ويدرون عدتها .

وهذا كان قبل إباحة القتال في الأشهر الحرم عنـد رأي مَـن رأى أنه أُبيح فيها القتـال أخـذاً بقـول الله تبـارك وتعـالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ٥].

ثم قال المصنف :

كَأَنَّمَـــا الـدِّينُ ضَـيْفٌ حَـلَّ سَـاحَتَهُمْ
بِكُـــلِّ قَـــرْمٍ إِلَى لَـحْـــمِ العِـــدَا قَـــرِمِ



١٢٢- كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّمَا**) : حرف تشبيه .

(**الدِّينُ**) بكسر الدال : مبتدأ .

(**ضَيْفٌ**) : خبره .

(**حَلَّ**) بفتح الحاء : فعل ماض ، وفاعله مستتر وجوباً يعود على (ضَيْفٌ) .

(**سَاحَتَهُمْ**) : مفعول فيه بـ (حَلَّ) ، والجملة صفة (ضَيْفٌ) .

(**بِكُلِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَلَّ) .

(**قَرْمٍ**) بفتح القاف وسكون الراء : مضاف إليه .

(**إِلَى لَحْمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (قَرِمِ) في آخر البيت .

(**العِدَا**) بكسر العين : مضاف إليهم .

(**قَرِمِ**) بفتح القاف وكسر الراء : صفة (قَرْمٍ) المتقدم .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّمَا الدِّينُ**) : المراد دين الإسلام .

(**ضَيْفٌ حَلَّ**) : أي نزل .

(**سَاحَتَهُمْ**) : مكانهم الذي هم فيه .

(**بِكُلِّ قَرْمٍ**) : أي مع كل شجاع .

(**إِلَى لَحْمِ العِدَا**) : المقصود الكفار .

(قَرِمِ) : شديد الحرص على قتل أعداء الله وأعـداء الـدين وتمزيـق لحومهم ، حتى يُصَيِّـرَهم لحوماً معدة لأكل الجوارح .

والغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل في الكفار .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

كأنمـا دين الإسلام ضيف حل في ساحة أهـل الإسـلام الملتـزمين به ، فنزل على أهل الساحة مع كل سيد من الصحابة إلى لحم العـدا للإسلام شديد الشهوة .

وبلا شك أن الكرام يسعون في تحصيل شهوة الضيف ولو ببـذل مهجهم ، فكأنهم من شـدة مـا حـلّ بهـم مـن القتـل إبـلٌ نُحـرت وقُطِّـعَت قطعاً لتطبخ للضيفان الذين اشتهوا لحمـاً .

وهذا الضيف الذي وقع التشبيه بـه سـيد مـن السـادات ؛ ولـذا نزل على سادة أمثاله .

ثم قال رحمه الله تعالى :

يَـجُـــرُّ بَحْــرَ خَمِــيسٍ فَــوْقَ سَــابِحَةٍ
يَـرْمِــي بِمَــوْجٍ مِــنَ الأَبْـطَــالِ مُلْـتَطِمِ



١٢٣ - يَـجُـرُّ بَحْرَ خَمِـيسٍ فَـوْقَ سَـابِحَةٍ
يَرْمِــي بِمَــوْجٍ مِــنَ الأَبْطَــالِ مُلْــتَطِمِ

الإعراب الموجز

(**يَـجُـرُّ**) بضم الجيم : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (ضَيْفٌ) في البيت السابق .

(**بَحْرَ**) بسكون الحاء : مفعول به .

(**خَمِيسٍ**) بفتح الخاء : مضاف إليه .

(**فَوْقَ**) : ظرف زمان منصوب بـ (يَـجُـرُّ) .

(**سَابِحَةٍ**) : مضاف إليها ، والمنعوت بها محذوف وتقديره : خيلٍ سابحةٍ .

(**يَرْمِي**) بفتح الياء : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (بَحْرَ) .

(**بِمَوْجٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَـرْمِي) .

(**مِنَ الأَبْطَالِ**) : جار ومجرور نعت (مَوْجٍ) .

(**مُلْتَطِمِ**) بضم الميم الأولى وكسر الطاء : نعت ثان لـ (مَوْجٍ) .

تفسير الكلمات

(**يَـجُـرُّ**) : أي يستتبع هذا الشجاع . فقد شبّه الاستتباع بالجر ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتُقَّ منه .

(**بَحْرَ**) : كناية عن الكثرة .

(**خَمِيسٍ**) : هو الجيش ، وسُمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة ، كما قال فيروز أبادي في القاموس المحيط .

(**فَوْقَ**) : أي كائن فوق خيل .

(**سَابِحَةٍ**) : يقال : خيل سابحة ، إذا مدت يدها للجري . مأخوذ من السباحة ، وهو العوم في الماء .

والمراد هنا أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر.

(**يَرْمِي**) : أي ذلك البحر .

(**بِمَوْجٍ**) : المراد بالموج الأفعال المتواصلة للكفار بآلات الحرب للقتال ، من طعن وقتل وغير ذلك .

(**مِنَ الأَبْطَالِ**) : جمع بطل ، وهو الشجاع .

(**مُلْتَطِمِ**) : أي يدخل بعضه على بعض لكثرته .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

مِنْ شأن مَن هو مثل هذا السيد أنه يجر بحر خميس ، أي يستتبع جيشاً كثيراً كالبحر في كثرته وتموجه ، وإهلاكه الكفار . وهذا السيد لكونه قائد هذا الجيش يُشبه مَن يجر بحر خميس برسن ، ويرمي ذلك الجيش الذي هو فوق خيل سابحة بموج من الأبطال ملتطم بعضه ببعض لهيجانه .

ثم قال :

مِـنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ لله مُـحْتَسِـبٍ

يَسْـطُو بِمُسْتَـأْصِلٍ لِلْكُفْـرِ مُصْـطَلِمِ



١٢٤- مِـــنْ كُـــلِّ مُنْتَـــدِبٍ لله مُحْتَسِـــبٍ
يَسْـــطُو بِمُسْتَأْصِـــلٍ لِلْكُفْـــرِ مُصْـــطَلِمِ

الإعراب الموجز

(**مِنْ كُلِّ**) : جار ومجرور بدل (مِـنَ الأَبْطَـالِ) في البيـت السـابق بإعادة (مِنْ) .

(**مُنْتَدِبٍ**) بضم الميم وسكون النون وفتح التاء : مضاف إليه .

(**لله**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُنْتَدِبٍ) .

(**مُحْتَسِبٍ**) بضم الميم وسكون الحاء وكسر السين: نعت (مُنْتَدِبٍ).

(**يَسْطُو**) بفتح الياء وسكون السين وضم الطـاء : فعـل مضـارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى (مُنْتَدِبٍ) .

(**بِمُسْتَأْصِلٍ**) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء وسكون الهمزة : جار ومجرور متعلق بـ (يَسْطُو) على تقدير مضاف بين الجار والمجرور ، أي بسيف مستأصل .

(**لِلْكُفْرِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُسْتَأْصِلٍ) على تقدير مضـاف بين الجار والمجرور ، أي لأصل الكفر .

(**مُصْطَلِمِ**) بضم الميم الأولى وسكون الصاد : صفة (مُنْتَدِبٍ) .

تفسير الكلمات

(**مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ**) : من كل مجيب . يقـال : ندبـه لكـذا فانتـدب ، أي دعاه فأجابه .

(**لله**) : أي لدعاء الله ورسوله إلى قتال الكفار .

(**مُحْـتَسِبٍ**) : مدخر ثواب عمله وجميع ما يناله من مـوت أو دونـه عند الله ﷻ .

(**يَسْطُو**) : أي يصول ذلك المنتدب .

(**بِمُسْتَـأْصِلٍ لِلْكُفْرِ**) : بسيف قاطع قالع لأصل الكفر .

(**مُصْطَلِمِ**) : مهلك لأهل الكفر .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

مِن كلِّ مجيبٍ لدعوة الحق من غير إمهال ، مُلَبٍ لـداعي الله ﷻ مـن غير إهمال ، قد احتسب في إجابته الوصول لرب العـالمين ، وتوكـل في أمره على الله رب العالمين ، يسطو على الأعـداء بسـطوة الأسـود متوكلاً على الملك رب العالمين ، متقرباً إلى الله الرؤوف الرحيم .

ثم قال :

حَتَّـى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإِسْـلاَمِ وَهـيَ بِـــهِمْ
مِـــنْ بَعْــدِ غُرْبَتِهَـــا مَوْصُولَـــةَ الـــرَّحِمِ



١٢٥ - حَتَّى غَدَتْ مِلَّـةُ الإِسْلاَمِ وَهيَ بِهِـمْ
مِـــنْ بَعْـــدِ غُرْبَتِهَـــا مَوْصُـــولَةَ الـــرَّحِمِ

الإعراب الموجز

(**حَتَّى**) : حرف ابتداء .

(**غَدَتْ**) : فعل ماض ناقص .

(**مِلَّـةُ**) : اسمها .

(**الإِسْلاَمِ**) : مضاف إليه .

(**وَهيَ بِـهِمْ**) : مبتدأ وخبره ، والضمير يعود لـ (الأَبْطَالِ) في البيت الثالث والعشرين بعد المائة .

والجملة حال من (مِلَّـةُ) مرتبطة بالواو والضمير .

(**مِنْ بَعْدِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (غَدَتْ) .

(**غُرْبَـتِهَا**) بضم الغين وسكون الراء وفتح الباء : مضاف إليها .

(**مَوْصُولَـةَ**) : خبر (غَدَتْ) منصوب .

(**الرَّحِمِ**) : مضاف إليها .

تفسير الكلمات

(**حَتَّى غَدَتْ**) : حتى صارت .

(**مِلَّـةُ الإِسْلاَمِ**) : شريعة الإسلام .

(**وَهيَ بِـهِمْ**) : أي وهي مصحوبة بالصحابة الأبطال الكرام .

(**مِنْ بَعْدِ غُرْبَـتِهَا**) : أي من بُعدها عن أهلها .

(**مَوْصُولَـةَ الرَّحِمِ**) : أي ذات أقارب وأعوان وأنصار .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

ما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر حتى صارت ملة الإسلام مصحوبة بالصحابة الأبطال من بعد غربتها ، موصولة الرحم لكثرة من ينتمي إليها ، ويدخل فيها ، ويقوم بشأنها .

ولقد أشار المصنف بالغربة إلى ما روي عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء »[1] .

أي جاء وظهر بين قوم لا يدينون به ، فهو منقطع ومقطوع الرحم ، حتى قام الصحابةرضي الله عنهم ووصلوا رحمه ، وقووا شوكته ، ورفعوا علمه ، ونصروه فنصرهم الله تعالى .

ثم قال المصنف :

مَكْفُولَــةً أَبَــداً مِــنْهُمْ بِخَيْــرِ أَبٍ
وَخَيْــرِ بَعْــلٍ فَلَــمْ تَـيْـتَــمْ وَلَمْ تَــئِمِ



(١) رواه مسلم في صحيحه ، وذكر الترمذي في العلل أنه سأل البخاري عنه فقال : حديث حسن . وروى نحوه أحمد ، وابن ماجة ، والبزار ، والطبراني .

١٢٦ - مَكْفُولَـةً أَبَــداً مِـنْهُمْ بِخَيْــرِ أَبٍ
وَخَيْـــرِ بَعْـــلٍ فَلَــمْ تَيْــتَمْ وَلَمْ تَــئِمِ

الإعراب الموجز

(**مَكْفُولَـةً**) : خبر ثان لـ (غَدَتْ) من البيت السابق .
(**أَبَـداً**) : ظرف زمان منصوب بـ (مَكْفُولَـةً) .
(**مِـنْهُمْ**) ، (**بِخَيْــرِ**) : جـار ومجـرور متعلقـان بــ (مَكْفولَـةً) ، والضمير يعود لـ (الأَبْـطَالِ) في البيت الثالث والعشرين بعد المائة .
(**أَبٍ**) : مضاف إليه .
(**وَخَيْـرِ**) : معطوف على (بِخَيْـرِ) مجرور .
(**بَعْلٍ**) بفتح الباء وسكون العين : مضاف إليه .
(**فَلَمْ تَيْـتَمْ**) : جازم ومجزوم .
(**وَلَـمْ تَـئِمِ**) بفتح التاء وكسـر الهمـزة : جـازم ومجـزوم معطـوف على ما قبله .

تفسير الكلمات

(**مَكْفُولَـةً**) : بمعنى محفوظة ، والمكفول هو الذي يُقام بحقه .
(**أَبَـداً**) : دائمـاً .
(**مِنْهُمْ**) : أي من الكفار .
(**بِخَيْـرِ أَبٍ وَخَيْـرِ بَعْـلٍ**) : أي بخـير أب وزوج وهـو النبـيﷺ ، فإنــه أشــفق عــلى أمتــه مــن الأب عــلى أولاده ، وأَقْــوَم

بمصالحهم من البعل على أزواجه .
(فَلَمْ تَيْـتَمْ) : أي لم يحصل لأمة الإسلام يُـتْمٌ من جهة الأب .
(وَلَمْ تَـئِمِ) : أي ولم يحصل لها تأيم من جهة الزوج ؛ لأنها لم تخلُ منه .

وفي العبارة لف ونشر كما هو واضح ، حيث نفي اليتم مع وجود الأبوة ، ونفي التأيم مع وجود البعولة يوجب ذلك .

المعنى الكلي

أراد صاحب التصنيف أن يقول هنا :
لقد غدت ملة الإسلام مكفولة أبَـدَ الآباد بخير الآباء وأكرم الأجداد ، مضمونة بأشرف البعول وأعز الفحول . كيف لا وهي أمة النبي ﷺ ، وبصدرها صحابته الكرام الأبرار والأخيار ﵃ ؟

وستبقى ملة الإسلام على ذلك ما دام الفلك الدوار ، وبقي الليل والنهار .

ثم قال :
هُـمُ الجِبَـالُ فَسَـلْ عَـنْهُمْ مُصادِمَهُمْ
مَـاذَا رَأَى مِـنْهُمُ فِي كُـلِّ مُصْـطَدَمِ



١٢٧- هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَـنْهُمْ مُصَـادِمَهُمْ
مَــــاذَا رَأَى مِـــنْهُمُ فِي كُـــلِّ مُصْـــطَدَمِ

الإعراب الموجز

(**هُمُ الجِبَـالُ**) : مبتدأ وخبر .

(**فَسَلْ**) : فعل أمر وفاعل .

(**عَنْهُمْ**) : جار ومجرور متعلق به .

(**مُصَادِمَهُمْ**) بضم الميم الأولى وفتح الميم الثانية وكسر الدال : مفعول به ، والضمير يعود لـ (الأَبْطَالِ) المتقدمة .

(**مَاذَا**): (مَا) اسم استفهام مبتدأ ، و(ذَا) خبره وهو اسم موصول. ويحتمل أن تكون (مَاذَا) كلمة واحدة في موضع نصب لـ (رَأَى) .

(**رَأَى**) بفتح الراء والهمزة : صلة (ذَا) ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى (مُصَادِمَهُمْ) ، والواصل بينهما محذوف أي رآه .

(**مِنْهُمُ**) ، (**فِي كُلِّ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (رَأَى) .

(**مُصْطَدَمِ**) بضم الميم الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء والدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**هُمُ الجِبَـالُ**) : جمع جبل ، أي أن الصحابة هم كالجبال الراسيات بالصبر في الحرب والصلابة .

وهذه العبارة من باب التشبيه البليغ .

(**فَسَلْ عَنْهُمْ**) : أي إن ارتبتَ أيها السامع في هذا فسل أنت عنهم مؤرخ أخبار ...

(**مُصَادِمَهُمْ**) : أي مَن صادمهم مِن أعدائهم ، وتصادم الفارسان بمعنى التقيا بأجسادهما .

(**مَاذَا رَأَى**) : أي الذي شاهده .

(**مِنْهُمُ**) : أي من الشدة التي لا توصف لعظمها .

(**فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ**) : في كل مكان التقوا فيه مع أعدائهم . والمصطدم موضع الاصطدام ، وهو اصطكاك الصفين .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الصحابة رضي الله عنهم ومن اقتدى بهم من عباد الله الصالحين وأوليائه المقربين جبال أرض ملة الإسلام ، التي بهم بعد تزلزلها سكنت ، وبقطع دائرة مَن حاربها مِن بعد اضطرابها ثبتت . وإن كنتَ في شك من هذا أيها السامع فسل عنهم من صادمهم من أعدائهم ؛ ليخبرك عن حقيقتهم في الحرب ، ما الذي رآه منهم في كل موضع من مواضع الاصطدام ، والمعركة والـجَلَد .

ثم قال :

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ



١٢٨- وَسَلْ حُنَـيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُـولُ حَتْـفٍ لَهُـمْ أَدْهَـى مِـنَ الـوَخَمِ

الإعراب الموجز

(**وَسَلْ حُنَـيْناً**) : فعل وفاعل ومفعول به .

(**وَسَلْ بَدْراً**) بفتح الباء : فعل وفاعل ومفعول به .

(**وَسَلْ أُحُداً**) بضم الهمزة والحاء : فعل وفاعل ومفعول به .

والجمل الثلاث معطوفة على (سَـلْ) في البيت السابق من عطف الخاص على العام .

(**فُصُولُ**) بضم الفاء والصاد: خبر مبتدأ محذوف ، أي هي فصول. ويجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاث ؛ لأن المراد بها زمن القتال فيها .

(**حَتْـفٍ**) بفتح الحاء وسكون التاء : مضاف إليه .

(**لَهُمْ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَتْفٍ) .

(**أَدْهَى**) : نعت (حَتْـفٍ) .

(**مِنَ الوَخَمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَدْهَى) .

تفسير الكلمات

(**وَسَلْ حُنَـيْناً**) : حنين واد قريب من الطائف ، بينه وبين مكة قرابة ستين كيلومتراً على التقريب لا على التحديد .

(**وَسَلْ بَدْراً**) : بدر اسم ماء بينه وبين المدينة قرابة مائتي كيلومتر على التقريب لا على التحديد .

(**وَسَلْ أُحُداً**) : أُحُد هو جبل يقع شمال المدينة الشريفة .

(**فُصُولُ**) : جمع فصل وهو من أسماء الزمان ، والمراد بها هنا أنواع الهلاك .

(**حَتْفٍ**) : الحتف هو الهلاك .

(**أَدْهَى**) : مأخوذة من الداهية ، وهو اسم تفضيل على وزن أفعل .

(**مِنَ الوَخَمِ**) : الوخم هو الوباء .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

سل عن الصحابة وقعة حنين ، ووقعة بدر ، ووقعة أُحُد ؛ لتخبرك هذه المواقع أنها كانت على المشركين فصولَ وباء وهلاك .

ومَن أراد شروحها كاملة فعليه أن يرجع إلى أماكنها .

ثم قال :

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ



١٢٩ - المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِـــنَ العِـــدَا كُـــلَّ مُسْـــوَدٍّ مِـــنَ اللِّمَـــمِ

الإعراب الموجز

(المـُصْدِرِي) بضم الميم وسكون الصاد وكسر الدال : بالجر نعت (الأَبـْطَالِ) المتقدمة ، وحذفت النون للإضافة .

(البِيضِ) : مضاف إليها .

(حُـمْراً) بضم الحاء : حال من (البِيضِ) .

(بَعْدَ) : ظرف زمان منصوب بـ (الـمُصْدِرِي) .

(مَا) : مصدرية .

(وَرَدَتْ) : صلتها .

(مِنَ العِدَا) بكسر العين وضمها : جار ومجرور متعلق بـ (وَرَدَتْ).

(كُلَّ) : مفعول (وَرَدَتْ) .

(مُسْوَدٍّ) بضم الميم وسكون السين وتشديد الدال : مضاف إليه .

(مِنَ اللِّمَمِ) بكسر اللام وفتح الميم الأولى : جار ومجرور نعت (مُسْوَدٍّ) .

تفسير الكلمات

(المـُصْدِرِي) : جمع مُصْدِر ، مأخوذ من قولهم : صَـدَرَ عـن المـاء ، أي رجع عنه .

(البِيضِ) : جمع أبيض ، والمراد به السيوف المصقولة .

(حُـمْراً) : جمع أحمر .

وقد عنى المصنف بأن السيوف قد تغيّرت من مخالطة

الدماء وكثرة القتلى للون الأحمر .

(**بَعْدَ مَا وَرَدَتْ**) : أي بعد ورودها .

(**مِنَ العِدَا**) : جمع عدو .

(**كُلَّ مُسْوَدٍّ**) : اسم مفعول مأخوذ من اسْوَدَّ .

(**مِنَ اللِّمَمِ**) : جمع لِمَّة ، وهي الشعر إذا جاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو جُمّة .

ويقال كذلك على ما دون الفاحشة من صغار الذنوب ، فمنه قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم : ٣٢].

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم يُرْجِعون صفائح السيوف البيض حمراً بعد ما وردت تلك الصفائح من دماء أعضاء العِدا كلَّ مسود من اللمم.

فشبه السيوف بإبل بيض أُورِدَتْ ينبوعاً أسود يجري بماء أحمر ، ثم صدرت وقد عادت بعد بياضها حمراً مِن تلبسها بذلك الماء الذي وَرَدَتْهُ .

وهذا البيت دليل على شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وارتفاع همتهم ، فإنهم لا يرضون إلا بقتل سود اللمم ، وأصحاب الكفر والشرك .

ثم قال رحمه الله :

وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ



١٣٠- وَالكَاتِـبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَـرَكَتْ
أَقْـلاَمُهُـمْ حَـرْفَ جِسْـمٍ غَـيْرَ مُـنْعَجِمِ

الإعراب الموجز

(**وَالكَاتِـبِينَ**) : معطوف على (المُصْدِرِي) في البيت السابق .

(**بِسُمْرِ**) بضم السين وسكون الميم: جار ومجرور متعلق بـ(الكَاتِبِينَ).

(**الخَطِّ**) : مضاف إليه .

(**مَا**) : نافية .

(**تَـرَكَتْ أَقْلاَمُهُمْ**) : فعل وفاعل .

(**حَرْفَ**) بفتح الحاء وسكون الراء : مفعول به .

(**جِسْمٍ**) بكسر الجيم : مضاف إليه .

(**غَيْرَ**) : نعت (حَرْفَ) .

(**مُنْعَجِمِ**) بضم الميم وسكون النون وكسر الجيم : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَالكَاتِـبِينَ**) : أي الطاعنين .

(**بِسُمْرِ الخَطِّ**) : السمر جمع أسمر وهو الرمح ، والخط شجر تُـتَّخَذُ منه تلك الرماح .

والمراد الرماح الخطية التي تتخذ من شجر الخط .

(**مَا تَـرَكَتْ أَقْلاَمُهُمْ**) : جمع قلم ، والمراد به أسنة الرماح .

أي لم تترك أسنة الرماح ...

(**حَرْفَ**) : طرف .

(**جِسْمٍ**) : أي من أجسام الكفار .

(**غَيْـرَ مُنْعَجِمِ**) : أي غير مزال عجمته ، بل أزالـت عجمتـه - أي خفاءه - بأن طعنته ليتميز الكفار من المؤمنين حيث الأمر مختلط في الحرب ، فالكافر يتميز بطعنه والمؤمن بسلامته ، كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله هنا :

والطاعنين بسمر الخط التي هي شبيهة بأقلام الكتاب وهي الرمـاح الخطية ، ما تركت أقلامهم حرف جسـم مـن أجسـام الكفـار غـير منعجم ، بل طعنته فلم تترك طرفاً منه بلا أثر طعنة .

وفي هذا البيت لطائف منها :

١- تشبيه الصحابة بالكُتّاب والسمر بالأقلام ، وذلك دليل عـلى غايـة إحكامهم للطعن بها حتى أنهم في أيديهم كالأقلام في أيدي الكتبة .

٢- أنهم لا يطعنون طعنة إلا في محلها كما لا يُنَقَّطُ حرف إلا بما يستحق .

٣- أنهم أعجموا حروف أجسـام الكفـار ، بمعنـى أزالـوا العجمـة عنهم بالنُّـقَطِ الـمُبَـيَّن ؛ ليتميـزوا مـن المـؤمنين ، فيتميـز الكـافر بنقطه والمؤمن بسلامته .

ثم قال المصنف :

شَاكِـي السِّـلاَحِ لَــهُمْ سِيمَــا تُـمَيِّــزُهُمْ
وَالــوَرْدُ يَمْتَــازُ بِالسِّيمَـــا عَــنِ السَّــلَمِ



١٣١- شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِيمَـا تُـمَيِّـزُهُمْ
وَالـوَرْدُ يَمْتَـازُ بِالسِّيمَـا عَـنِ السَّـلَمِ

الإعراب الموجز

(**شَاكِي**) : منصوب على الحال من (الأَبْطَالِ) المتقدم ذكرها ؛ لأنه صفة مضافة إلى مفعولها ، وإضافتها كما هو معلوم لا تفيد التعريف . والأصل : شاكين ، وحذفت النون للإضافة .

(**السِّلاَحِ**) : مضاف إليه .

(**لَهُمْ**): جار ومجرور خبر مقدم ، والضمير يعود لـ (الأَبْطَالِ) .

(**سِيمَـا**) بكسر السين وسكون الياء : مبتدأ مؤخر .

(**تُـمَيِّـزُهُمْ**) بضم التاء وكسر الياء المشددة : فعل وفاعل ، والجملة نعت (سِيمَـا) .

(**وَالوَرْدُ**) بفتح الواو : مبتدأ .

(**يَمْتَازُ**) : فعل وفاعل خبر (الوَرْدُ) .

(**بِالسِّيمَـا**) ، (**عَنِ السَّلَمِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (يَمْتَـازُ) .

تفسير الكلمات

(**شَاكِي**) : من الشوكة وهي الحدة والشدة ، يقال : رجل شاكي أي شديد .

(**السِّلاَحِ**) : آلة الحرب ، و(شَاكِي السِّلاَحِ) أي حادُّه .

(**لَهُمْ**) : أي للأبطال .

(**سِيمَـا**) : علامة وصفة ، وهي الصمت الحسن والخشوع .

وقيل : سيماهم صفرة الوجوه من السهر .

وقيل : أثر التراب على وجوههم ، حيث كانوا يسجدون عليه لا على الأثواب .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح : ٢٩].

(**تُـمَيِّـزُهُمْ**) : تفرقهم عن غيرهم .

(**وَالوَرْدُ**) : نوع من الزهور محبب لدى النفوس .

(**يَمْتَازُ**) : يتميّز .

(**بِالسِّيمَـا**) : بالعلامة والصفة .

(**عَنِ السَّلَمِ**): عن شجر له شوك يشبه شجر الورد ، وهو العلاّق.

ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة ، وبهاء المنظر ، وطيب الرائحة . كما يمتاز كذلك في النَّوْرِ ، فإن شجر الورد نَوْرُه أحمر غالباً ، والسَّلَم نَوْرُه أصفر .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله :

إن الأبطال في حال كونهم شاكين السلاح لهم بذلك علامة تميزهم عن غيرهم كما يمتاز الورد عن السَّلَم بعلامة ، وقد تقدّم ذكرها .

ثم قال :

تُـهْدِي إِلَيْـكَ رِيَـاحُ النَّصْـرِ نَشْـرَهُمُ
فَـتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِـي الأَكْمَـامِ كُـلَّ كَمِـي



١٣٢ - تُـهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْـرَهُمُ
فَـتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِـي الأَكْمَـامِ كُـلَّ كَمِـي

الإعراب الموجز

(**تُـهْدِي**) بضم التاء وسكون الهاء وكسر الدال : فعل مضارع .

(**إِلَيْكَ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تُـهْدِي) .

(**رِيَاحُ**) : فاعل (تُـهْدِي) .

(**النَّصْرِ**) : مضاف إليه .

(**نَشْرَهُمُ**) بفتح النون وسكون الشين وفتح الراء: مفعول (تُهْدِي).

(**فَـتَحْسَبُ**) : فعل مضارع يتعدى إلى مفعولين .

(**الزَّهْرَ**) : مفعول أول .

(**فِي الأَكْمَـامِ**) : جار ومجرور حال من (الزَّهْرَ) .

وتُعرب كذلك نعتاً له؛ لأنه معرف بالألف واللام الجنسية.

(**كُلَّ**) : مفعول ثان لـ (تَـحْسَبُ) .

(**كَمِي**) بفتح الكاف وكسر الميم : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**تُـهْدِي إِلَيْكَ**) : بمعنى ترسل .

(**رِيَاحُ**) : جمع ريح ، وكنا قد تناولنا بعض معانيها فيما تقدم فارجع إليه .

(**النَّصْرِ**) : التأييد وقهر الأعداء .

والمراد بها الرياح التي حصل بها النصر ، فالإضافة لأدنى ملابسة . ويحتمل أن المراد بها بركات النصر وثمراته .

(**نَشْرَهُمُ**) : أي الخبر السار مجازاً عن الرائحة الطيبة .

(**فَـتَحْسَبُ**) : فتظن .

(**الزَّهْرَ**) : هو نَوْر أو نُوّار الشجر .

(**فِي الأَكْمَـامِ**) : أي حال كونه في الأكمـام . وهو جمع كِـم بكسـر الكاف ، وهو الغلاف الذي يكون على الزهر .

وإنمـا خص الزهر في أكمامه ؛ لكونه أعظم رائحة وأحسن منظراً .

(**كُلَّ كَمِي**): الكمي هو الرجل الشجاع الذي يستر جسده بالسلاح.

فشبّه المصنف أجسام الصحابة الطاهرة الطيبة حالة كونهم متقنعين بالسلاح بالأزهار في أكمامها قبل أن تنفتق عنها .

وكان من حق المصنف أن يقول : (فتحسب كلَّ كميٍ الزهـرَ في الأكمـام) ، لكنه رحمه الله قد جعله من التشبيه المقلـوب عـلى حـد قول القائل :

وبـدا الصـباحُ كـأن غُرّتَـه وجـهُ الخليفـة حـين يبتسـم

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ترسل إليك الرياح التي حصل بها النصر خبرهم الطيب ، فتظن أنت كلَّ كميٍ منهم لاستتاره بسلاحه كأنـه الزهـر في ا ستتاره بكمـامه ، فهو في كمـامه أحسن منظراً وأطيب رائحة منه خارج كمـامه .

ثم قال :

كَأَنَّـهُمْ فِي ظُـهُورِ الـخَيْـلِ نَـبْتُ رُبـاً
مِنْ شِدَّةِ الـحَـزْمِ لاَ مِـنْ شَـدَّةِ الـحُـزُمِ



١٣٣ - كَأَنَّــهُمْ فِي ظُـهُورِ الخَيْـلِ نَبْتُ رُباً
مِــنْ شِــدَّةِ الحَــزْمِ لاَ مِــنْ شَــدَّةِ الحُــزُمِ

الإعراب الموجز

(**كَأَنَّــهُمْ**) : كأن واسمها .
(**فِي ظُـهُورِ**) : حال من اسم (كَأَنَّ) .
(**الخَيْلِ**) بفتح الخاء : مضاف إليه .
(**نَبْتُ**) بفتح النون وسكون الباء : خبر (كَأَنَّ) .
(**رُباً**) بضم الراء وفتح الباء : مضاف إليه .
(**مِنْ شِدَّةِ**) بكسر الشين : جار ومجرور متعلق بـ (كَـأَنَّ) لمـا فيهـا من معنى التشبيه .
(**الحَزْمِ**) بفتح الحاء وسكون الزاي : مضاف إليه .
(**لاَ مِنْ شَدَّةِ**) بفتح الشين : معطوف على الجار والمجرور قبله .
(**الحُزُمِ**) بضم الحاء والزاي : مضاف إليها .

تفسير الكلمات

(**كَأَنَّــهُمْ**) : أي كأن الصحابةرضي الله عنهم .
(**فِي ظُـهُورِ**) : بمعنى على ظهور .
(**الخَيْلِ**) : اسم جمع واحـده في المعنـى فـرس ، أي كـأن الصـحابة حال كونهم على ظهور الخيل ...
(**نَبْتُ رُباً**) : أي في بهاء المنظر وطيب الرائحة .

والربا جمع ربوة ، وهي كل ما ارتفع مـن الأرض . ونبتهـا

يكون أحسن النبات ؛ لأنه يأخذ حظه من الماء ثـم يسـيل عنه ، ويأخذ حظه كذلك مـن الشـمس والريـاح والهـواء على اختلاف أنواعها ، فتجده أخضرَ يانعاً يعجب حسـنه الناظرين .

وأما نبت المنخفض من الأرض ، فإن التلال التي أحاطت به تمنعه الشمس والرياح ، وقد يسـتقر فيـه المـاء فيقتلـه ، أو يضعفه فيصفر لونه .

(**مِنْ**) : للتعليل .

(**شِدَّةِ الحَزْم**) : أي قوة النبات وضبط الأمر .

(**لاَ مِنْ**) : أي لا من أجل .

(**شَدَّةِ**) : الـمَرّة من الشَدِّ ، وهو الربط .

(**الحُزُمِ**) : جمع حزام مثل كتب وكتاب ، وهو ما يُشَـدُّ بـه السـرج وغيره على ظهر الدابة .

المعنى الكلي

لقد شبّه المصنف الصحابة الكرام في ثبـاتهم عـلى ظهـور الخيـل بثبات نبت الربا ، حيـث نبتهـا يكـون أثبـت في الأرض مـن نبـت غيرها في طول عروقه لكي تصل إلى الماء . فإنهم وإن تحركوا عليهـا لم يتحركوا بمـا يُقلعهم عن أصل ظهورهـا ، بـل إنمـا يتحركـون للطعن وللاتقاء مع ثبوت أصلهم كمـا يتحرك النبـات عـلى ظهـر الربا بحركة الرياح .

كمـا شبّه ثباتهم على ظهور الخيل بأنه مـن شـدة الـحَزم الـذي

أوتوه وأكرمهم الله تعالى به ، لا من أجل ربط السراج أو غيرها مما يُشد به على ظهر الدابة ، ولا مِن أجل شدهم لأنفسهم عليها .

وهنا إشارة إلى قوتهم وثباتهم في المعارك مع أعدائهم .

ولما أثبت المصنف ما أثبت من وصف الشجاعة للصحابة رضي الله عنهم الأبطال ، وما ثبت بالتأييد الإلهي بالنصر لهم ، قال :

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً

فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ



١٣٤ - طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً
فَمَـــا تُفَـــرِّقُ بَـــيْنَ الـــبَهْمِ والـــبُهَمِ

الإعراب الموجز

(**طَارَتْ قُلُوبُ**) : فعل وفاعل ، وهي جملة مستأنفة .
(**العِدَا**) بكسر العين والألف الممدودة : مضاف إليه .
(**مِنْ بَأْسِهِمْ**) : جار ومجرور متعلق بـ (طَارَتْ) .
(**فَـرَقاً**) بفتح الفاء والراء : مفعول لأجله .
(**فَمَـا**) : حرف نفي .
(**تُـفَـرِّقُ**) بضم التـاء وفـتح الفـاء وكســر الـراء المشـددة : فعـل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (قُلُوبُ العِدَا) .
(**بَيْنَ**) : ظرف مكان منصوب بـ (تُـفَـرِّقُ) .
(**البَهْمِ**) بفتح الباء وسكون الهاء : مضاف إليه .
(**وَالبُـهَمِ**) بضم الباء وفتح الهاء : معطوفة على (البَهْمِ) .

تفسير الكلمات

(**طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا**) : أي اضطربت .
(**مِنْ بَأْسِهِمْ**) : من أجل شدتهم وقوتهم في الحرب .
(**فَـرَقاً**) : خوفاً وفزعاً .
(**فَمَـا تُـفَـرِّقُ**) : أي لا تميز .
(**بَيْن البَهْمِ**) : جمع بَهْمة ، وهي السخلة التي هي ولد الضأن .

(**وَالبُـهَمِ**) : جمع بُهْمة ، وهـو الشـجاع الـذي لا يُـدرى مـن أيـن يؤتى في الحرب ؛ لشدة بأسه وقوته .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

لقد اضطربت قلـوب الأعـادي مـن ثبـات الصـحابة الأبطـال في الحرب خوفاً منهم ، واشتد فزعها ورعبها حتـى صـارت لا تفـرق من دهشتها بين سخال الغنم وشجعان الفرسان .

ثم أشار المصنف إلى أن ما حصل للعدا مـن الفـزع الشـديد مـن بأس الصحابةﷺ إنمـا هو بسر بركة رسول اللهﷺ ، فقال :

وَمَـــنْ تَـكُــــنْ بِرَسُــــولِ اللهِ نُصْـرَتُـــهُ
إِنْ تَلْـقَـــهُ الأُسْـــدُ فِي آجَامِهَــا تَجِــمِ



١٣٥ - وَمَـنْ تَـكُنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْرَتُـهُ
إِنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ فِي آجَامِهَـا تَجِـمِ

الإعراب الموجز

(**وَمَنْ**) بفتح الميم : اسم شرط جازم مبتدأ .

(**تَـكُنْ**) بفتح التاء : فعل الشرط ، وهو خبر (مَنْ) . فهـي عاملـة في لفظه الجزم ، وفي محل الجملة الرفع .

(**بِرَسُولِ اللهِ**) : جار ومجرور خبر (تَـكُنْ) مقدم على اسمها .

(**نُصْرَتُـهُ**) : اسم (تَـكُنْ) مؤخر .

وإن قرئ (يَـكُنْ) بالياء ، فاسـمها مسـتتر فيـه يعـود إلى (مَنْ) الشرطية ، و(نُصْرَتُـهُ) مبتـدأ وخـبره في المجـرور قبله ، والجملة خبر (يَـكُنْ) .

(**إِنْ**) بكسر الهمزة وسكون النون : حرف شرط .

(**تَلْقَـهُ**) : فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف الألف ، والهـاء تعود إلى (مَنْ) الشرطية .

(**الأُسْدُ**) بضم الهمزة وسكون السين : فاعل (تَلْقَـهُ) .

(**فِي آجَامِهَا**) بمد الهمزة : جار ومجرور حال من (الأُسْدُ) .

(**تَجِمِ**) بفتح التـاء وكسر الجيم : فعـل مضـارع جـواب (إِنْ) ، و(إِنْ) وجوابها جواب (مَنْ) .

تفسير الكلمات

(**وَمَنْ تَـكُنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْرَتُـهُ**) : أي ومـن تكـن برسـول الله

نصرته كالصحابة ومن حذا حذوهم ...

(**الأُسْدُ**) : جمع أسد ، وهو الحيوان المفترس الـذي يُعـرف بملـك الغابة .

(**فِي آجَامِهَا**) : جمع أَجَمَـة وهي الغابات ، أي المحلات التـي تَسـتتر فيها الأسود كالأشجار الملتفة .

(**تَجِمِ**) : مأخوذ من وَجَمَ إذا أمسك عـن الكـلام وغـيره ، وذلـك لخوف أو هيبة أو غيرهما .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ومن تكن نصرته وتأييده بإعانة رسول الله ﷺ فهو المنتصـر المؤيـد ، ولو لقيته السباع في غاباتها التي هي أشد فيها بالوثوب مـن غيرهـا سكنت وخضعت له ؛ وذلك لأن الـمُؤَيَّد بالسمـاء لا يُغلب .

ثم قال :

وَلَـنْ تَـرَى مِـنْ وَلِـيٍّ غَيْـرِ مُنْتَصِـرٍ
بِـهِ وَلاَ مِـنْ عَـدُوٍّ غَيْـرِ مُنْقَصِـمِ



١٣٦ - وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِـيٍّ غَيْـرِ مُنْـتَصِـرٍ
بِــهِ وَلاَ مِــنْ عَــدُوٍّ غَيْــرِ مُنْقَصِــمِ

الإعراب الموجز

(**وَلَنْ**) : حرف نفي .
(**تَـرَى**) : منصوب بـ (لَنْ) بفتحة مقـدرة عـلى الألـف ، وفاعلـه ضمير المخاطب .
(**مِنْ وَلـيٍّ**) : مفعول (تَـرَى) ، و(مِنْ) زائدة في المفعول به .
(**غَيْـرِ**) : نعت (وَلـيٍّ) على لفظه .
ويجوز أن نعربها بالنصب نعـت لـه عـلى محلـه إن كانـت (تَـرَى) بصرية ، وإن كانت علمية فهي المفعول الثاني .
(**مُنْـتَصِرٍ**) بكسر الصاد : مضاف إليه .
(**بِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُنْـتَصِرٍ)، والضمير يعود للنبي ﷺ.
(**وَلاَ**) : حرف نفي .
(**مِنْ عَدُوٍّ**) : جار ومجرور معطوف على (مِنْ وَلـيٍّ) .
(**غَيْـرِ**) : نعت (عَدُوٍّ) ، وفيها ما تقدم .
(**مُنْقَصِمِ**) بضم الميم وفتح القاف وكسر الصاد : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَلَنْ تَـرَى**) : ولن تبصر .
(**مِنْ وَلـيٍّ**) : أي صديق قريب ، يقال : وَلِـيَه أي قَـرُبَ منه .
وأولياؤه ﷺ هم مَن آمنوا به وكانوا على هديه وطريقته .

(**غَيْـرِ مُنْـتَصِرٍ بِهِ**) : أي برسول الله ﷺ .

(**وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ**) : أي كافر .

(**غَيْـرِ مُنْـقَصِمِ**) : القصم هو القطع مع الإبانة .

وفي بعض النسخ رُوِيَـت بالفـاء (مُنْـفَصِـمِ) ، والأول أَوْلى ؛ لأن الفصم بالفاء هو القطع من غير إبانة .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ولن تبصر ولياً مـن أوليـاء النبـي ﷺ وأحبابـه ولا صـديقاً مسلمـاً إلا وهو منتصر بـه عـلى عـدوه ، ولا تبصرـ عـدواً كـافراً ومعاديـاً إلا وهو به ﷺ منقصم ومقهور .

ثم قال :

أَحَـــلَّ أُمَّـتَــــهُ فِي حِــــرْزِ مِلَّتِـــهِ
كَاللَّيْـثِ حَـلَّ مَـعَ الأَشْـبَالِ فِي أَجَـمِ



١٣٧ - أَحَــلَّ أُمَّــتَــهُ فِي حِــرْزِ مِلَّتِــهِ
كَاللَّيْــثِ حَــلَّ مَــعَ الأَشْــبَالِ فِي أَجَــمِ

الإعراب الموجز

(**أَحَلَّ**) بفتح الهمزة والحاء : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى النبيﷺ .

(**أُمَّــتَــهُ**) : مفعول (أَحَلَّ) .

(**فِي حِرْزِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَحَلَّ) .

(**مِلَّتِــهِ**) : مضاف إليها .

(**كَاللَّيْثِ**) : جار ومجرور في موضع الحال من فاعل (أَحَلَّ) المستتر فيه .

(**حَلَّ**) : فعل ماض ، وفاعله ضمير (اللَّيْثِ) المستتر فيه . والجملة حال من (اللَّيْثِ) .

(**مَعَ**) بفتح العين وكسرها : متعلق بـ (حَلَّ) .

(**الأَشْبَالِ**) بفتح الهمزة : مضاف إليها .

(**فِي أَجَمِ**) : جار ومجرور في موضع الحال من (الأَشْبَالِ) .

تفسير الكلمات

(**أَحَلَّ**) : بمعنى أنزل النبيُّ ﷺ .

(**أُمَّــتَــهُ**) : أي أمة الإجابة التي استجابت له ؛ لأن الأمة نوعان :

١ - أمة الدعوة : وهي كل من بلغته دعوة النبيﷺ .

٢ - أمة الإجابة : وهي كل من آمن بهﷺ .

(**فِي حِرْزِ**) : أي في حصن ، والحرز ما يُحفظ به الشيء ويُحْرَز .

(**مِلَّتِـهِ**) : أي ملة النبيﷺ الشبيهة بـالحرز ، وإنمــا كانـت كـذلك لأنهـا تحفـظ مَـن اتبعهـا مـن نـار الكفـر ، فهـي كـأعظم الحصون المنيعة التي لا يدخلها إلا مَن هو مِن أهلها .

والمراد بالملة الدين الذي أُملي من السمـاء ، وهو دين الإسلام.

(**كَاللَّيْثِ**) : كالأسد .

(**حَلَّ**) : نزل .

(**مَعَ الأَشْبَالِ**) : جمع شِبْل ، وهو ولد الأسد .

(**فِي أَجَمِ**) : جمع أَجَمة ، وهي الغابة كمـا أسلفنا .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لقد أنزل النبيُّﷺ أمتَه في حرز دينه الحصين من نار الكفر كمـا يَنزل الليث مع أولاده في الغابة للتحصين من عدو يطرقهم .

والتشبيه بالأسد في السلطنة ، وكمـال الشجاعة ، ورفع الهمـة ، وشدة البطش لمن يتمـرد عليـه ، وفي عـدم التعـرض لمـن يتـذلل ، والشفقة على أتباعه .

ثم شبّه الأمة بالأشبال لأنـهﷺ أصـلهم في الإسـلام ، وأزواجـه أمهاتهم وسبب حياتهم الحقيقية ، ومنه نشوؤهم الديني .

ثم قال :

كَــمْ جَــدَّلَتْ كَلِمَـــاتُ اللهِ مِــنْ جَــدِلٍ
فِيــهِ وَكَــمْ خَصَـمَ البُرْهَـانُ مِـنْ خَصِـمِ



١٣٨ - كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَـاتُ الله مِنْ جَـدِلٍ
فِيـهِ وَكَـمْ خَصَـمَ البُرْهَـانُ مِـنْ خَصِـمِ

الإعراب الموجز

(**كَمْ**) : خبرية موضعها نصب على المصدرية أو الظرفية .
(**جَدَّلَتْ**) بفتح الجيم والدال المشددة: فعل ماض ، والتاء للتأنيث.
(**كَلِمَـاتُ**) : فاعل (جَدَّلَتْ) ، وهي مضاف .
(**الله**) : اسم الجلالة مضاف إليه .
(**مِـنْ جَـدِلٍ**) بفتح الجيم وكسر الدال : مفعول (جَـدَّلَتْ) ، و(مِنْ) زائدة .
(**فِيهِ**): متعلق بـ (جَدِلٍ) لأنه صفة مشبهة ، والهاء تعود للنبيﷺ .
(**وَكَمْ**) : خبرية معطوفة على (كَمْ) المتقدمة .
وتمييز (كَمْ) في الموضعين محذوف .
(**خَصَمَ**) بفتح الخاء والصاد المخففة : فعل ماض .
(**البُرْهَانُ**) بضم الباء : فاعله .
(**مِـنْ خَصِـمِ**) بفتح الخاء وكسر الصاد : مفعول (خَصَـمَ) ، و(مِنْ) زائدة .

تفسير الكلمات

(**كَمْ**) : بمعنى كثيراً ، أي كثيراً ما جَدّلت ...
(**جَدَّلَتْ**): بتشديد الدال ويجوز تخفيفها ، إلا أن المُشَدَّدَ يفيد التكثير .
وهي بمعنى غلبت وقطعت ، وأزالت جدل المجادل المعاند .
(**كَلِمَـاتُ الله**) : المراد بها القرآن الكريم زاده الله عزة ومنعة .
(**مِنْ جَدِلٍ**) : كثير الجدل .

(**وَكَمْ**) : أي وكثيراً .
(**خَصَمَ**) : غلب في الخصام .
(**البُرْهَانُ**) : الحق بأدلته القاطعة وبراهينه الساطعة .
(**مِنْ خَصِمِ**) : شديد الخصومة فيه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :
كثيراً ما أزال القرآنُ جدالَ المجادل في أمرهﷺ ، وكثيراً ما أزال الدليلُ القاطع خصومةَ شديد الخصومة في أمرهﷺ .

والأول إشارة إلى ما وقع في القرآن الكريم من جواب المعاندين السائلين لهﷺ . ومن ذلك ما نقل مِن أنَّ اليهود قالوا لقريش : سلوه عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، فإن أجاب عن الكل فليس بنبي ، وإن أجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبي . فنزل القرآن بحكاية أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، ونزل قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، فأحال علم الروح إلى الله سبحانه وتعالى .

والثاني إشارة إلى ما وقع منهﷺ من الآيات حين سألوه آية على رسالته ، كانشقاق القمر وغير ذلك .

ولا يخفى أن عطف الثاني على الأول من عطف العام على الخاص.

ثم قال المصنف :

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ



١٣٩ - كَفَاكَ بِـالعِلْمِ فِي الأُمِّــيِّ مُعْجِـزَةً
فِي الجَاهِلِيَّـــةِ وَالتَـأْدِيـــبِ فِي اليُـــتُمِ

الإعراب الموجز

(**كَفَاكَ**) : فعل ماض ومفعول .

(**بِالعِلْمِ**) : فاعل (كَفَاكَ) ، والباء زائدة .

(**فِي الأُمِّــيِّ**) : جار ومجرور حال من (العِلْمِ) .

(**مُعْجِزَةً**) : تمييز .

(**فِي الجَاهِلِيَّـةِ**): جار ومجرور متعلقٌ بمحذوف حال من (العِلْمِ).

(**وَالتَـأْدِيبِ**) : معطوف على لفظ (العِلْمِ) .

ويجوز أن نرفعها عطفاً على محله ، والأول هو الرواية .

(**فِي اليُـتُمِ**) بضم التاء اتباعاً لضـم اليـاء لضــرورة الـوزن : جـار ومجرور حال من (التَـأْدِيبِ) .

تفسير الكلمات

(**كَفَاكَ بِالعِلْمِ**) : أي يكفيك أيها المخاطـبُ العلـمَ الـذي جـاء بـه النبي ﷺ .

(**فِي الأُمِّــيِّ**): وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يعلم ولا يـتعلم من معلم . نسـبة لـلأم ، أي كأنـه عـلى الهيئـة التـي وُلـد عليها من أمه .

وهذا الوصف مـدح بالنسـبة للنبـي ﷺ ؛ لأنـه دليـل عـلى أن القرآن من عند الله سبحانه . وأما بالنسبة لغيره فهو ذم .

(**مُعْجِزَةً**) : أي دالة على صدقه فيمـا جاء به .

(**فِي الجَاهِلِيَّـةِ**) : أي في زمن الجاهلية، وهو الزمان الذي لا علم فيه .

وإنمـا قَـيَّد بقولـه (فِي الأُمِّـيِّ) وقولـه (فِي الجَاهِلِيَّـةِ) ؛ لأن كلاً مـن كونـه أميـاً وكونـه في الجاهليـة مظنّـة لعـدم العلم ، حيث العلم لا يكون إلا بمطالعة الكتب العلميـة وهو ﷺ لا يقرأ ولا يكتـب ، أو يكـون بملاقـاة العلمــاء وهو مُنْـتَـفٍ في الجاهلية ، فتعيّن أن علمه ﷺ من السمــاء بتعليم الله سبحانه وتعالى له .

(**وَالتَـأْدِيبِ**) : الأدب هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسـنة ، وما يحصل من العلوم المكتسبة .

(**فِي اليُـتُمِ**) : اليتم في الناس فَـقْدُ الأب ، وفي البهائم فقد الأم .

فقد مات أبوه ﷺ وهو في بطن أمـه ، وكـان عليـه الصـلاة والسـلام مؤدبـاً بأحسـن الأخـلاق عـلى خـلاف العـادة في اليتيم ، فشأنه في الأغلب أن لا يكـون فيـه مـن الأدب ما يكون في ذي الأب ، حيث الأب دائمـاً يقـوم بتأديـب ابنه ، ويسـعى في تكميلـه باكتسـاب الصـفات الحميـدة ، وغير الأب لا يكون منه ذلك .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كفاك أيها المخاطَب بالعلم الذي جـاء بـه النبـي ﷺ معجـزة لـه مـع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ومولوداً جاء في زمن الجاهليـة الـذين

لا علم عندهم ليكتسبه منهم ! وكفاك أيها المخاطَب بالتأديب الحاصل منهﷺ معجزة ، لكونه من مُؤَدَّب مع أنه رُبي يتيماً لا أب له يؤدبه ! فقد بلغﷺ من العلوم ما لا يبلغه بتعليم من تصدى لها ، فكيف بمن لم يتصدَّ ؟ ومن الآداب ما لا يناله بإرشاد من له مُؤَدِّبٌ ، فكيف بمن عُدِمَه ؟

وهنا دل الكلام على أن رسول اللهﷺ هو صاحب الرسالة التي جاء بها من عند الله تبارك وتعالى .

هذا ومن المعلوم أن المراد بالمعجزة هنا مطلق الأمر الخارق للعادة ، وإن لم يكن مقروناً بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة . فاندفع هنا ما يقال أن كونهﷺ مؤدباً في حال يتمه لا يعد معجزة ؛ لأن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي ، وهوﷺ في حال يتمه لم يُتحد ؛ لأن التحدي لا يكون إلا بعد الأربعين وبعد النبوة .

رزقني الله وإياك الفهم الثاقب .

ثم قال المصنف :

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ



١٤٠- خَدَمْتُـهُ بِمَـدِيحٍ أَسْتَقِيـلُ بِـهِ
ذُنُـوبَ عُمْـرٍ مَضَـى فِي الشِّعْرِ وَالخِـدَمِ

الإعراب الموجز

(**خَدَمْتُـهُ**) بضم التاء : فعل ماض وفاعل ومفعول به .
(**بِمَدِيحٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (خَدَمْتُـهُ) .
(**أَسْتَقِيلُ**) بفتح الهمزة وكسر القاف : فعل مضارع ، وفاعله ضمير المتكلم مستتر فيه وجوباً .
(**بِـهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَسْتَقِيلُ) ، والضمير يعود لـ (مَدِيحٍ) .
(**ذُنُـوبَ**) بضم الذال : مفعول به لـ (أَسْتَقِيلُ) .
(**عُمْرٍ**) بضم العين وسكون الميم : مضاف إليه .
(**مَضَى**) بفتح الضاد : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً يعود إلى (عُمْرٍ) ، والجملة نعت له .
(**فِي الشِّعْرِ**) بكسر الشين وسكون العين : جار ومجرور متعلق بـ (مَضَى) .
(**وَالخِـدَمِ**) بكسر الخاء وفتح الدال : معطوف على (الشِّعْرِ) .

تفسير الكلمات

(**خَدَمْتُـهُ**) : أي مدحتهﷺ ، والمدح هو ذكر وعَدُّ الفضائل وبيانها .
(**بِمَدِيحٍ**) : المديح اسم لما يُمدح به من الثناء الحسن .
(**أَسْتَقِيلُ**) : أطلب الإقالة ، وهي في الأصل الأخذ باليد عند

العثار كما جاء في الدعاء : (اللهم أقل عثرتي) .

(بِـهِ) : الضمير يرجع للمديح .

(ذُنُـوبَ) : بمعنى آثام ، وهي الجرائم .

(عُمْرٍ) : عمر الإنسان مدة حياته .

(مَضَى) : بمعنى ذهب ذلك العمر وانقضى .

(فِي الشِّعْرِ) : هو الكلام المقفى الموزون من أي بحر كان ، والمراد هنا أي مدحاً لأبناء الدنيا .

(وَالخِدَمِ) : جمع خدمة ، وهي أداء حوائج الشخص وكل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغير .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً الله تعالى :

يا رب ، خدمتُ رسولكﷺ بمديح حال كوني أستقيل وأطلب منك أن تقيلني به من أوزار عمر انقضى غالبه في نظم الشعر مدحاً في الناس ، والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة مما ليس في طاعتك .

وهذا وإن كان مباحاً إلا أنه قد يجر إلى الحرام ، وهو ما أشار إليه المصنف في البيت الذي بعده فقال :

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ

كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ



١٤١- إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

الإعراب الموجز

(إِذْ) بسكون الذال : حرف تعليل لـ (أَسْتَقِيلُ) في البيت السابق ، ويجوز أن يكون تعليلاً لـ (خَدَمْتُهُ) .

(قَلَّدَانِيَ) بفتح القاف واللام والدال والياء وكسر النون : فعل وفاعل ومفعول أول ، وضمير التثنية الألف يعود إلى (الشِّعْرِ وَالخِدَمِ) في البيت السابق .

(مَا) : نكرة موصوفة في موضع المفعول الثاني ، أي أمراً .

(تُخْشَى) بضم التاء وسكون الخاء وفتح الشين : فعل مضارع مبني للمفعول .

(عَوَاقِبُهُ) : نائب الفاعل .

والجملة نعت (مَا) ، والرابط بينهما الهاء من (عَوَاقِبُهُ) .

(كَأَنَّنِي) : (كَأَنَّ) حرف تشبيه ، وياء المتكلم اسمها .

(بِهِمَا) : جار ومجرور حال من اسم (كَأَنَّ) .

(هَدْيٌ) بفتح الهاء وسكون الدال : خبر (كَأَنَّ) .

(مِنَ النَّعَمِ) بفتح النون والعين : جار ومجرور نعت (هَدْيٌ) .

تفسير الكلمات

(إِذْ قَلَّدَانِيَ): مأخوذ من قلّدته الأمر، أي جعلته كالقلادة في عنقه. والضمير راجع إلى (الشِّعْرِ وَالخِدَمِ) كما أسلفنا .

(مَا تُخْشَى) : أي أمراً تخشى ، والخشية الخوف .

(**عَوَاقِبُـهُ**) : جمع عاقبة ، وهي ما يَؤُول إليـه الأمـر آخـراً ، فعاقبـة كل شيء آخره .

(**كَأَنـَّنِـي بِـهِمَـا**) : أي بسببهمـا .

(**هَدْيٌ**) : هو ما يُهدى إلى الحرم .

(**مِنَ النَّعَم**) : لفظة النعم تشمل الإبل والبقر والغنم .

ومِن شأن الهدي أن يقلد بجعل شيء في عنقه من نعـل وجـرس ونحو ذلك ؛ ليُعلم أنه هدي .

وفي التشبيه بالهدي دقيقة ، وهي أنه خشـي عـلى نفسـه الهـلاك المتوقع للإبل المقلدة من جراء الأفعال المذكورة قَبْلُ .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إن الشعر الذي قلتُه في النـاس والخِـدَم التـي صـدرت منـي لهـم ، جعلا في عنقي من الآثام ما هو كالقلادة وهـو مـا تُخشـى عواقبـه ، إذ أنه إن لم يغفره الله ﷻ مؤدٍ إلى هلاكـي الـدنيوي ، وإلى خسـراني في الآخرة ، حتى كأنني بهمـا هـدي مـن الـنَّعَم . فكمـا لا يخفـى الهدي من الـنَّعَم عـلى رائيـه بمـا يُقَلَّـدُ في عنقـه مـن تعليـق نعـل وغيرها ، وأصبح معروفـاً أنـه هـدي ، فكـذلك أنـا لا يخفـى بـأني أستحق العقاب بمـا اكتسبته من الآثام بسبب مدحي غـيره ﷺ مـن أهل الدنيا وخدمتي إياهم ، وقد عُرف حالي هذا .

ثم قال :

أَطَعْـتُ غَـيَّ الصِّـبَا فِي الحَـالَـتَـيْنِ وَمَـا
حَصَّـلْتُ إِلاَّ عَـلَى الآثَـامِ وَالنَّـدَمِ



١٤٢ - أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَـتَـيْنِ وَمَا
حَصَّـــلْتُ إِلاَّ عَـــلَى الآثَـــامِ وَالنَّـــدَمِ

الإعراب الموجز

(**أَطَعْتُ**) بضم التاء : فعل وفاعل .

(**غَيَّ**) بفتح الغين : مفعول به .

(**الصِّبَا**) : مضاف إليه .

(**فِي الحَالَتَـيْنِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَطَعْتُ) .

(**وَمَا**) : حرف نفي .

(**حَصَّلْتُ**) : فعل وفاعل .

(**إِلاَّ**) : حرف إيجاب .

(**عَلَى الآثَـامِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (حَصَّلْتُ) على الاستثناء المفرغ .

(**وَالنَّـدَمِ**) بفتح النون والدال : معطوف على (الآثَـامِ) .

تفسير الكلمات

(**أَطَعْتُ**) : بمعنى امتثلت .

(**غَيَّ**) : الغي ضد الهدى ، وهو الضلال .

(**الصِّبَا**) : حداثة السن .

(**فِي الحَالَـتَـيْنِ**) : عنى المصنف حالتي (الشِّـعْرِ وَالخِـدَمِ) المتقدم ذكرها .

(**وَمَا حَصَّلْتُ إِلاَّ عَـلَى الآثَـامِ**) : أي وما حصلت منها إلا على

الآثام ، أي الذنوب التي صدرت مني .

(**وَالنَّـدَمِ**) : أي وعلى الحسرة على تلك الآثام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

أطعتُ غي زمن الصبا - وهـو زمـان الجهـل والبطالـة الـداعي إلى الهلاك - في الحالتين ، حالة مدحي لغـير النبـيﷺ وحالـة خـدمتي له ، وما حصّلت من هـاتين الحـالتين إلا عـلى الآثـام والنـدم عـلى ما صدر مني ، ولو صحبني التوفيق من أول الأمر لكـان مـا صـدر مني من شعر وخدمة لهﷺ خاصة لا لغيره ، ولكن التوفيـق بيـد الله يعطيهﷻ من شاء ومتى شاء .

ثم قال :

فَـيَــا خَسَــارَةَ نَـفْــسٍ فِي تِـجَـارَتِــهَا
لَمْ تَشْـــتَرِ الـــدِّينَ بِالدُّنْيـــا وَلَمْ تَسُـــمِ



١٤٣ - فَـيَـا خَسَـارَةَ نَفْـسٍ فِي تِـجَارَتِــهَا
لَمْ تَشْـــتَرِ الــدِّينَ بِالدُّنْيَــا وَلَمْ تَسُـــمِ

الإعراب الموجز

(**فَـيَـا**) : حرف نداء .
(**خَسَارَةَ نَفْسٍ**) : منادى على طريق التعجب ، أي ما أخسر نفساً !
(**فِي تِـجَارَتِهَـا**) : جار ومجرور متعلق بـ (خَسَارَةَ) .
(**لَمْ تَشْتَرِ**) : جازم ومجزوم ، والجملة نعت (نَفْسٍ) .
(**الدِّينَ**) بكسر الدال : مفعول (تَشْتَرِ) .
(**بِالدُّنْيَا**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَشْتَرِ) .
(**وَلَمْ تَسُمِ**) : معطوف على (لَمْ تَشْتَرِ) .

تفسير الكلمات

(**فَيَـا خَسَارَةَ نَفْسٍ**) : الخسارة ضد الربح .
(**فِي تِـجَارَتِـهَا**) : التجارة هي التقلب في المال لطلب الربح .
(**لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا**) : أي لم تأخذ الدين بدل الدنيا ، بل عـدلت عن العظيم الباقي إلى الخسيس الفاني .
(**وَلَمْ تَسُمِ**) : السوم هو العرض للشــراء ، أي ولم تتعـرض لأخـذ الدين بدل الدنيا .

المعنى الكلي

يقول المصنف :
فمـا أخسر نفسي في تجارتها وفي عملها السـابق ، إذ لم تأخـذ الـدين

الـــذي هـــو الجـــوهر والحقيقـــة والخلـــود ولم تتعـــرض لأخـــذه ، بل أخذت الـدنيا الفانيـة الجيفـة وتركـت الـدين الـذي تنجـو بـه في عرصات يوم القيامة .

ثم قال رحمه الله :

وَمَـــنْ يَبِـــعْ آجِـــلاً مِنْـــهُ بِعَاجِلِـــهِ
يَـــبِنْ لَـــهُ الغَـــبْنُ فِي بَيْـــعٍ وَفِي سَـــلَمِ



١٤٤- وَمَــنْ يَبِـعْ آجِــلاً مِنْـهُ بِعَاجِلِـهِ
يَـــبِنْ لَـــهُ الغَـــبْنُ فِي بَيْـــعٍ وَفِي سَـــلَمِ

الإعراب الموجز

(**وَمَنْ**) بفتح الميم : اسم شرط مبتدأ .
(**يَبِعْ**) : خبرها .
(**آجِلاً**) بمد الهمزة : مفعول (يَبِعْ) .
(**مِنْـهُ**) : جار ومجرور نعت (آجِلاً) ، والضمير لـ (مَنْ) .
(**بِعَاجِلِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَبِعْ) .
(**يَبِنْ**) بفتح الياء وكسر الباء : جواب الشرط .
(**لَـهُ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يَبِنْ) .
(**الغَبْنُ**) بفتح الغين وسكون الباء : فاعل (يَبِنْ) .
(**فِي بَيْعٍ**) : جار ومجرور متعلق بـ (الغَبْنُ) .
(**وَفِي سَلَمِ**) بفتح السين واللام : جار ومجرور معطوف على (في بَيْعٍ) .

تفسير الكلمات

(**وَمَنْ يَبِعْ**) : أي يعطي .
(**آجِلاً**) : الآجل ضد العاجل ، والمراد به هنا الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية .
(**مِنْـهُ**) : الضمير عائد لـ (مَنْ يَبِعْ) .
(**بِعَاجِلِهِ**) : الضمير راجع إلى (مَنْ يَبِعْ) ، والمراد بالعاجل هنا

الذي يأخذه من الدنيا الفانية .

(**يَبِنْ لَـهُ**) : بمعنى يظهر .

(**الغَبْنُ**) : النقص والخداع .

(**فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ**) : هنا العطف عطف تفسير ؛ لأن السَّلَم صنف من البيع .

أي ولا شك أنَّ مَن يبع آجلاً منه بعاجله يظهر له النقص في بيعه العاجل ، وفي سَلَمِه وهو بيعه الآجل .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

وما مثل نفسي في الخسارة إلا كمثل مَن باع عيناً حاضرة بثمن غائب ، فإنه قد يختلف الوفاء بالثمن مما يؤدي إلى الغبن وسوء وقع العقد بلفظ البيع أم بلفظ السلم . فكيف من باع ما ينفعه آجلاً – وهو نعيم الآخرة الباقي أبداً والذي لا يفنى طوال الآماد – بما يضره عاجلاً – وهو متاع الدنيا الفاني – ؟ فإنه أشد غبناً .

ثم قال :

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ



١٤٥- إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَـا عَهْدِي بِمُنْـتَقِضٍ
مِـــنَ النَّبِـــيِّ وَلاَ حَبْلـــِي بِمُنْصَـــرِمِ

الإعراب الموجز

(**إِنْ**) بكسر الهمزة وسكون النون : حرف شرط جازم .

(**آتِ**) بمد الهمزة وكسر التاء : فعل الشرط مجزوم بـ (إِنْ) وعلامة جزمه حذف الياء ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(**ذَنْباً**) بفتح الذال وسكون النون : مفعول (آتِ) .

(**فَمَـا**) : حرف نفي .

(**عَهْدِي**) : اسمها .

(**بِمُنْـتَقِضٍ**) : خبرها .

(**مِنَ النَّبِـيِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (مُنْـتَـقِضٍ) .

(**وَلاَ**) : حرف نفي .

(**حَبْلـي**) بفتح الحاء وسكون الباء : اسمها .

(**بِمُنْصَرِمِ**) بضم الميم وفتح الصاد وكسر الراء: جار ومجرور خبرها.

وجملة (فَمـا عَهْدِي ...) جواب الشرط على إقامة السبب مقام المسبب ، والأصل في العبارة : إن آتِ ذنباً فإني أرجو ستره وغفرانه لأن عهدي وإيماني ثابت . فلو جعلناها جواباً أصالة لفسد المعنى ، فيكون عند فساد المعنى أنه إذا لم يأت ذنباً فإنه ينتقض عهده ، وليس كذلك لأن عهده ثابت على كل حال سواء أتى ذنباً أم لا .

تفسير الكلمات

(**آت**) : أصله أأت بهمزتين ، قلبت الثانية ألفاً فصارت آت بالمد .

(**ذَنْباً**) : مخالفة صغيرة أو كبيرة دون الكفر .

(**فَمَا عَهْدِي**) : فما ميثاقي .

(**بِمُنْتَقِضٍ**) : نقض العهد هو عدم الوفاء به .

(**وَلاَ حَبْلِي**) : المقصود بالحبل هنا الوصل ، أي ولا وصلي .

(**بِمُنْصَرِمِ**) : بمنقطع من النبيﷺ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن أفعل ذنباً بعد ما تقدم من التوبة والندم على الشعر والخدم بأن عدتُ إليهما ، فإني أرجو غفرانه . فإن نقضي التوبة بارتكاب الذنب ليس بنقض لإيماني وعهدي من النبيﷺ الذي التزمته من دين الإسلام الذي جاء به عليه الصلاة والسلام . فإن الذنب لا ينقض الإيمان ، ولا يقطع سبب الوصلة بهﷺ وبدينه .

وفي هذا البيت تأنيس للنفس وترويح لها في دخولها في رحمة الله تعالى.

ثم قال المصنف :

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
مُحَمَّداً وَهوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ



١٤٦- فَـــإِنَّ لِي ذِمَّـــةً مِنْـــهُ بِتَسْمِيَتــــــي
مُـحَمَّــــداً وَهَـــوَ أَوْفَى الخَلْـــقِ بِالــــذِّمَمِ

الإعراب الموجز

(**فَإِنَّ**) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .
(**لِي**) : خبرها مقدم .
(**ذِمَّةً**) بكسر الذال : اسمها مؤخر .
(**مِنْـهُ**) : جار ومجرور نعت (ذِمَّةً) ، والضمير يعود للنبيﷺ .
(**بِتَسْمِيَـتِي**) : جار ومجرور متعلـق بــ (ذِمَّـةً) ، والبـاء للسـببية ، و(تَسْمِيَتـي) مصدر يتعدى لمفعولين ، وهـو مضـاف إلى مفعوله الأول وهو ياء المتكلم .
(**مُـحَمَّداً**) : المفعول الثاني .
(**وَهوَ أَوْفَى**) بفتح الهمزة والفاء : مبتدأ وخبر .
(**الخَلْق**) : مضاف إليه .
(**بِالذِّمَمِ**) بكسر الذال وفـتح المـيم الأولى : جـار ومجـرور متعلـق بــ (أَوْفَى) .

تفسير الكلمات

(**فَإِنَّ لِي ذِمَّـةً مِنْـهُ**) : الذمة هي الأمان .
(**بِتَسْمِيَـتِي**) : التسمية تجعل الاسم علمـاً على الذات .
(**مُـحَمَّداً**) : أي كاسمه عليه الصلاة والسلام .
(**وَهوَ**) : الضمير يعود للنبيﷺ .

(**أَوْفَى الخَلْق**) : مأخوذ من وفى بالعهد إذا راعى مقتضاه .
(**بِالذِّمَمِ**) : جمع ذمة .

المعنى الكلي

هذا البيت هو تعليل للذي قبله ، فيقول المصنف :
إن لي ذمة منه ﷺ بتسميتي محمداً كتسميته ﷺ بذلك . فاختياري التسمية باسمه دليل على محبتي فيه ، فإنَّ أحداً لا يتسمى باسمٍ إلا وهو يحبه أو يحب مَن يتسمّى به . وإذا ثبت لي منه ذلك مع عظم جاهه عليه الصلاة والسلام وعلو مكانته عند الله تبارك وتعالى فلا أخاف ، وكيف أخاف أو أبالي وهو ﷺ أوفى الخلق بالذمم ؛ لأن الله ﷻ يعطيه الشفاعة ويخلصني من شدة ذلك اليوم العصيب ، وإن الشفاعة التي أذن له ﷺ أن يشفع بها في محبيه المؤمنين هي مخبأة لذلك اليوم .

وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية بمحمد ، وقد جاء في ذلك جملة من الأحاديث الصحيحة والصريحة ، نذكر بعضاً منها على وجه التبرك لا على وجه الإحصاء والاستقصاء :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((يوقف عبدان بين يدي الله ﷻ فيأمر بهما إلى الجنة ، فيقولان : ربنا بما استأهلنا منك الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة – وفي رواية : تجازينا به الجنة – ؟ فيقول الله ﷻ لهما : عبداي ادخلا الجنة ، فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار مَن اسمه أحمد ومحمد))[1] .

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس .

وروى الحافظ بن طاهر السلفي من حديث حميد الطويل عن أنس مرفوعاً : ((يوقف عبدان بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ ، فيقول الله لهما : ادخلا الجنة ، فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد)) (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ألا لِيَقُم مَن اسمه محمد فليدخل الجنة، تكرمة لنبيه محمد ﷺ (٢).

وعن أبي أمامة مرفوعاً : ((مَن وُلِد له مولود فسمّاه محمداً تبركاً به كان هو ومولوده في الجنة)) (٣) .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : ((ما مِن مائدة وضعت فحضر عليها مَن اسمه أحمد ومحمد إلا قُدس ذلك المنزل كل يوم مرتين)) (٤) .

وحاصل كلام المصنف أن له أماناً منه ﷺ بسبب تسميته باسمه الشريف ، وإن ارتكاب الذنب لا يقطع التسمية ، فإنه ﷺ أكثر الناس وفاء بالعهد .

ثم قال رحمه الله تعالى :

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي
فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ



(١) رواه ابن سعد في طبقاته عن عثمان العمري مرسلاً .
(٢) ذكره صاحب سبل السلام ج٤ ص١٠٠ ، وخُرِّج في كتاب الخصائص لابن سبع .
(٣) رواه ابن عساكر .
(٤) رواه الديلمي صاحب الفردوس .

١٤٧- إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي
فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

الإعراب الموجز

(**إِنْ**) : حرف شرط جازم .

(**لَمْ يَكُنْ**): جازم ومجزوم في محل جزم بـ (إِنْ) ، واسم (يَكُنْ) مستتر فيها يعود إلى حضرة النبيﷺ .

(**فِي مَعَادِي**) بفتح الميم والعين وكسر الدال : جار ومجرور متعلق بـ (يَكُنْ) .

(**آخِذاً**) بهمزة ممدودة وبخاء وذال : خبر (يَكُنْ) .

(**بِيَدِي**) : جار ومجرور متعلق بـ (آخِذاً) .

(**فَضْلاً**) : مفعول لأجله منصوب بـ (آخِذاً) .

(**وَإِلاَّ**) : حرف شرط مقرون بلا النافية ، وفعل الشرط وجوابه محذوفان ، أي وإن كان آخذاً بيدي فزتُ ، حيث نفي النفي إثبات . والجملة مقرونة بواو الاعتراض بين الشرط الأول وجوابه .

(**فَقُلْ**) : جواب الشرط الأول .

(**يَا**) : حرف نداء .

(**زَلَّةَ**) بفتح الزاي : منادى منصوب .

(**القَدَمِ**) بفتح الدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**إِنْ لَمْ يَكُنْ**) : أي النبيﷺ .

(**فِي مَعَادِي**): أي في عودي إلى الله تبارك وتعالى إلى دار الجزاء .
(**آخِـذاً بِيَـدِي**) : أي بـأن يشـفع لي عنـد اشـتداد الكـرب بي في المحشر ؛ لأن الأخذ باليد يعني الخلاص من الشدة .
(**فَضْلاً**) : أي فضلاً منه ﷺ لا لسابقة مني أستحق بها أخذه بيدي ، فإن الفضل والمنة لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ .
(**وَإِلاَّ فَقُلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ**) : عبـارة عـن الشـقاء والهـلاك وسـوء الحال ، أي يا زلة القدم تعالَيْ فهذا أوانكِ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن لم يكن النبي ﷺ في عودي يوم القيامـة لـدار الجـزاء آخـذاً بيـدي شفيعاً لي فضلاً منه وإحساناً لي ، وإلا فيا زلة قدمي عـن الصـراط المستقيم ، وإن كان كمـا أرجو آخذاً بيـدي فهـي السـعادة الأبديـة بعد يوم الدين .

ثم قال :

حَاشَـاهُ أَنْ يُـحْـرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ
أَوْ يَرْجِـعَ الـجَـارُ مِنْـهُ غَـيْرَ مُـحْتَـرَمِ



١٤٨- حَاشَاهُ أَنْ يُـحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَـهُ
أَوْ يَرْجِـعَ الجَـارُ مِنْـهُ غَـيْرَ مُحْـتَرَمِ

الإعراب الموجز

(**حَاشَاهُ**) : مصدر منصوب بفعل محذوف ، والهاء مضاف إليها .
والتقدير : أحاشيه حاشا أي محاشاة ، أي أنزهه تنزيهاً .
(**أَنْ**) بفتح الهمزة وسكون النون : حرف نصب .
(**يُـحْرِمَ**) بضم الياء وكسر الراء : فعل مضارع مبني للفاعل مأخوذ من أحرم ، وفاعله مستتر فيه يعود للنبيﷺ .
(**الرَّاجِي**) بسكون الياء على لغة : مفعوله الأول .
(**مَكَارِمَهُ**) : مفعوله الثاني .
(**أَوْ يَرْجِعَ**) : بالنصب عطفاً على (يُـحْرِمَ) .
(**الجَارُ**) : فاعل (يَرْجِعَ) .
(**مِنْـهُ**) : جار ومجرور متعلق (يَرْجِعَ) ، والضمير يعود للنبيﷺ .
(**غَيْرَ**) : حال من (الـجَارُ) .
(**مُـحْتَـرَمِ**) بفتح التاء والراء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**حَاشَاهُ**) : أي أنزه النبيﷺ تنزيهاً .
(**أَنْ يُـحْرِمَ**) : أن يمنع .
(**الرَّاجِي**) : الرجاء هو الطمع في أمر يمكن الحصول عليه .
(**مَكَارِمَـهُ**) : جمع مكرمة ، والمراد بها هنا الشفاعة .

(**أَوْ يَرْجِعَ الجارُ مِنْـهُ**) : أي الداخل في جوارهﷺ .
(**غَيْرَ مُـحْتَـرَمِ**) : غير موقر .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

حاشاهﷺ وننزهه أن يُحرم ويمنع الذي يطمع في مكارمه عليه الصلاة والسلام أن يرجع بدون جوار ، كيف لا وهوﷺ صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ؟

وحاصل ذلك أن قدر النبيﷺ الجليل يأبى أن يُحرم الراجي الذليل الطامع لكرمهﷺ ، وأن يرجع مَن التجأ إلى جواره المنيع وجنابه الرفيع محروماً من نواله الوسيع .

فكيف يُهان من تأمّل شفاعة النبيﷺ وهو سيد كل كريم مِن خلق الله ، أو يُضام مَن نزل بحمى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ؟

وهذا البيت زيادة في تسكين النفس من خوفها ، وتقوية تطمينها من قلقها .

نسأل الله تعالى العلي القدير أن يجعلنا من أهل شفاعته وتحت لوائه ، إنه سميع كريم .

ثم قال الناظم :

وَمُنْـذُ أَلْـزَمْتُ أَفْكَـارِي مَدَائِحَـهُ
وَجَدْتُـهُ لِـخَلاَصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ



١٤٩- وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَدَائِحَـهُ
وَجَدْتُـــهُ لِخَـــلاَصِي خَـــيْرَ مُلْتَـــزِمِ

الإعراب الموجز

(**وَمُنْذُ**) : ظـرف زمـان وذلـك لـدخولها عـلى الجملـة الفعليـة في محل نصب بـ (وَجَدْتُ) .

(**أَلْزَمْتُ**) بضم التاء : فعل وفاعل .

(**أَفْكَارِي**) بفتح الهمزة : مفعول أول لـ (أَلْزَمْتُ) .

(**مَدَائِحَهُ**) : مفعول ثان لـ (أَلْزَمْتُ) .

(**وَجَدْتُـهُ**) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(**لِخَلاَصِي**) : جار ومجرور متعلق بـ (وَجَدْتُ) .

(**خَيْـرَ**) : مفعول ثان لـ (وَجَدْتُ) ، وهي مضاف .

(**مُلْتَـزِمِ**) بكسر الزاي : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**أَلْزَمْتُ**) : الإلزام جعل الشيء لازماً غير منفك ، يقال : ألزمـتُ نفسي الأمر ، أي جعلتها لازمة له .

(**أَفْكَارِي**) : الأفكار جمع فكر ، وهو أعمـال القوة المفكـرة لتـدبير أمر من الأمور .

(**مَدَائِحَهُ**) : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن .

(**وَجَدْتُـهُ**) : أي وجدت النبيﷺ .

مأخوذة من الوجدان، وهو أن يرى المرء ضالته بعد طلبها.

(**لِخَلاَصِي**) : أي من كل مكروه .

والخلاص مصدر خَلَصَ بفتح اللام في الماضي وضمها في المضارع خَلُصَ، وهو أن يَخرج الإنسان من شيء تقيّد به.

(**خَيْرَ مُلْتَزِمِ**) : بمعنى تكفّل وأوجب على نفسه ، أي خير مَن التزم بخلاص من التجأ إليه ولاذ في الشدائد به .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ومنذ زمان ألزمت ذات أفكاري مدائحهﷺ في الدنيا متوسلاً بها في مطالبي الكثيرة ، كطلب الخلاص من الداء الذي لا يقدر على رفعه إلا الله تعالى ببركتهﷺ ، وجدته عليه الصلاة والسلام لخلاصي من جميع هذه الشدائد التي تصيبني خير ملتزم .

وإن هذا الداء الذي أشار إليه هو سبب إنشائه القصيدة ، فقد أصيب رحمه الله تعالى بفالج أبطل نصفه كما أسلفنا في بداية شرحنا ، فعمل هذه القصيدة واستشفع بها ، فرأى النبيﷺ في النوم ، فمسح بيده الشريفة عليه ، فعوفي من ساعته .

فلما استيقظ قال له بعض الصالحين : أَسْمِعْني هذه القصيدة التي مدحتَ بها النبيﷺ ، والتي تقول في أولها : (**أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ** ....) ، فلقد سمعتُها تنشد بين يديه ﷺ وهو يتمايل كالغصن الدقيق على الشجرة .

ثم قال المصنف رحمه الله :

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ
إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ



١٥٠ - **وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْـهُ يَـداً تَرِبَـتْ**
إِنَّ الحَيَـا يُنْبِـتُ الأَزْهَـارَ فِي الأُكُـمِ

الإعراب الموجز

(**وَلَنْ**) : حرف نصب .
(**يَفُوتَ**) : منصوب بـ (لَنْ) .
(**الغِنَى**) بكسر الغين وفتح النون : فاعل (يَفُوتَ) .
(**مِنْـهُ**): جار ومجرور متعلق بـ (يَفُوتَ) ، والهاء تشير للنبيﷺ .
(**يَداً**) بفتح الياء : مفعول (يَفُوتَ) .
(**تَرِبَتْ**) بفتح التاء الأولى وكسر الراء: فعل وفاعل، والجملة نعت (يَداً).
(**إِنَّ**) بكسر الهمزة وفتح النون المشددة : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .
(**الحَيَا**) بفتح الحاء والياء والقصر : اسم (إِنَّ) .
(**يُنْبِتُ**) بضم الياء و سكون النون وكسر الباء : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود إلى (الحَيَا) .
(**الأَزْهَارَ**) بفتح الهمزة وسكون الزاي : مفعول به .
(**فِي الأُكُمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (يُنْبِتُ) .

تفسير الكلمات

(**وَلَنْ يَفُوتَ** ...) : هذه جملة مستأنفة .
(**الغِنَى**) : الاستغناء بالشفاعة عن الأعمال .
(**مِنْـهُ**) : الضمير يعود للنبيﷺ .
(**يَداً**) : اليد هي الجارحة ، وقد يُراد بها النفس .
(**تَرِبَتْ**) : التصقت بالتراب وافتقرت ، أو خسرت ما كان بيدها إما من الأموال في الدنيا ، وإما من الثواب للآخرة . أي

إما افتقاراً حسياً أو معنوياً لاقتراف المعاصي ، فهوﷺ يشفع للمذنب ، ويَدْخُلُ المشفوع له الجنة بذلك .

وإنما لم يفت الغنى منهﷺ اليد المذكورة لعموم الغنى منهﷺ لجميع الأيدي التي تكون كذلك ومنها يد الناظم ، واستدل على هذا بقوله : (إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ) .

(**الحَيَا**) : الغيث .

(**الأَزْهَارَ**) : جمع زهر .

(**فِي الأُكُمِ**): جمع أكمة وهي الربوة، أي المحل المرتفع من الأرض.

ووجه الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسو ساً أن الحَيا لعموم بركته ينبت الأزهار في المواضع التي لا يُظن نبتٌ فيها كالأكم ؛ لعدم ا ستقرار الماء عليها لعلوها . فكذا النبيﷺ لعلو منزلته وشرف قدره عند ربه تبارك وتعالى ، فإنه ينيل الغنى من يظن أن لا يستغني لشدة فقره وفاقته .

وهذا التشبيه إنما هو على سبيل التقريب للأفهام ، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله البشري إلا الله سبحانه وتعالى .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن عطايا النبيﷺ لا تفوت يدَ فقيرٍ ذي فاقة ، فإن المطر إذا نزل إلى الأرض عمّ الصالح منها وغير الصالح ، وأنبت الريحان والأزهار على رؤوس المنازل وأطراف الروابي .

ثم قال المصنف :

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ



١٥١ - وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

الإعراب الموجز

(**وَلَمْ**) : حرف جزم .

(**أُرِدْ**) بضم الهمزة وكسر الراء : فعل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(**زَهْرَةَ**) : مفعول به .

(**الدُّنْيَا**) : مضاف إليه .

(**الَّتِي**) : اسم موصول .

(**اقْتَطَفَتْ**) : صلة (الَّتِي) ، والعائد بينهما محذوف أي اقتطفتها .

(**يَدَا**) : فاعل (اقْتَطَفَتْ) ، وحذفت النون للإضافة بناء على أنه مثنى .

ويجوز أن يكون مفرداً مقصوراً على لغة من قال :

يا رب ساريات ما توسدا إلا ذراع العيس أو كف اليدا

(**زُهَيْرٍ**) بضم الزاي وفتح الهاء : مضاف إليه .

(**بِمَا**) : الباء للسببية ، و(مَا) حرف موصول ، والجار والمجرور متعلق بـ (اقْتَطَفَتْ) .

(**أَثْنَى**) بفتح الهمزة وسكون الثاء وفتح النون : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى (زُهَيْرٍ) . والجملة صلة (مَا) .

(**عَلَى هَرِمِ**) بفتح الهاء وكسر الراء : جار ومجرور متعلق بـ(أَثْنَى).

تفسير الكلمات

(**وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ**) : أي لم أرد الحياة .

(**الدُّنْيَا**) : أي نعيمها ومشتهياتها ، وما فيها من لذات المال والجاه وغيرهما .

وإنما عبّر بالزهرة تشبيهاً للدنيا بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعاً .

(**الَّتِي اقْتَطَفَتْ**) : التي جنت .

(**يَدَا زُهَيْرٍ**) : قصد المصنف الشاعر المشهور أبا كعب زهير بن أبي سُلمى صاحب قصيدة (بانت سعاد) المشهورة . كان من الشعراء المتقدمين على سائر شعراء الجاهلية : كعنترة ، وطرفة بن العبد ، وامرئ القيس ، والنابغة الذبياني . وله أخت تسمى الخنساء ، كانت كذلك شاعرة مشهورة ، فالشعر كان فيهم وراثة .

(**بِمَا أَثْنَى**) : بما مدح .

(**عَلَى هَرِمٍ**) : أي بالمدح الذي أثنى به على هَرِم بن سنان بن حيان .

وهو أحد أجود ملوك العرب ، كان من سيرته أنه يصل الشعراء ومن يمدحه ، وقد وصل زهيراً بالصلات الكثيرة الخارجة عن العادة ، ومن جملة ما اتفق معه أنه حلف بأن يعطيه كلما مدحه غُرة - عبداً أو أَمَة - أو قيمتها ، وأنه كلما سلّم عليه أعطاه ما ذكرنا ، حتى استحيى منه زهير لكثرة عطائه ، فصار إذا رآه في قوم قال : أَنْعِمُوا صباحاً غير هَرِم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إني لم أرد بمدحي النبيﷺ إلا الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى في الآخرة ، ولم أرد بذلك زهرة الدنيا ونضارتها من المال والجاه وغيرهما ، ولم أرد أن أكون وأتشبه بزهير بن أبي سُلمى الشاعر المشهور بما أثنى على هَرِم حباً في زهرة الدنيا ، بل أريد شفاعة النبيﷺ من وزر أعمالي وسوء أحوالي ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثم قال :

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ



١٥٢- يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُـــوذُ بِـهِ
سِـــوَاكَ عِنْـــدَ حُلُـــولِ الحَــادِثِ العَمِـــمِ

الإعراب الموجز

(**يَا**) : حرف نداء .

(**أَكْرَمَ**) : منادى منصوب .

(**الخَلْق**) : مضاف إليه .

(**مَا**) : حرف نفي .

(**لِي**) : خبر مقدم .

(**مَنْ**) : مبتدأ مؤخر ، وهو نكرة موصولة بمعنى أحد .

(**أَلُوذُ**) بفتح الهمزة وضم اللام : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(**بِهِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (أَلُـوذُ) ، والجملة صفة (مَنْ) وعائدها الهاء من (بِـهِ) .

(**سِوَاكَ**) بكسر السين : بدل من النكرة ، أو صفة ثانية لها أي غيرك ، أو ظرف مكان أي مكانك .

(**عِنْدَ**) : منصوب بما في (لِي) من معنى الاستقرار .

(**حُلُولِ**) بضم الحاء واللام الأولى : مضاف إليه ومضاف أيضاً .

(**الحَادِثِ**) : مضاف إليه .

(**العَمِمِ**) بفتح العين وكسر الميمين : نعت (الـحَادِثِ) .

تفسير الكلمات

(**يَا أَكْرَمَ الخَلْق**) : خطاب للنبي ﷺ ، حيث هو عليه الصلاة

والسلام أكرم الخلق وأفضلهم ؛ لهذا خصّه الله تبارك وتعالى بالشفاعة العظمى يوم القيامة ، وهي شفاعته في فصل القضاء .

(**مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ**) : ليس لي أحد ألتجئ إليه .

(**سِوَاكَ**) : غيرك .

(**عِنْدَ حُلُولِ**) : عند نزول .

(**الحَادِثِ العَمِمِ**) : المراد به وقوع هول يوم القيامة العام الشامل لجميع الخلق .

المعنى الكلي

إن المصنف لما مدح النبيﷺ على سبيل الإخبار عن الغائب ، أقبل بالخطاب عليه قائلاً :

يا أكرم كل مخلوق ، ما لي أحد سواك ألتجئ إليه يوم القيامة من هول يومه العميم ، وكربه العظيم ، وخطبه الجسيم ، والخلق كلهم متطاولون إلى جاهك الرفيع ، وجنابك المنيع عند الله سبحانه وتعالى .

ثم قال :

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ الله جَاهُكَ بِي
إِذَا الكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ



١٥٣ - وَلَنْ يَضِيقَ رَسُـولَ الله جَاهُـكَ بِي
إِذَا الكَـرِيمُ تَـحَلَّـى بِاسْـمِ مُنْـتَـقِـمِ

الإعراب الموجز

(**وَلَنْ**) : حرف نصب .

(**يَضِيقَ**) بفتح الياء وكسر الضاد : منصوب بـ (لَنْ) .

(**رَسُولَ**) : منصوب بالنداء .

(**الله**) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(**جَاهُكَ**) بفتح الجيم وضم الهاء : فاعل (يَضِيقَ) .

(**بِي**) بكسر الباء : جار ومجرور متعلق بـ (يَضِيقَ) .

(**إِذَا**) بكسر الهمزة وفتح الذال : ظرف لما يُستقبل من الزمان .

(**الكَرِيمُ**) : فاعل فعل محذوف يفسره (تَحَلَّى) ، والتقدير : إذا تحلّى الكريم .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ [الانشقاق : ١] .

(**تَحَلَّى**) بفتح التاء والحاء واللام المشددة : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى (الكَرِيمُ) .

ويروى (إِذْ) بسكون الذال ، وعلى هذا يكون (الكَرِيمُ) مبتدأ ، و(تَحَلَّى) خبره .

(**بِاسْمِ**) : جار ومجرور متعلق بـ (تَحَلَّى) .

(**مُنْتَقِمِ**) بكسر القاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ الله جَاهُكَ**) : المراد بالجاه هنا القدر والمنزلة ، حيث الجاه مأخوذ من الوجاهة وهي رفعة القدر وسعة المرتبة، يقال: رجل وجيه أي معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأي .

والمعنى هنا: بل جاهك رحب واسع يسعني ويسع كل عاص مثلي.

(**بِي**) : بمعنى عني .

(**إِذَا الكَرِيمُ**) : أي الخالق جلت عظمته وتعالى شأنه .

(**تَـحَلَّى**) : اتصف .

والمراد أوقع الانتقام ؛ لأن التحلية تحدد الصفة ، وهي في حق الله تعالى محال .

(**بِاسْمِ مُنْتَـقِمِ**) : المنتقم هو المعاقب لمن عصاه ، أي وانتقم الله تبارك وتعالى ممن عصاه .

المعنى الكلي

في هذا البيت يطلب المصنف من النبيﷺ أن يجود عليه بالشفاعة لينقذه مما استحقه من العقاب ، فيقول :

ولن يضيق يا رسول الله جاهك عني لكوني التجأت إليك بالتوسل بك لاستنقاذي مما أستحقه من العقاب ، وذلك إذا اشتد الأمر عليّ يوم القيامة ونفد الصبر ، وإذا الكريم اتصف بمسمى منتقم ، وذلك حين يقع الانتقام من العصاة ، ويُستشفع إلى المرسلين ، فكلٌّ حينئذ يقول : نفسي نفسي ، وأنت يا رسول الله صلى الله وسلم عليك تقول : أمتي أمتي . فإنك المقدم عند الله من الخلق ، فَجُدْ عليّ بالشفاعة .

ولقد ذكر بعض الشراح كلاماً كثيراً هنا أغفلت الكلام عنه ، حيث هذه العُجالة لا تسعه .

ثم قال المصنف :

فَـإِنَّ مِـنْ جُـودِكَ الدُّنْيَـا وَضَرَّتَـهَا

وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ وَالقَلَـمِ



١٥٤ - فَــإِنَّ مِــنْ جُــودِكَ الــدُّنْيَا وَضَرَّتَهَــا
وَمِــنْ عُلُومِــكَ عِلْــمَ اللَّــوْحِ وَالقَلَــمِ

الإعراب الموجز

(**فَإِنَّ**) : حرف توكيد ونصب .
(**مِنْ جُودِكَ**) بضم الجيم : جار ومجرور خبر (إِنَّ) مقدم .
(**الدُّنْيَـا**) : اسم إِنَّ مؤخر .
(**وَضَرَّتَهَا**) بفتح الضاد والتاء : معطوف على (الدُّنْيَا) .
(**وَمِنْ عُلُومِكَ**) : جار ومجرور معطوف على (مِنْ جُودِكَ) .
(**عِلْمَ**) بكسر العين : معطوف على (الدُّنْيَا) منصوب ، وهو من عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر .
ويحتمل أن يكون (عِلْمُ) مرفوعاً على الابتداء ، تقدم خبره في المجرور قبله ، والجملة مستأنفة .
ومن تمعّن في العبارتين وجد الأول أَوْلى ؛ لِما فيها من التأكيد بـ (إِنَّ) .
(**اللَّوْحِ**) : مضاف إليه .
(**وَالقَلَمِ**) بفتح القاف واللام : معطوف على (اللَّوْحِ) .

تفسير الكلمات

(**فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ**) : أي لأن من بعض جودك ...
(**الدُّنْيَا**) : المراد بها ما قابل الأخرى .
(**وَضَرَّتَهَا**) : الضرة هنا هي الآخرة ، والمراد نعيمها .

وضرة المرأةِ امرأةُ زوجها ، وسُمِّيَت بذلك لما بينهما من ضرر المعاشرة فلا تكاد تجتمعان على أمر واحد . كما أن الدنيا والآخرة ضرتان ؛ لأنهما لا تجتمعان لطالب واحد لما بينهما من التنافي .

(**وَمِنْ**) : أي ومن بعض .

(**عُلُومِكَ**) : العلوم جمع علم ، وإنما جمع باعتبار أنواعه . والمراد بعلومهﷺ المعلومات التي أطلعه الله تبارك اسمه عليها ، وهي علوم الأولين والآخرين .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ : « أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة – قال : أحسبه في المنام – فقال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا . قال : فوضع يده بين كَتِفَي حتى وجدت بردها بين ثديَي – أو قال : في نحري – ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض . قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم. قال : في الكفارات، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره . ومَن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان مِن خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : يا محمد ، إذا صليتَ فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردتَ بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات إفشاء السلام ، وإطعام

الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام »[1] .

وهذا الحديث رؤيا منامية ، ورؤيا الأنبياء وحي .

والصورة هنا صورة تجلي لا أنَّ الله تعالى تجسّم في صورةٍ ، ننزهه سبحانه أن يتصف بمـا يتصف به الخلق ، تعـالى الله وتبارك أن يشبه شيئاً أو أن يشبهه شيء .

(**عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ**) : المراد المعلومات التي كتبها القلم في اللـوح وثبتت فيه بأمر الله تبارك وتعالى .

فقد ورد في الخبر عـن عبـادة بـن الصـامت مرفوعـاً قـال لابنه : « يا بني ، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمـان حتـى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكـن ليصيبك . سمعتُ رسول اللهﷺ يقول : إنَّ أول مـا خلـق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . يـا بنـي ، إني سمعت رسول اللهﷺ يقول : مَن مات على غير هذا فليس مني »[2] .

وورد في الحديث الذي رواه عبد الرزاق بسنده عن جـابر ابن عبد الله قال : « قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمـي أخـبرني عـن أول شيء خلقـه الله قبـل الأشـياء . قـال :

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي في سننه ، وعبد بن حميد ، وعبدالرزاق في جامعه عـن أبي قلابة عن ابن عباس. قال أبو عيسى : وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجاج عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو داود والبيهقي في سننه .

يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ، ولا نار، ولا مَلَك ، ولا سماء ، ولا أرض، ولا شمس ، ولا قمر ، ولا جني ، ولا إنسي . فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأراضين ، ومن الثالث الجنة والنار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أُنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله)) (١) .

ويُجمع بينه وبين الحديث الأول ؛ بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي ، والماء ، والعرش .

---

(١) نقل من كتاب كشف الخفاء ج١ ص١١١ .

والحديث كذا في المواهب ، وقال فيها : واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا ؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني : الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) ، وهذا صريح في أن التقرير وقع بعد خلق العرش .

وقيل : الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه ، أي أول ما خلق الله من الأنوار نور نبينا محمدﷺ وكذا باقيها .
كذا ورد في كتاب كشف الخفاء ، وفيه بحث طيب راجعه إن شئت .

المعنى الكلي

هذا البيت تعليل للبيت الذي قبله ، فكأن المصنف رحمه الله تعالى يقول :

وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي ، بل يسعني ويسع غيري من العصاة ؛ لأن من بعض جودك صلى الله وسلم عليك خيري الدنيا والآخرة ، ومن علومك كذلك عِلْمَي اللوح والقلم ، وأنت الحقيق بذلك والمُعَوَّل في الشفاعة عليك ، ولا أقطع رجائي منك .

ولقد استشكل بعضهم جعل علم اللوح والقلم من بعض علومهﷺ ؛ لأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾ [لقمان : ٣٤] ، علماً أن النبي ﷺ لا يعلمها ؛ لأن الله سبحانه قد استأثر بعلمها ، فلا يتم التبعيض المذكور .

وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم في

اللوح ، وإلا لاطّلع مَن شأنه أن يطّلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين ، وعلى تسليمهم أنها مما كتب القلم في اللوح .

والمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق ، فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تبارك وتعالى بهذه الأمور .

وإن قيل : إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ ، فما البعض الآخر ؟

أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره ربه تبارك وتعالى عنه من أحوال الآخرة ؛ لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط كما مر آنفاً في الحديث الشريف .

ثم خاف المصنف على نفسه القنوط واليأس من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف ، فأقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ، ويؤنسها بعظم فضل الله تبارك وتعالى ، فقال :

يَا نَفْسِ لاَ تَقْنِطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ



١٥٥- **يَا نفْسِ لاَ تَقْنِطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ**
إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

الإعراب الموجز

(**يَا**) : حرف نداء .

(**نَفْسِ**) بكسر السين : منادى مضاف لياء المتكلم ، وحُذف المضاف إليه واكتفي بالكسرة .

وإن قرئ بالضم (يَا نَفْسُ) فهو لغة قليلة إلا أن تكون نكرة مقصودة .

(**لاَ**) : حرف نهي .

(**تَقْنِطِي**) بكسر النون: مجزوم بـ (لاَ)، وعلامة جزمه حذف النون .

(**مِنْ زَلَّةٍ**) بفتح الزاي وتشديد اللام : جار ومجرور متعلق بـ (تَقْنِطِي) .

(**عَظُمَتْ**) بضم الظاء : صفة (زَلَّةٍ) .

(**إِنَّ الكَبَائِرَ**) : إِنَّ واسمها .

(**فِي الغُفْرَانِ**) : جار ومجرور متعلق بما تعلق به خبر (إِنَّ) .

(**كَاللَّمَمِ**) بفتح اللام المشددة والميم الأولى : جار ومجرور خبر (إِنَّ) يتعلق بالاستقرار .

تفسير الكلمات

(**يَا نَفْسِ**) : يخاطب نفسه رحمه الله تعالى .

(**لاَ تَقْنِطِي**) : لا تيأسي ، فالقنوط هو اليأس من رحمة الله تعالى .

(**مِنْ زَلَّةٍ**) : الزلة هي الذنب الشامل للكبير والصغير .
(**عَظُمَتْ**) : كَـبُـرَتْ .
(**إِنَّ الكَـبَائِـرَ**) : جمع كبيرة ، وهي الذنوب العظام .
(**فِي الغُفْرَانِ**) : أي في جانب الغفران ، بمعنى المغفرة .
(**كَاللَّمَمِ**) : هي صغار الذنوب .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً نفسه :

يا نفسي ، لا تقنطي من عفو زلة عظمت ، ومن مغفرة ذنب كبير ، فإن فضل الله تبارك وتعالى عظيم ، وحلمه وعفوه عن الذنب عميم . وإن الكبائر العظام التي ارتكبتيها أيتها النفس في جانب الغفران منه تبارك وتعالى كاللمم وهي صغائر الذنوب . فإنه ورد أنه ﷻ يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ويعفو عن الكبائر إن شاء تعالى بفضله وكرمه ، وشفاعة نبيه ﷺ .

قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء : ٤٨/١١٦] .

وما ذكره المصنف هنا بأن الكبائر في جواز العفو عنها كالصغائر هو مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة ، والموافق للقرآن والحديث الشريفين ، والدليل العقلي ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يجب عليه ثواب ، ولا يُحَتَّم عليه عقاب . فالثواب منه تعالى فضل ، والعقاب منه عدل ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

وبذلك يكون المصنف قد ردّ بمذهب أهل الحق الموافق للقرآن الكريم والسنة المشرفة ، ولِما كان عليه السلف والخلف ، على المعتزلة الزاعمين بأن الكبائر ليست كالصغائر ، وأن الكبائر لا يغفرها الله تعالى ، ومرتكبها يُخَلَّد في النار لأنه ليس مؤمناً وليس كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر .

ولما نهى المصنف نفسه عن القنوط واليأس ، قدّر في كلامه بأنها أجابته قائلة له : أنا لا أقنط من رحمة الله تعالى فإن ذلك كفر ، ولكني أخشى أن يكون حظي من الرحمة لا يفي بتبعات ذنوبي لعظمها وكثرتها .

فأجابها المصنف قائلاً :

لَعَلَّ رَحْمَةَ ربِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القِسَمِ



١٥٦ - لَعَــلَّ رَحْمَــةَ ربِّي حِــينَ يَقْسِــمُهَا
تَــأْتِي عَــلَى حَسَــبِ العِصْــيَانِ فِي القِسَــمِ

الإعراب الموجز

(**لَعَلَّ**) : حرف ترجٍ .
(**رَحْمَـةَ**) : اسمها .
(**رَبِّي**) : مضاف إليه .
(**حِينَ**) : ظرف زمان منصوب بـ (تَـأْتِي) .
(**يَقْسِمُهَا**) : فعل وفاعل ومفعـول بـه ، والجملـة في موضـع جـر بإضافة (حِينَ) إليها .
(**تَـأْتِي**) : خبر (لَعَلَّ) .
(**عَلَى حَسَبِ**) بفتح الحاء والسين : جار ومجرور متعلق بـ (تَأْتِي) .
(**العِصْيَانِ**) بكسر العين وسكون الصاد : مضاف إليه .
(**فِي القِسَمِ**) بكسر القاف وفتح السين: جار ومجرور متعلق بـ(حَسَبِ).

تفسير الكلمات

(**لَعَلَّ رَحْمَـةَ**) : أي أرجو أن تكون رحمة ربي .
(**رَبِّي**) : أي خالقي ومربيني وكل موجود .
(**حِينَ يَقْسِمُهَا**) : أي عند القسمة .
(**تَأْتِي عَلَى حَسَبِ**) : المراد هنا القَدْر ، أي على قدر .
(**العِصْيَانِ**) : ضد الطاعة ، وهي تشمل الصغائر والكبائر .
(**فِي القِسَمِ**) : جمع قسمة ، وهو ما يقسمه الله تعالى لخلقه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لعل رحمة ربي التي تنال العصاة وتستر ذنوبهم يوم القيامة حين يقسمها تبارك اسمه ، إذا وُزعت عليهم تأتي أقسامها في العظم والصغر على قدر العصيان في القسم ، فتعم الكبائر والصغائر ؛ لأن ذنبي كبير فأرجو أن يكون نصيبه من الرحمة بقدره كذلك .

فمن حمل من آثام المعاصي حملاً كبيراً ، ناله من أقسام الرحمة التي هي ستر المعاصي يوم القيامة عن الخلق الكثير من المغفرة .

وهذا ممكن حيث الرحمة التي تنال العاصين يوم القيامة وقَسْمُها على هذا الوجه ممكن بجواز العفو عما عدا الشرك ، وإن شفاعة النبي ﷺ تكون للعصاة كما قال في الحديث الشريف : ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) (1) .

ومن الملاحظ في هذه القصيدة أنها قد اشتملت على عدة أنواع منها : التغزل ، وتوبيخ النفس ، والوعظ ، ومدح النبيﷺ ، وذكر بعض معجزاته ، ومدح القرآن الكريم ، ومدح الصحابة الكرام ، وذم الكفار ، والإقرار بالذنب ، ... وغير ذلك . وقد ختمها رحمه الله تعالى بالدعاء ثم بالصلاة على النبيﷺ ، فقال :

يَـا رَبِّ وَاجْعَـلْ رَجَـائِي غَـيْرَ مُـنْعَكِسٍ
لَـدَيْكَ وَاجْعَـلْ حِسَـابِي غَـيْرَ مُنْخَـرِمِ



---

(1) أخرجه الترمذي في الزهد عن عباس بن عبدالعظيم العنبري عن عبدالرزاق عن أنس ، وقال : حديث حسن صحيح غريب مِن هذا الوجه . وصحّحه الحاكم وابن حبان . وأخرجه أحمد ، وأبو داود عن سليمان بن حرب ، والطبراني ، والبزار ، والبيهقي في سننه وقال : إسناده صحيح . وروى ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعاً ، ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف إلا ما رواه عبدالرزاق عن أنس ، فإن إسناده صحيح على شرط الشيخين .

١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَـدَيْكَ وَاجْعَـلْ حِسَـابِي غَـيْرَ مُنْخَـرِمِ

الإعراب الموجز

(**يَا**) : حرف نداء .

(**رَبِّ**) : منادى ، وأصله : يا ربي بالإضافة إلى ياء المتكلم ثم حذفت للتخفيف ، والكسرة دليل على حذفها . فهي كقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم : ٤] .

ويجوز فيه الرفع على أنه منادى مفرد علم (يا رَبُّ) .

(**وَاجْعَلْ رَجَائِي**) : فعل وفاعل ومفعول أول ، والجملة معطوفة على جملة مقدرة قبلها ، والتقدير : يا رب حقق ظني واجعل رجائي .

(**غَيْرَ**) : مفعول ثان لـ (اجْعَلْ) .

(**مُنْعَكِسٍ**) : مضاف إليه .

(**لَدَيْكَ**) بفتح الدال : جار ومجرور متعلق بـ (مُنْعَكِسٍ) .

(**وَاجْعَلْ**) : فعل وفاعل .

(**حِسَابِي**) : مفعوله الأول .

(**غَيْرَ**) : مفعوله الثاني .

(**مُنْخَرِمِ**) بفتح الخاء وكسر الراء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(**رَجَائِي**) : الرجاء هو الأمل .

(غَيْرَ مُنْعَكِسٍ) : غير مخالف لظني بك يا رب .
(لَدَيْكَ) : بمعنى عندك .
(وَاجْعَلْ حِسَابِي) : المقصود بالحساب هنا الاعتقاد ، أي واجعل اعتقادي .
(غَيْرَ مُنْخَرِمِ) : غير منقطع لديك .

المعنى الكلي

يلاحظ من كلام المصنف في هذا البيت الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه ، فيقول رحمه الله تعالى :
يا رب واجعل ما أمّلته فيك غير مخالف له ، واجعل ما اعتقدته فيك من العفو والكرم غير منخرم عندك ، فإنك وعدتني بالإجابة بقولك : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر : ٦٠]. وها أنا عبدك وأنت سيدي وربي وسندي وذخري ومعتقدي ، فاستجب دعائي كما وعدتني يا رب العالمين ، وبلغني مناي وحقق ظني ، واجعل رجائي عندك غير منعكس يوم القيامة حيث هو يوم الثواب والعقاب ، واجعل حسابي واعتقادي وظني الجميل فيك أن تعفو عن زلاتي ، وتُنيلني من فضلك ما أملته من جودك ، غير منقطع وغير ممتنع ذلك الظن ، وغير ناقص لديك بل أجده حسبما قَدَّرْتَه .

ثم قال :

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ



١٥٨ - وَالْطُفْ بِعَبْـدِكَ فِي الـدَّارَيْنِ إِنَّ لَـهُ
صَــبْراً مَتَــى تَدْعُــهُ الأَهْــوَالُ يَنْهَــزِمِ

الإعراب الموجز

(**وَالْطُفْ**) بضم الطاء : معطوف على (اجْعَلْ) في البيت السابق .

(**بِعَبْدِكَ**) ، (**فِي الدَّارَيْنِ**) : جار ومجرور متعلقان بـ (الْطُفْ) .

(**إِنَّ لَـهُ**) : إنَّ وخبرها .

(**صَبْراً**) بفتح الصاد وسكون الباء : اسمها .

(**مَتَى**) : ظرف زمان متضمن معنى الشـــرط يجـزم فعلـين ، وهـو منصوب بـ (تَدْعُهُ) .

(**تَدْعُهُ**) : مجزوم بـ (مَـتَى) وعلامة جزمه حذف الواو .

(**الأَهْوَالُ**) : فاعل (تَدْعُهُ) .

(**يَنْـهَزِمِ**) بكسر الزاي : جواب (مَـتَى) مجزوم ، ووجود الكسـرة على الميم من أجل الروي والقافية .

تفسير الكلمات

(**وَالْطُفْ**) : بمعنى ارفق ، والرفق هـو فعـل الأصـلح ، واللطافـة ضد الكثافة .

(**بِعَبْدِكَ**) : قصـد المصـنف هنـا نفسـه ، واختـار أن يصـف نفسـه بالعبودية ؛ لِمـا فيها مـن غايـة الـذل والخضـوع . وذلـك مناسب لمقام الدعاء ، حيث هذا البيت من تمام الدعاء .

(**فِي الدَّارَيْنِ**) : أي داري الدنيا والآخرة .

(**إِنَّ لَـهُ**) : أي إن لعبدك ... وعنى نفسه كما أسلفنا .

(**صَبْراً**) : أي صبراً ضعيفاً لا يقيم على مقاساة الأهوال .

(**الأَهْوَالُ**) : جمع هول ، وهو الأمر العظيم المخيف ، يقال : هالني هذا الأمر بمعنى راعني وأخافني .

(**يَنْهَزِمِ**) : أي متى تطلبه الأمور المهولة ينهزم صبره ولا يثبت فيهلك ، وبلطفك يا الله يندفع الهلاك .

المعنى الكلي

إن هذا البيت كما ذكرنا من تمام الدعاء ، ولقد طلب المصنف رحمه الله تعالى بقوله : (**وَالْطُفْ**) ، أي وارفق يا الله بعبدك في داري الدنيا والآخرة فيما قدّرته علي فيهما ، فإن لي صبراً ضعيفاً لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد ، فمتى طلبتني الأهوال لملاقاتها فإنني أنهزم وأهرب منها من أول الأمر ، ولا أستطيع أن أقابلها ؛ لذا فإني مفتقر إلى اللطف بي والإحسان إلي .

ثم ختم دعاءه بالصلاة على النبي ﷺ ، فقال :

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ



١٥٩ - وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْـكَ دَائِمَـةٍ
عَــــلَى النَّبِـــــيِّ بِمُنْهَـــــلٍّ وَمُنْسَـــــجِمِ

الإعراب الموجز

(**وَائْذَنْ**) بسكون الهمزة وفتح الذال : فعل وفاعل .

(**لِسُحْبِ**) بضم السين وسكون الحاء : جار ومجرور متعلق بـ (ائْذَنْ) ، واللام للتعدية .

(**صَلاَةٍ**) : مضاف إليها .

(**مِنْكَ**) : نعت (صَلاَةٍ) .

(**دَائِمَةٍ**) : نعت (صَلاَةٍ) ، ويجوز نصبها على أنها حال منها .

(**عَلَى النَّبِيِّ**) : جار ومجرور متعلق بـ (دَائِمَةٍ) .

(**بِمُنْهَلٍّ**) بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام : نعت (سُحْبِ) على تقدير موصوف بين الجار والمجرور أي بمطر منهل ، والباء للمصاحبة .

(**وَمُنْسَجِمِ**) بضم الميم وسكون النون وفتح السين وكسر الجيم : معطوف على (مُنْهَلٍّ) .

تفسير الكلمات

(**وَائْذَنْ**) : فعل دعاء ، والإذن في حقه تعالى بمعنى الإباحة .

(**لِسُحْبِ**) : جمع سحاب وهو الغيم .

(**صَلاَةٍ**): الصلاة على الأنبياء هي طلب مزيد من الرحمة والكرامة لهم.

(**مِنْكَ دَائمَـةٍ**) : أي وسلام دائم .

(**عَلَى النَّبِـيِّ**) : محمد ﷺ .

(**بِمُنْهَلٍّ**) : أي بمطر منهل ، وهو المطر السائل المنصب بشدة ، يقال : انهلت السماء أي صبت ، واستهلت أي ارتفع صوت وقعها ، وانهلت العين أي جرى دمعها .

(**وَمُنْسَجِمِ**) : أي ومطر منسجم ، أي سائل لعدم شدته .

وإنما شبّه المصنف الصلاة على النبيﷺ بالمطر ؛ لأن الصلاة من الله على النبي رحمة ، والمطر رحمة .

المعنى الكلي

اعلم أيها الأخ القارئ أن الناظم لما سأل ربه الكريم ، وطلب من مولاه الرحيم أن لا ينعكس رجاؤه فيما حسن ظنه فيه من غفر الذنوب وستر العيوب ، وأن يجعل انصباب رحمته سبحانه وتعالى بالنسبة للعاصين على حسب مراتب العصيان ، ومن المعلوم أن الدعاء موقوف حتى يتشفع الداعي بالصلاة على النبيﷺ وآله وصحبه ؛ لذا نرى المصنف قد ختم دعاءه وقصيدته بالصلاة عليهﷺ ، فقال : أسألك يا خالق الخلق ، وباسط الأراضين ، ورافع السماوات ، ورب جبريل وميكائيل ، أن تأمر سحب الصلاة التامات أن تفيض ، وأن تسيل أنابيب النور والمعرفة والعرفان على القلب الأنور ، والقالب الأزهر ، والجسد المطهر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

ثم قال :

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَباً
وَأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ



١٦٠- مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَباً
وَأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ

الإعراب الموجز

(**مَا**) : مصدرية ظرفية .

(**رَنَّحَتْ**) بفتح الراء والنون المشددة والحاء : فعل ماض ، وتاؤه للتأنيث .

(**عَذَبَاتِ**) بفتح العين والذال والباء وكسر التاء: مفعول به لـ(رَنَّحَتْ).

(**البَانِ**) بفتح الباء : مضاف إليه .

(**رِيحُ**) بكسر الراء وسكون الياء : فاعل (رَنَّحَتْ) .

(**صَباً**) بفتح الصاد والباء والقصر: مضاف إليه من إضافة العام إلى الخاص.

(**وَأَطْرَبَ**) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء: معطوف على (رَنَّحَتْ).

(**العِيسَ**) بكسر العين وإن كان أصلها الضم وسكون الياء: مفعول (أَطْرَبَ).

(**حَادِي**) بفتح الحاء وكسر الدال : فاعل (أَطْرَبَ) .

(**العِيسِ**) : مضاف إليه .

وقد ورد في بعض النسخ (الرَّكْبِ) بدل (العِيسِ) .

(**بِالنَّغَمِ**) بفتح النون والغين المعجمة : جار ومجرور متعلق بـ (أَطْرَبَ) ، وباؤه للاستعانة .

تفسير الكلمات

(**مَا رَنَّحَتْ**) : ما أمالت ، يقال : رَنَّحَت الريحُ الغصنَ بمعنى أمالته .

(**عَذَبَاتِ البَانِ**) : أغصانه ، والبان شجر معروف طيب الرائحة .

(**رِيحُ صَباً**) : المراد بها الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة ،

وإنمـا سميت بذلك لأنها تصبو إليها بمعنى تميل .

وبذكر الريح ذكر بعض شراح البردة أن أصول الرياح أربعة :

الأولى : الصبا ، وهي الريح الشرقية .

الثانية : الدبور ، وهي الريح الغربية التي تأتي مـن صـوب المغـرب ، وسُمِّيَت بذلك لأنه من استقبل المشرق استدبرها .

الثالثة : الشَّمـال بفتح الشين ، وهي الـريح البحريـة التـي يُسـار بهـا في البحر على كل حال ، وإنمـا سُمِّيَت بـذلك لأنهـا عنـد شمـال مَن استقبل المشرق .

الرابعة : الجَـنوب بفتح الجيم ، وهي الريح القبلية .

وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها : النكباء ، وسميت بذلك لأنها نكبت عن مهب تلك الرياح الأربعة، أي عدلت.

(**وَأَطْـرَبَ**) : الطرب هو الخفة الحاصلة من شدة السـرور المقتضـية للحركة والهزة والنشاط .

(**العِيسَ**) : هي إبل بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة ، وهـي مـن كرام الإبل ومن أجود أموال العرب . يقال للذكر أعـيس ، وللأنثى عيساء .

(**حَادِي العِيسِ**) : سائقها ، والحدو سَوْق الإبل بالـحُداء بالمـد مـع ضم الحاء وكسرها ، وهو الغناء لها .

وكلمـا كان الصوت أحسن كان طرب العيس أكثر ، حتـى إنها لتقطع المسافة الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصـل لها من النشاط عند سمـاع الصوت الحسن .

(**بِالنَّـغَمِ**) : جمع نغمة ، وهي في العرف مَدَّة في الصـوت يقصـد بهـا

الإطراب ، وهي الصوت الحسن . يقال : فلان حسن النغم ، أي حسن الصوت .

وإنما خصّ المصنف البان والعيس ؛ لأنهما من مألوفات الأحبة وهم العرب .

وتخصيص ريح الصبا أظهر وأوضح إلى ذلك ؛ لصبوها إلى باب الكعبة في البلد الذي هو مسقط رأس حبيبه وحبيب كل مؤمنﷺ .

ويحتمل أن المصنف أراد بذلك التأبيد ، فكأنه قال : دائماً وأبداً .

ورأيت بعض شراح البردة قد قال بأن المصنف أشار بـ (عَذَبَاتِ) إلى عذبة عمة النبيﷺ ؛ لتمايلها بتمايلهﷺ عند سماع المديح . وأشار بـ (البَانِ) إلى ذات النبيﷺ الشريفة ؛ لطيب رائحتها بل أعظم . وأشار بـ (العِيسَ) إلى أمة النبيﷺ ؛ لطربهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادي. وأشار بـ (النَّغَمِ) إلى المديح .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

اللهم أدم تلك الصلوات ، وأبق تلك التحيات ، ما هزّت ريح الصبا غصون البان ، وأطرب حادي الركائب بحُداء الركبان . وما حركت المحبة الإلهية والإرادة الربانية أفئدة عشاق النور ، وقلوب محبي الجمال الإلهي . وما أطرب بلبل بستان النبوة ، وخطيب نادي الفتوة جِمال ركب السائرين إلى الله تبارك وتعالى ، وعيسَ سفر السالكين في معرفة اللهﷻ .

هذا وبالله التوفيق

ولقد وُجد في بعض نسخ البردة الشريفة أبيات لم يتعرض شراح البردة لشرحها ولكن لا بأس بها ، وهي كما يلي :

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الكَرَمِ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى وَالنَّقَا وَالحِلْمِ وَالكَرَمِ

يَا رَبِّ بِالمصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا
وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الكَرَمِ

وَاغْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ المسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُوهُ فِي المسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي الحَرَمِ

بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طيبَةٍ حَرَمٌ
وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ القَسَمِ

وَهَذِهِ بُرْدَةُ المُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ
وَالحَمْدُ لله فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِّينَ مَعْ مِائَةٍ
فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الكَرَمِ



الخاتمة

هذا آخر ما أفاضه المولى الكريم في شرح بردة مدح النبيﷺ للإمام العارف بالله أبي عبدالله محمد البوصيري رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين آمين .

واعلم أيها الأخ القارئ الكريم بأني استعنت في شرح هذه البردة الشريفة بعدة شراح لها ، منهم :

- شرح العلامة القسطلاني .
- شرح العلامة أبي السعود .
- حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري .
- شرح الشيخ خالد الأزهري .
- شرح العلامة حسن العدوي الحنزاوي .

والله أسأل أن يكون هذا الشرح قد وفّى بغرض الإخوان الذين سألوني أن أضع شرحاً لها يبين معناها ، ويكشف لثام خفاياها .

كما آمل أن يكون كافياً لمن اقتصر عليه ، وخالياً من التعقيد والحشو في المسائل .

ولا بد لي هنا من أن أبين بأن الفضل الكبير لله أولاً حيث هو الموفق ، ثم لمن سبقنا في شرح هذه البردة الطيبة المباركة . حيث شرحنا هذا مقتطف من بساتين الشراح السابقين العمالقة في سماء المعرفة والفضائل ، الغواصين في بحار المعرفة والطرائف .

كما أنه لا يفوتني أن أسأل أخاً قرأ عبارة منها أن يدعو لنا ولوالدينا ، ولمن كان السبب في كتابته . وإذا رأى عثرة ووجد لها

سائغاً أجراها ، وإن لم يجد لها سائغاً أصلحها بالتي هي أحسن .

كما أسأل الله العزيز أن ينفع بهذا الشرح كل من اطلع عليه وأراد القرب من النبيﷺ وآله .

وأسأله تعالى أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم ، بعيداً عن أي التفاتة إلى الغير ، إنه جواد كريم ، وهو حسبي فنعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

وأسأله تبارك وتعالى أن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وإخواننا وأحبابنا وجميع المسلمين بجاه سيدنا محمدﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأصحابه وأزواجه وأهل بيته ومحبيه إلى يوم الدين .

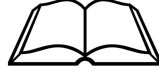
ولقد انتهيت من شرح هذه البردة المباركة في الثامن من ربيع الأول عام ثلاثة وعشرين بعد الألف والأربعمائة من الهجرة النبوية الشريفة ، الموافق العشرين من الشهر الخامس من السنة الميلادية الثانية بعد الألفين .

وصلى الله وسلم على سيد كل سيد كان ويكون إلى يوم الدين .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني



فهرس الكتاب

الفصل الأول : في الغزل وشكوى الغرام

الفصل الثاني : في التحذير من هوى النفس

الفصل الثالث : في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع : في مولده عليه الصلاة والسلام

الفصل الخامس : في معجزاته صلى الله عليه وسلم

الفصل السادس : في شرف القرآن ومدحه

الفصل السابع : في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

الفصل الثامن : في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل التاسع : في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

الفصل العاشر : في المناجاة وعرض الحاجات

والحمد لله رب العالمين